بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

ابن الحاجب ودوره في التأصيل النحوي

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية (النحو والصرف)

Ibn Al-Hajeb and his Role in Grammatical Epistemology

إعداد الباحث/

حافظ الزين أحمد إبراهيم

إشراف /

أ.د مبارك حسين نجم الدين بشير

1441هـ - 2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

سورة يوسف الآية (2)

تصدير

قال الشاعر:

ما أبصرت عيني بمثل الكافية مجموعة تدري المآرب شافية
يا طالباً للنحو ألزم حفظها واعلم يقينا أنها لك كافية

وقال آخر:

صاغ الإمام الفاضل ابن الحاجب دراً فأخفاها كغمز الحاجب
لما تواتر حسنها بين الورى قالت: أنا السحر الحلال فحاج بي

قال الشاعر حافظ إبراهيم:

لا تَلُم كَفّي إذا السَيفُ نَبا
صَحَّ مِنّي العَزمُ وَالدَهرُ أَبى
رُبَّ ساعٍ مُبصِرٍ في سَعيِهِ
أَخطَأَ التَوفيقَ فيما طَلَبا

(أدرس بتوسع، واشرح بدقة، ثم اذكر جوهر الموضوع بعد استيعابه كاملاً)

"منغ تسي مانشيوس"
حكيم صيني

إهداء

إلى من كانا سبباً في وجودي، وأمرني الله ببرهم

فقد قال تعالى: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

سورة الإسراء الآية 23

أسأل الله أن يرزقني برهم وأن يمتعهما بالصحة والعافية

أمي وأبي.

إلى إخواني وأخواتي الغوالي أعز ما أملك عائلتي.

حفظكم الله وجمعني بكم في فردوسه

إلى زوجي الوفية بكل معاني الوفاء التي وقفت بجانبي في السراء والضراء.

وتحملت الكثير وكانت خير مُعين لي متعها الله بالصحة والعافية

إلى أبنائي وبناتي الذين أضاء الله بهم حياتنا

إلى رفقاء الدرب في حقل الدعوة وزملائي في التربية والتعليم. معلمين ومعلمات.

إلى كل من قدم لي النصح والتوجيه وشاركني الهم.

أهديهم هذا البحث سائلاً الله القبول والسداد والتوفيق.

شكر وتقدير

أشكر الله وأحمده على توفيقي بإتمام هذا العمل كما يمتد شكري لأستاذي الكريم البروفيسور مبارك حسين نجم الدين بشير الذي شرفت وكان لي الحظ بأن أكون أحد تلاميذه والذي تكرم وتفضل بالإشراف على هذا العمل. فأقدر له الصبر وسعة الصدر وسماحة المعاملة بنفس راضية فقد وجَّه وأحسن في إرشاده لي. نعم المعلم حفظه الله ووفقه لكل خير.

كما أوجه شكري إلى اللجنة المناقشة.

إلى من أشعل شمعة في دروب علمنا أتقدم بالشكر والتقدير لجميع أساتذة جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا الذين ساهموا في غرس محبة العلم وفي مثل هذه اللحظات. وأخص بالشكر أساتذة قسم اللغة العربية. والشكر موصول: لأسر مكتبات جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، وجامعة أمدرمان الإسلامية، وجامعة القرآن الكريم، وجامعة أفريقيا العالمية.

ولا يفوتني أن أوصل صوت شكري إلى رفيقة حياتي أم أسماء لطول صبرها فقد انشغلت بالدراسة وقصرت في حقها كثيراً، وأيضاً أفراد أسرتي والدي وأخواتي وأخواني أرجو العفو منهم جميعاً. أسأل الله أن يبارك فيهم وأن يجعل الود بيننا فلهم خالص احترامي وتقديري ودعواتي.

وأيضاً أعزائي عثمان مدير مهاجر وأبوبكر أحمد خاطر والصادق سليمان وكل من مدَّ يد العون..

وشكرٌ خاصٌ للأخت: إنشراح عبدالوهاب على تكبدها مشاق طباعة هذا البحث. إليكم جميعاً أسمى آيات الشكر والتقدير والامتنان.

مستخلص الدراسة:

جاءت الدراسة بعنوان: ابن الحاجب ودوره في التأصيل النحوي، وهدفت إلى إبراز الإسهامات العلمية عند ابن الحاجب للقائمين على أمر العربية، كذلك رفد المكتبة العربية بتجارب السابقين لأجل توارث الأجيال في العربية.

أهمية الدراسة تنضوي في أن الكافية مصدر مهم في مجال الدراسة العربية، أن المؤلفين (كافية ابن الحاجب والكافية الشافية لابن مالك) يعدان مصادر لا يمكن الاستغناء عنهما في مجال العربية عامة والنحو خاصة، واتبعت المنهج الوصفي التحليلي والموازنة باعتباره الأنسب بغرض التعرف على أهم ما يميز هذا العالم في مجال العربية، ولاستجلاء معلومات وآراء العلماء الذين لهم صلة بموضوع الدراسة جاء البحث وفق الفصول التالية: الفصل الأول: ابن الحاجب حياته، وعصره. الفصل الثاني: كتاب الكافية وما اشتمل عليه، الفصل الثالث: جهوده في النحو، الفصل الرابع: موازنة بين كافية ابن الحاجب وكافية ابن مالك. أما أدوات الدراسة فشملت "كافية ابن الحاجب والكافية الشافية لابن مالك" كما استخدم الدارس الموازنة لاستجلاء مزيد من المعلومات وآراء العلماء والمفكرين ممن لهم صلة بموضوع الدراسة.

توصلت الدراسة: إلى أن ابن الحاجب يخالف النحويين في مسائل عديدة، ويعترض بعضهم ويرد عليهم كما ينفرد بآراء خاصة به ويعتمد في أغلب آرائه على المعنى النحوي. أظهرت الدراسة ميل ابن الحاجب إلى البصريين، وتظهر خصائص منهج ابن الحاجب واضحة عبر التقعيد العام والمتفرع، كذلك عبر استشهاداته القرءانية والشعرية والنثرية وأغراض كل منها وما شذ من الظواهر اللهجية المخالفة للقاعدة النحوية. كذلك توصلت إلى تباين طرائق التأليف بين العالمين ابن الحاجب وابن مالك، والشرح، تباين طبيعة المادة من حيث الكم والترتيب، وانتهت الدراسة بتوصيات أهمها مراجعة مخطوطات ومطبوعات رواد العربية واستقطاب العلماء في هذا المجال والعمل على تشجيع الطلاب بدعمهم في مجال التأليف بغية انتقال الإرث الثقافي والعلمي عبر الأجيال، وضرورة إجراء مزيد من الدراسات حول مؤلفات ابن الحاجب وقدامى العلماء، ودعم الدارسين في مجال الابتكار العلمي لأجل حفظ الإرث وتداوله.

الكلمات المفتاحية: الجهود اللغوية، المذهب، آراء، التعضيد، اللهجات، موازنة، ابن الحاجب، ابن مالك، الكافية، الشافية.

Abstract:

The study is entitled “Ibn al-Hajeb and His Contribution to Arabic Grammar”. It aims at highlighting the scholarly contributions of Ibn al-Hajib to those interested in Arabic. The study also tends to enrich the Arabic library with experiences of the precedents and pass heritage from one generation to another. The importance of the study stems from the fact that “al Kafyia” is an important source in Arabic language. Moreover, both “al Kafyia” by Ibn Al Hajib and “al Shafyia” by Ibn Malik are indispensible sources in Arabic language especially the grammar. The study has adopted descriptive analytical approach. This method is the most suitable for exploring substantial features of this area related to Arabic. It draws attitudes of the prominent grammarians interested in this area. The study consists of four chapters. The first chapter focuses on Ibn al Hajib’s life; the second chapter investigates “al Kafyia” book : the third chapter reviews Ibn al Hajib’s contribution to Arabic grammar while the last chapter compares and contrasts between “al Kafyia” by Ibn Al Hajib and “al Shafyia” by Ibn Malik. The research has used “al Kafyia” by Ibn Al Hajib and “al Shafyia” in addition to comparison and contrast to underpin views of Ibn Malik as tools. The study has concluded that Ibn Al-Hajeb disagrees with some grammarians over a number of grammatical issues. He has distinguished views. He opts for grammatical meaning. The study has shown that Ibn al Hajib favours the Basra grammarians. Ibn al Hajib’s distinguished approach can be seen in the overall and partial grammatical rulings. This is also manifested in poetic, Quranic and prose quotes to underpin the dialectic phenomenon opposing the grammatical rule. The researcher has arrived at different writing techniques by the two writers: Ibn al Hajib and Ibn Malik and different content in terms of quality and order. The study has recommended that scripts and publications of Arabic language leading grammatical should be reviewed. It has also recommended attracting scholars in this field and encouraging them in the field of authoring to keep on passing Arabic cultural and scholarly heritage from one generation to another. The research has also recommended conducting more studies on the works of Ibn al Hajib and other preceding grammarians and arming the researchers with scholarly innovation to help survive the heritage.

Keywords: linguistic efforts, approaches, views, reinforement, dialects, contrast, Ibn al-Hajib, Ibn Malik, “al Kafyia” and “al Shafyia”

المقدمة:

إنَّ ما اجتمع من أخبار ابن الحاجب وما ذكر عنه ليدل دلالة لا جدال فيها أنه عالم حري بالدراسة وجدير بالتقويم. فهو علم من أعلام النحو، وإمام من أئمة الثقافة وشيخ من شيوخ اللغة والفقه.

عاش أكثر من نصف قرن من الزمان وشهد حضارة العرب الزاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين، وعاصر التطورات السياسية والاجتماعية والثقافية وما آلت إليه حياة العرب والمسلمين في ظلال الدولة الأيوبية؛ فهو واحد من أولئك العلماء الذين أعطوا العربية الكثير وعنوا بالمحافظة عليها كسيبويه والفارسي والزمخشري؛ فمعظم هؤلاء أخذ عنهم ابن الحاجب ونقل علمهم إلى الأجيال لتي جاءت من بعدهم، ثم انتهت إليه رئاسة النحو بعد استقراره بمصر وأصبح أستاذاً يرحل إليه ويؤخذ عنه.

ولقد بقى على كثرة ما أُلِّفَ قبله وبعده في النحو، كتاب "الكافية" أبرز كتاب في مضماره، فقد أثنى عليه القدماء ووصفوه بأجل الأوصاف.

هذا ما قادني لاختيار هذا السِفر موضوعاً لدراستي على أن هناك دوافع أخرى قد تكون دفعتني إلى الكتابة عن ابن الحاجب أهمها أن دراسة التراث العربي اللغوي والقديم تمثل ركناً من أركان حضارة الأمة، فدراسته وفحصه ونشره تعين على كشف هذا الجانب من حضارة الأمة العربية.

وأخيراً فإني لم أدخر جهداً في إخراج هذه الدراسة على الصورة التي تليق بها في تقديري راجياً أن تنال الرضا والقبول من ذوي الاختصاص والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

مشكلة البحث:

تحاول الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

- مَنْ هو ابن الحاجب؟
- ماذا حوى كتابه الكافية؟

- ما هي جهوده التي أودعها في هذا الكتاب؟
- ما أثر ابن الحاجب على ابن مالك؟

أهمية البحث:

ترجع أهمية هذا البحث إلى كونه يتناول جهود ابن الحاجب، وما يترتب عليه من تأثير فيمن بعده وخاصة في علم العربية.

أهداف البحث:

- بيان مَنْ هو ابن الحاجب؟
- تحديد ما حواه كتابه الكافية؟
- توضيح جهوده التي أودعها في هذا الكتاب؟
- بيان أثر ابن الحاجب على ابن مالك؟

منهج البحث:

يتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

حدود البحث:

تقتصر الدراسة في إيجاد الفروق بين الكتابين الكافية لابن الحاجب والكافية الشافية لابن مالك.

عملي في هذا البحث:

إن طريقة كتابة البحوث؛ هي إخراج نص إخراج جهود العلماء في وضع المصنفات المبثوثة في مؤلفات عدة لمؤلفين متعددين وبأساليب متنوعة؛ لذلك التزمت في الدراسة (جهود ابن الحاجب النحوية في الكافية) بقواعد وسرت بموجبها؛ لأجل إخراج النص سليماً وواضحاً ومفهوماً، وهي ما يلي:

1- كان هدفي أثناء الدراسة تجنب دخول مادة ليس له علاقة بموضوع الدراسة إلا بما يسمح به إذا كان ذلك ضرورياً.

2- لما كنت لم أحصل إلا على متن الكافية وشراح غير المؤلف فقد استعنت بنسخه (شرح الوافية نظم الكافية – لابن الحاجب) لغرض تقديم المادة النحوية من مصادر المؤلف نفسه دون غير حتى أتثبت على جهوده وإسهاماته الحقيقية دون أدنى شك في ذلك.

3- رجعت في نقل وتقويم بعض النصوص إلى مصنفات المؤلف الأخرى مثل: (الأمالي – شرح الكافية – شرح الوفية نظم الكافية).

4- ترجمت للأعلام عبر المشهورين.

5- أوردت الأمثلة من القرآن والحديث والشعر وكلام النحاة، وعرضت جميع الآيات على مصحف المدينة الشريف وذكرت أرقامها وسورها.

6- بعض الآيات تحتمل أكثر من قراءة أرجعتها إلى كتب القراءات المعتمدة.

7- الأشعار فقد اعتمدت في تخريجها على دواوين الشعراء، وكتب النحو، كما أني نسبت الأبيات التي لم ينسبها المصنف إلى أصحابها بقدر الإمكان.

وبما ذكرت أرجو ويحدوني الأمل أن أكون قد وفقت في إظهار هذا البحث بالصورة اللائقة به والله ولي التوفيق والقادر عليه.

الخرطوم العاصمة

5 ربيع الأول 1441هـ الموافق: 2 نوفمبر 2019م

الباحث/ حافظ الزين أحمد إبراهيم

كلية اللغات جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

الفصل الأول

ابن الحاجب حياته وعصره

المبحث الأول: حياة ابن الحاجب.

المبحث الثاني: ثقافته وعناصره وبيئته العلمية

المبحث الثالث: عصر ابن الحاجب

المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه وآثاره ومذهبه في النحو وآراؤه التجديدية

المبحث الأول

حياة ابن الحاجب

اسمه ولقبه ونسبه وعلمه:

هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدُّوني[1] الأسنائي[2]، لقبه جمال الدين، وكنيته أبو عمرو، وهو معروف بابن الحاجب، لأن أباه كان حاجباً للأمير عز الدين موسك الصلاحي، خال صلاح الدين الأيوبي؛ وقد كانت وظيفة الحاجب آنذاك من الوظائف المهمة، ومن ثم عاش ابن الحاجب في كنف أسرة غنية[3].

وابن الحاجب كردي الأصل، هاجرت أسرته من دَوين إلى مصر، واستقرت في بلدة "إسنا" في الصعيد، وفيها ولد ابن الحاجب سنة سبعين وخمسمائة هجرية (570هـ-1175م، 646هـ-1249م) ونشأ فيها إلى أن انتقل به أبوه إلى القاهرة التي حفظ فيها القرآن الكريم ودرس العلوم المتعلقة به من نحو، وفقه، وقراءات[4]. ثم انتقل إلى دمشق في سنة سبع عشرة وستمائة، ودرَّس بها للمالكية بالجامع الأموي، فأقبل عليه الطلبة للأخذ من علمه الوافر، حتى كان خروجه بصحبة الشيخ عز الدين بن عبدالسلام في سنة ثمان وثلاثين وستمائة، بعد أن وقف بجانبه في إنكاره على صاحب دمشق الصالح إسماعيل سوء سيرته، وتقاعسه عن قتال الصليبيين، وصلحه معهم، فأمرهما بالخروج من دمشق، وعادا إلى القاهرة حيث درَّس ابن الحاجب في موضع شيخه

---

(1) نسبة إلى "دَوِين" بلدة من نواحي "أرَّان" في آخر حدود أذربيجان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عمر عبدالعزيز الجنيد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، 558/2.

(2) نسبة إلى "اسنا" بصعيد مصر، ولد فيها ابن الحاجب.

(3) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، 216/3. البلغة في تاريخ أئمة النحو واللغة، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1972م، ص140. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق برجستراسر، القاهرة، مكتبة الخانجي 1932م، 508/1. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، 1963م، 360/6. الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م، 211/4.

(4) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، 6-360، بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي، 143/2.

الشاطبي[1]، ومنها إلى الإسكندرية حيث وافته المنية والتقط أنفاسه الأخيرة في 26 شوال سنة 646هـ الموافق "فبراير، شباط سنة 1249م" ودفن خارج باب البحر بالقرب من تربة الشيخ الصالح ابن أبي شامة[2].

أخلاقه وشخصيته:

كانت أخلاق ابن الحاجب نسيجاً فذّاً من أخلاق العلماء في عصره، وقد انتزعت هذه الأخلاق ثناء الناس حتى أولئك الذين كانوا يخالفونه في الرأي، حيث كان الرجل ثقة، حجة، متواضعاً، عفيفاً، كثير الحياء، منصفاً، محباً للعلم وأهله، محتملاً للأذى، صبوراً على البلوى، وكان صدوقاً، مخلصاً[3].

ولقد تكاملت عند ابن الحاجب مقومات الشخصية العلمية بما اشتملت عليه نفسه من العزم والتواضع، وما أدركه عقله من مختلف صنوف المعرفة وفنون العلم وما استقام به لسانه من الفصاحة والبلاغة، من أجل هذا كله كان رجلاً عظيماً.

قال عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وهو أحد أئمة الشافعية: "جمال الدين كان وحيد عصره علماً وفضلاً وأخلاقاً".

وقال عنه ابن خلكان: "وخالفه النحاة في مواضع وأورد عليهم إشكالات وإلزامات لا يتسع المجال للحديث عنها، وكان من أحسن خلق الله ذهناً، وجاءني مراراً بسبب أداء شهادات وسألته عن مواضع في العربية مشكلة فأجاب أبلغ إجابة بسكون كثير وتثبت تام"[4].

---

(1) البداية والنهاية، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1423هـ-2002م، 150/13، الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، تحقيق أحمد الأراؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 2000م، 322/19.

(2) كافية ابن الحاجب، تأليف نصر الدين محمد بن الحسن الاستراباذي المتوفي سنة 686هـ قدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور اميل بديع يعقوب، المجلد الأول، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ص1-16.

(3) أمالي ابن الحاجب، ج1، ص18 والبداية والنهاية 176/13.

(4) وفيات الأعيان، 248/3.

علمه:

كان ابن الحاجب من أبرز فقهاء مصر والشام في العصر الأيوبي، تفقه على مذهب الإمام مالك وتعمق فيه وفهمه حتى نبغ فيه، وصار رأساً عند المالكية بل شيخاً في عصره[1].

وقد عني ابن الحاجب بالقراءات عناية خاصة تلقاها عن شيوخ القراء في عصره كالشاطبي وأبي الجلود اللخمي والغزنوي وغيرهم، ومن الجدير بالذكر أن الدراسات العلمية في الفقة والقراءات تعتبر مقدمة للدراسات العربية في النحو والصرف. حيث وصل في ذلك إلى أعلى المراتب حسبما وضعه من مصنفات مختلفة في علم العربية وبالأخص مقدمتاه: الكافية، والشافية، وأماليه. ومما ذكر أيضاً في ثقافته قول النعيمي[2] عنه: "واشتغل بالعلم فقرأ القراءات وحرر النحو تحريراً بليغاً، وتفقهه وساد أهل عصره، حيث كان رأساً في علوم كثيرة منها: الأصول والفروع والنحو والتصريف والعروض والتفسير وغير ذلك".

وهنا يمكن القول إن ابن الحاجب كان من أشد العلماء تحمساً للعلم بمختلف فنونه مما جعله يحظى بالإطراء الحسن من كثير من العلماء في زمانه وقد ظهر ذلك جلياً في مصنفاته التي لا تزال تثبت أن ابن الحاجب ظل عالماً طول حياته ساعياً لتحرير النحو من الخلافات والعلل التي أثارها الكثير من النحاة محاولاً إبرار آراءه الخاصة التجديدية وهذا ما يلتمس في كل مباحثه النحوية التي تطرق إليها ابن الحاجب في تراثه النحوي.

أخلاقه ورأي العلماء فيه:

ظفر ابن الحاجب بإشادة الكثير من العلماء وقد كان يتصف بخلق رفيع، دخل قلوب الناس بهذا الخلق وبعلمه الغزير، قال عنه ابن أبي شامة: "وكان ركناً من أركان الدين في العلم، وكان ثقة حجة، متواضعاً، عفيفاً كثير الحياة، منصفاً للعلم وأهله، ناشراً له، محتملاً للأذى، صبوراً على البلوى"[3].

---

(1) الأمالي لابن الحاجب، وطبقات الشافعية للسبكي، 365/3 "تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي".

(2)المرجع نفسه، وكذلك الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي 3/2 "تحقيق جعفر الحسني".

(3) ذيل الروضتين 182.

وكان من أذكى أذكياء الأمة قريحة[1]، "وكان ابن الحاجب علامة ورئيس أقرانه، استخرج ما كمن من درر الفهم، ومزج نحو الألفاظ بنحو المعاني، وأسس قواعد تلك المعاني، وتفقه على مذهب مالك"[2][3]، ولم يطعن في علمِّية ابن الحاجب إلا ابن مالك[4] صاحب الألفية، حيث قال: "إنه أخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحوي صغير"[5] إذا قصد ابن مالك من هذه العبارة أن ابن الحاجب تتلمذ على ابن الحاجب تلميذ للزمخشري[6] فهذا غير صحيح، لأن الزمخشري توفي قبل مولد ابن الحاجب بأكثر من ثلاثين عاماً، وإن كان قصد أنه تتلمذ على كتب الزمخشري فهذا مردود لأن المفصل من أبرز كتب الزمخشري، وابن الحاجب شرح المفصل ولم يكن عالة عليه، وهذا يتضح من خلال مؤلفاته، بل نجد ابن الحاجب قد ردَّ الزمخشري في مواضع عدة، كما أن ابن مالك تتلمذ على ابن يعيش[7] والسخاوي[8]، وشرح المفصل وليس هذا إلا صورة من صور تحامل بعض العلماء خاصة علماء الأندلس على علماء المشرق، ولربما كان لاعتزال الزمخشري أثر كبير في هذا التحامل، كما أنَّ ابن مالك تأثر بسمات كثير من كتب ابن الحاجب، مثل الكافية – الشافية – الوافية، وأيضاً ابن مالك هو من أبرز تلاميذ ابن الحاجب، وفي تلك الفترة حلقات الدرس لا يُفرض فيها الأستاذ على الدارس، بل الدارس هو الذي يختار الأستاذ الذي يتضح له أنه ستفيد من دراسته[9].

---

(1) ذيل الروضتين 182؛ البداية والنهاية 176/13.

(2) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي، تحقيق محمد الأحمدي أبو الأنور، "دار التراث العربية للطباعة، القاهرة (د.ت)" 87/2.

(3) مالك هو أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، توفي سنة تسع وسبعين ومائة. موسوعة الفقه المالكي. خالد عبدالرحمن المك، "دار الحكمة، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى 1413هـ-1993م"، 83/1 وما بعدها.

(4) ابن مالك هو محمد بن عبدالله بن مالك العلامة جمال الدين، إمام النحاة وحافظ اللغة، توفي سنة 672هـ، بغية الوعاة 130/1.

(5) بغية الوعاة134/1.

(6) الزمخشري: محمد بن عمر بن محمد الخوارزمي، الزمخشري "أبو القاسم جار الله"، ولد بزمخشر من قرى خوارزم، توفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. ابناه الرواة على أبناء النحاة، جمال الدين أبي الحسن بن علي بن مالك يوسف القفطي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، "دار الفكر العربي القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط1 1406هـ-1986م" 265/3، وفيات الأعيان 398/4.

(7) ابن يعيش: محمد بن علي بن المفضل الأندلسي الأصل يكنى أبا البقاء، وينعت بموفق الدين. توفي سنة 643هـ، انباه الرواة، 39/4، بغية الوعاة 351/2.

(8) السخاوي: علي بن محمد بن العميد بن عبدالواحد الهمذاني المصري السخاوي. توفي سنة 643هـ، انباه الرواة، 311/4، بغية الوعاة 192/2.

(9) بغية الوعاة 134/1؛ المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن الهجري، عبدالعال سالم مكرم الرسالة ط4 1410هـ-1990م، ص86.

المبحث الثاني

ثقافته وعناصره وبيئاته العلمية

ثقافته:

كان ابن الحاجب من الشخصيات الفذه في المجتمع النحوي ولكن لم تقتصر ثقافة ابن الحاجب على النحو، وإنما تبحَّر في الفقه أيضاً، فكان من أبرز فقهاء مصر والشام في العصر الأيوبي، تفقَّه على مذهب الإمام مالك، وصنَّف فيه تصانيف جليلة لا تزال تُعدُّ من أمهات المراجع الفقهية المعتمدة، وخاصة كتابه: "جامع الأمهات"، وألف كتابين في الأصول هما:

منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل، وكتابه مختصر الأصول الذي اختصر فيه كتاب الأحكام للآمري، كما أنه برز في القراءات، وأخذها عن شيوخها كالشاطبي والغزنوي والبوصيري[1].

وكانت هذه الدراسات في الفقه والقراءات، مقدمة للدراسات العربية في النحو والصرف التي وصل فيها مرتبة عالية وبلغ فيها شأناً عظيماً بما وضعه من مصنفات في علوم العربية، ذاعت وانتشرت وصارت أساساً للدرس النحوي خاصة كتاباه الكافية، والشافية.

وقد مدحه الكثيرون، وأشادوا بغزارة علمه، ودماثة خلقه، قال عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، وهو أحد أئمة الشافعية حين مدح كتابه "جامع الأمهات"بقوله: "جمال الدين كان وحيد عصره علماً، وفضلاً، واطلاعاً"[2]، وأشاد ابن خلكان بقدراته العلمية بقوله: "وخالف النحاة في مواضع وأورد عليهم إشكالات، وإلزامات تبعد الإجابة عنها، وكان أحسن خلق الله ذهناً"[3].

---

(1) البداية والنهاية، ابن كثير 150/13؛ غاية النهاية لابن الجزري 508/1، العبر في خبر من غبر محمد بن أحمد عثمان الذهبي، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، د.ط، د.ت، 255/3.

(2) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرجون، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث القاهرة، د.ط، د.ت، 87/2.

(3) وفيات الأعيان لابن خلكان 218/3.

قال عنه الشيخ شهاب الدين أبو شامة: "وكان من أذكى الأئمة قريحة، وكان ثقة، حجة، متواضعاً، عفيفاً، كثير الحياء، منصفاً، محباً للعلم وأهله ناشراً له بارعاً في العلوم متقناً لمذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله"[1].

وكان ابن الحاجب ينشد أحياناً بعض الشعر، وله في النظم باعٌ طويلٌ، فقد نظم مقدمته النحوية "الكافية" في منظومة "الوافية"، ونظم في العروض "المقصد إلى علم الخليل"، ونظم في المؤنثات السماعية "القصيدة الموشحة بالأسماء المؤنثة" ومنها قوله:

نفسي الفداء لسائل وافاني بمسائلٍ فاحت كروضِ جنان
أسماءُ تأنيث بغير علامةٍ هي يا فتى في عُرفهم ضربانِ[2]

ومن شعره كذلك قوله في الصداقة:

إن تغيبوا عن العين فأنتم في فؤادي حضوركم مستمر
مثلما قامت الحقائق في الذهن وفي فؤادي لها مستقر[3]

عناصر الثقافة:

ذكرت المصادر أن الثقافة التي كانت سائدة في ذلك العصر أي "العصر الأيوبي" هي الثقافة الإسلامية.

ومن أهم عناصرها: القرآن – والحديث – والفقه – وأصوله – والقراءات – واللغة – والشعر القديم – والتاريخ[4].

البيئات العلمية والمراكز الثقافية:

شهدت الفترة ما بين القرنين الخامس والسادس الهجري، مجموعة من المراكز العلمية في شتى أنحاء العالم الإسلامي، ويرجع ذلك إلى تفكك عالمنا الإسلامي إلى دويلات صغيرة، لكل

(1) البداية والنهاية، لابن كثير 150/13.

(2) اللسان العربي، دورية متخصصة نصف سنوية تصدر عن مكتبة تنسيق التعريب المملكة المغربية، العدد الحادي والعشرون، في الأسماء المؤنثة لابن الحاجب مقال كتبه إحسان جعفر، ص28، والبيتان من بحر الكامل.

(3) البلغة للفيروزبادي ص140، والبيتان من بحر الخفيف.

(4) الأدب في العصر الأيوبي ص76؛ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية 209/5.

عاصمتها، مثل القاهرة وبغداد، وغيرها، وصار العلماء والدارسون يتسابقون إليها من كل الأقطار.

وكانت أهم المراكز الثقافية وأشهرها في العالم الإسلامي، ثلاثة:

- مركز الإقليم الشرقي ويشمل أهم مدنه "خوارزم" ، ومرو".

- مركز الإقليم الأوسط ويشمل العراق والشام ومصر.

- مركز إقليم الجبل ويشمل أصبهان.

وأكثر هذه الأقاليم نشاطاً هو الإقليم الأوسط، وهو الذي كان به دولة الأيوبيين؛ حيث توافد العلماء، وزيادة المدارس، ورواج سوق العلم والأدب وبذلك صارت محجة لطالبي العلم.

وقد نجح الفاطميون على أن يجعلوا لمصر هذه المكانة من بين دول العالم الإسلامي، ثم أعقبتها الدولة الأيوبية مواصلة في دعم العلماء والمدارس داخلياً وخارجياً واقتصادياً وعمرانياً عن طريق إنشاء الأوقاف[1].

وأصبح إدخال نظام المدارس في مصر بمثابة الانقلاب الثقافي، ففتح الباب أمام الثقافات الإسلامية المتعددة من أنحاء العالم الإسلامي[2].

اهتمت المساجد في القاهرة بدور الثقافة، مثل الأزهر الشريف – وجامع ابن طولون – جامع عمر بن العاص كانت منارات للعلم؛ أدى ذلك إلى ظهور علماء يشهد لهم بطول الباع في النحو واللغة والبيان والقراءات والفقه والتفسير والحديث والأدب هذا في مصر أما في المغرب مقابل هذا ظهر علماء المنطق والكلام والفلاسفة[3].

أما الإسكندرية فتعد أهم مراكز العلم والثقافة في مصر، في العصور القديمة اليونانية والرومانية، والإسلامية، ويظهر ذلك في قيام مذاهب الأفلاطونية الحديثة، وكان بها أكبر مكتبة

---

(1) وفيات الأعيان 205/6-206؛ الأدب العربي في مصر في عصر الدولة الأيوبية "567-648" تأليف محمود مصطفى. قدم له شوقي ضيف "المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر 1387هـ-1967م" ص272-273.

(2) الأدب في العصر الأيوبي ص137.

(3) الأدب في العصر الأيوبي ص137. وما بعدها؛ الأدب العربي في مصر ص273.

عرفت في العالم القديم، وفي القرن السادس الهجري اشتهرت مدرستان للحديث والثقافة الإسلامية عامة، المدرسة الصوفية والمدرسة السلفية[1].

مذهبه النحوي والفقهي:

أما مذهبه النحوي فإن الذي يتصفح مؤلفات ابن الحاجب يقف على ثقافة واسعة منوعة، وعقلية ناضجة، وفكر عميق. والذي تغلب عليه علم العربية، حيث صنف عدداً من الكتب القيمة في علم العربية مما يدل على سعة الإطلاع وعمق التحليل.

نجد في مصنفاته النحوية مجموعة من آراء أئمة النحو، ويظهر أنه متأثرٌ بمذهب البصريين إلى حد كبير. فهو كثيراً ما يتبنى آراءهم، ويحتجَّ بحججهم، ويستدل بأدلتهم دون تعقب في ذلك، والذي يؤكد أنه متأثر بهذا المذهب أتباعه وتأثره بكل من سيبويه وأبي علي الفارسي والزمخشري[2].

أولاً: يعد كتاب سيبويه أول كتاب نحوي رسم صورة المنهج البصري في دراسة العربية. والذي يتصفح مصنفات ابن الحاجب المختلفة يجده اعتنى كثيراً وتأثر بكتاب سيبويه فقد كان كثيراً ما ينقل عنه. كذلك ترجيح آرائه، ووقوفه موقف المؤيد ويظهر ذلك من خلال أقواله وتعليلاته، وأكبر دليل يؤيد صلة ابن الحاجب وميله للمذهب البصري، شرحه لكتاب سيبويه.

ثانياً: الذي ينظر في كتبه يجد كثيراً من آراء الفارسي، ولا شك أن أبا علي الفارسي كان يغلب عليه المذهب البصري. ويظهر تأثر ابن الحاجب بأبي علي الفارسي في أنه شرح كتابه "الإيضاح" في كتاب سماه "المكتفي للمبتدي"[3].

ثالثاً: أما الزمخشري جُلَّ آرائه يتفق مع نحاة البصرة، ويظهر ذلك من خلال كتابه "المفصل" والذي تأثر فيه بسيبويه، حيث كان يستعمل مصطلحاته ويقول بآراء البصريين.

---

(1) الأدب في العصر الأيوبي ص150.

(2) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص257.

(3) المرجع السابق، ص284.

مذهبه الفقهي:

قضى ابن الحاجب كل حياته مالكي المذهب، حيث وصفه السبكي[1] بقوله: "شيخ المالكية في زمانه"[2].

مذهبه النحوي من حيث ما يلي:

1- يجده الباحث في آرائه يجنح دائماً إلى آراء البصريين ولاسيما سيبويه، كما أنه فنَّد آراء غيره.

2- وقف موقف النِّد للكوفيين وآرائهم، فقد رد على الكسائي، والفرَّاء اللَّذين على يديهما انتعشت المدرسة الكوفية.

3- أكثر من الاعتماد على كتب البصريين وآرائهم، ويتجلى ذلك واضحاً في شدة اعتماده على كتاب سيبويه، كما أنه اعتمد كتب من مذهب البصريين ممن جاؤوا بعد مؤسسي المذهب كأبي علي الفارسي.

ذكر شارح الكافية أنه تبيَّن له لأسباب عديدة أن ابن الحاجب بصري المذهب.

(1) السبكي: أحمد بن علي بن عبدالكافي علي بن تمام السبكي، توفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة. بغية الوعاة 342/1.

(2) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي عبد الكافي السبكي، تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو "عيسى البابي الحلبي، دون تاريخ" 265/3.

المبحث الثالث

عصر ابن الحاجب

لكي يكون الحكم على شخصية المصنف متسماً بالإنصاف لابد من الإحاطة بعصر المؤلف، والانغماس في ذلك العصر حتى نتعرف على الموطن الذي عاش فيه، ومدى تأثر هذا العالم الجليل بما يدور حوله ومدى تأثيره فيه وتوجهات النظم والتقاليد والعادات السائدة في المجتمع وفي العصر الذي يعيش فيه. وحتى تكون الإحاطة كاملة بهذا العصر، لابد من معرفة الحياة السياسية، والاجتماعية، والحياة العلمية في مصر على وجه التحديد.

الحياة السياسية:

هي نظام الحكم السائد والصراعات التي تدور بين الحاكم والمحكوم من مؤامرات تحاك ودسائس بين تلك الفئات. وهي لا تبعدنا كثيراً عن الحياة الاجتماعية والتي تمثل المجتمع بكل أجناسه المختلفة، والصراعات والثقافات والتفاعلات القائمة بين تلك الأجناس ثم بعدها يأتي العنصر الثالث المهم وهي الحياة العلمية. للحكم على أي عصر لابد من الوقوف على تلك العناصر الثلاثة المهمة حتى يكون الحكم له قيمة.

وبصورة مجملة يمكن وصف هذه العناصر الثلاثة التي أثرت في هذه الشخصية.

فالحياة السياسية كانت مليئة بالأحداث والصراعات هنا وهناك، أما الحياة الاجتماعية فقد مثلتها طبقات المجتمع الذي يتكون منه المجتمع المصري والحياة العلمية هي نتيجة للعنصرين السابقين.

الحركة الفكرية:

لا نستطيع أن نوازن بين الحياة السياسية والحياة الفكرية في القرن السابع وما بعده، فقد كان بينهما بون واسع، فأما السياسة فقد رأينا طرفاً من فسادها واختلال أوضاعها، مما دفع الباحثين إلى تكوين فكرة عامة عن هذا العصر، كانت تصفه بالتخلف والضعف فلم يوجهوا جهودهم لدراسته؛ اعتقاداً منهم أن سقوط بغداد كان حداً فاصلاً بين الدولة وبين ضعفها

وانحلالها في عصور المماليك والعثمانيين، ومن ثم كان الحد الفاصل بين القوة والضعف في الفكر والعلم[1].

وسنرى الآن أن هذا الجانب المضطرب لم يكن تأثيره سيئاً في حياة الفكر ونشاط العقل في ذلك العصر، ونحن في عصر ابن الحاجب أمام مثال واضح لهذا التفاوت في جانبين من جوانب الحياة، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن بعض العوامل التي أدت للخلل السياسي، كانت هي نفسها العوامل التي ساعدت على رقي الحياة الفكرية وازدهارها. فما أصاب أنحاء العالم الإسلامي من أضرار، ألجأ علماء المشرق والمغرب إلى مصر، إذ لم يجدوا بلداً سواها تطيب لهم الحياة فيه، غدت مصر مركزاً للخلافة العباسية وصارت محل سكن العلماء، ومحط رحال الفضلاء[2]، وفي مصر اتجهت نيتهم إلى إنقاذ الثقافة الإسلامية من مخالب الجهل، وذلك بجمع المواد التي تتألف منها هذه الثقافة على شكل موسوعات عظيمة، لا تدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها.

فقد ازدهرت الحركة العلمية في عصر ابن الحاجب ازدهاراً واسعاً، فغدت مصر والشام محوراً لنشاط علمي متعدد الأطراف، وخير ما يدل على ذلك هو عظم الثروة العلمية التي وصلت من ذلك العصر وما زالت دور الكتب في جميع أنحاء العالم تزخر بمئات المخطوطات التي تناولت معظم ألوان المعرفة: الأدب والتاريخ والجغرافيا والعلوم الدينية، والطب والفلاحة والمعارف العامة[3].

ويتمثل هذا النشاط العلمي في ما يلي:

أ- الحديث والتفسير: احتل الدين في هذا العصر مكان الصدارة، وكان استمراراً طبيعياً للعصور السابقة، فظهر عدد ضخم من رجال الحديث على رأسهم ابن دُحيَّه "ت633" وبرع ابن عربي في التفسير الصوفي[4].

(1) زغلول، الأدب في العصر المملوكي، ص5.
(2) السيوطي: حسن المحاضرة، 86/2.
(3) عاشور، مصر والشام، 274.
(4) السيوطي، طبقات المفسرين، 188.

ب- الأدب: جدَّت عوامل نهضت بالأدب نهوضاً عظيماً، وسارت به أشواطاً جديدة، وكان من أهم هذه العوامل الحماسة الشديدة من أجل الدين، فقد صور الشعراء الأحداث والمشاعر والأحاسيس، وتغنوا بتحقيق الانتصارات، ووصفوا الواقع الذي حلَّ بالمسلمين، ولعل من أشهر شعرائهم في هذا العصر البوصيري صاحب البردة[1].

ولم يكن الأدب كله شعراً، بل إن الأدب المنثور كان غزيراً بين المؤلفة في الموضوعات العلمية والاجتماعية والأدبية والرسائل الديوانية والإخوانية والقصص القصيرة الخيالية والواقعية.

ج- التاريخ: ظهر في هذا العصر طائفة كبيرة من المؤرخين تركوا لنا تراثاً ضخماً، على رأسهم ابن خلكان "ت 681" الذي ألف كتابه الفريد وفيات الأعيان الذي صار عمدة الباحثين في التراجم.

د- الفلسفة: ركد التفسير الفلسفي في الشرق الإسلامي؛ وذلك لموقف الغزالي، إلا أنه نشط في الغرب الإسلامي على يد ابن طفيل "ت 581"، وابن رشد الذي وضع كتابه تهافت التهافت رداً على كتاب الغزالي. وبعده لم يظهر في العالم الإسلامي كله فيلسوف يستحق الذكر غير ابن ميمون، وابن عربي، وابن سبعين[2].

وفي مصر والشام أبغضت الدولتان الأيوبية والمملوكية الفلسفة والمنطق[3]، فلذلك ظهرت حركة التجديد حيث ذكر السيوطي[4] من كان من أرباب المعقولات، وذكر منهم: الخوانجي محمد بن ماء ورد الفيلسوف "ت 642"، صاحب الموجز في المنطق، وكشف الأسرار في الطبيعة، وشرح مقالة ابن سينا.

وكذلك فقد جماعة من المتكلمين من المشرق والمغرب منهم نصير الدين الطوسي وسعد الدين التفتازي[5].

---

(1) السيوطي، حسن المحاضرة، 2/1، 143/245.

(2) عبداللطيف حمزة، الحركة الفكرية، 336،339.

(3) الأدفوي، الطالع السعيد، 75؛ فوات الوفيات، 597/15 أبو المحاسن، 9/6.

(4) حسن المخاطرة، 233/1.

(5) شذرات الذهب، 175/6.

الحياة الدينية:

شهدت مصر في النصف الثاني من القرن السابع نشاطاً دينياً يستدعي الانتباه، وبخاصة بعد أن أصبحت قاعدة الخلافة العباسية، ومقصد المسلمين جميعاً، وكانت مصر لا يزال يوجد بها أثر للتشيُّع على الرغم من الجهود التي بذلها صلاح الدين وخلفاؤه لتدعيم مذهب السنة، ولكن سلاطين المماليك اتبعوا سياسة واضحة للقضاء على الآثار الشيعية، فخفت آثار التشيُّع بصورة واضحة[1]، وأخيراً ما يدل على اتساع دائرة النشاط الديني في مصر والشام كثرة المنشآت الدينية التي لم تستخدم في العبادة فحسب، بل استخدمت بمثابة مدارس يقصدها المعلمون والمتعلمون.

كذلك انتشر التصوف في هذا العصر، إذ وفد على مصر كثير من مشايخ الصوفية، مثل أبي الحسن الشاذلي، وأبي العباس المرسي، وأبي القاسم القمباري، وأحمد البدوي، وهؤلاء وجدوا في مصر تربة صالحة لنشر تعاليمهم ومذاهبهم، فازداد عدد المصريين الذين أقبلوا على هذا اللون الجديد من ألوان الحياة الدينية، وأخذ السلاطين يتقربون إلى الله ببناء الخنقاوات، وكان لانتشار التصوف أثره الخطير في الحياتين الاجتماعية والفكرية، إذا اصطبغت بصفة الزهد والرغبة عن الدنيا، وترتب على هذا نشر روح الاستكانة والقناعة والتذلل للحكام[2].

ولد العلامة عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب – رحمه الله – في العام الذي حكم وتولى فيه صلاح الدين الأيوبي زمام الأمور على الديار المصرية، بعدما قضي على الفتن التي أشعلتها حفنه من الأسوانيين والأعراب في كل من أسوان وطود بزعامة الكنز[3].

كذلك تحولت أنظاره إلى دمشق فانتزعها من أيدي الزنكيين، فأصبح سيد الموقف في كل من مصر والشام. لذلك يعد عام 570هـ هو العام الذي تولى الأيوبيون السلطة في مصر وفي هذه السنة نفسها ولد ابن الحاجب، واستمرت فتوحات صلاح الدين في أكثر أجزاء فلسطين حيث انتزعها من أيدي الصليبيين، ثم واصل الحرب حتى وفاته سنة 589هـ. فاضطربت الأمور بسبب

---

(1) : المقريزي، المواعظ والاعتبار، 161/4؛ محمد كامل حسين، التشبه في الشعر العربي، 73-74.

(2) سعيد عاشور، المجتمع المصري، 162-163.

(3) الكامل في التاريخ لابن الثير 414/11 دار صادر. بيروت.

تنازع أبناء الإقليم الواحد واختلافهم فيما بينهم حتى اضطرب البلاد نوبة من الأوبئة والمجاعات[1].

شهد ذلك العصر برغم الحروبات الكثيرة، إنشاء المدارس التي يدرس فيها مختلف العلوم إلا أن الطابع المذهبي كان الأبرز لهذه المدارس.

كذلك شهدت تلك الفترة الاهتمام بالقرآن الكريم، بحيث كان القراء لا يكتفوا بحفظه فقط، بل يتجهون إلى تعلم الفقه والنحو حتى كان بعضهم يتجه بها اتجاهاً أدبياً[2].

وفي ذلك الزمان اهتم الدارسون كثيراً بالقراءات؛ نسبة لصلتها القوية بالقرآن الكريم، حيث كانت هذه القراءات مفتاح الدرس النحوي في العصر الأيوبي في كل من مصر والشام.

واقترنت جهود العلماء في تلك الحقبة على إحياء تراث المتقدمين وترجيح بعض آرائهم. لذلك نجد ظهور الأسلوب التعليمي في الدرس النحوي، ويتمثل ذلك في وضع المتون والمنظومات المختصرة ثم شرحها والتعليق عليها.

وعلى وجه الخصوص اهتموا كثيراً بالمفصل الذي ألفه الزمخشري حيث شرحه كل من ابن يعيش والشخاوي وابن الحاجب.

فظهر اتجاهان:

أ- الذين تأثروا بالنحو البصري ومنهم ابن الحاجب وأبو حيان الأندلسي.

ب- الذين تأثروا بالاتجاهين البصري والكوفي وليس لهم رأياً مستقلاً مثل ابن مالك وابن هشام.

وقد نشط في ذلك العصر التأليف والنشر في كل من الطب والهندسة والجغرافية والفقه والتفسير والنحو والأصول[3]. في هذه البيئة العلمية الشاملة مختلف العلوم نشأ ابن الحاجب وأخذ مختلف العلوم من علمائها وتخرج على يديه طلاب يشهد لهم بطول الباع.

---

(1) الخطط المقريزية 235/2 " دار صادر بيروت".

(2) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية لأحمد بدوي ص93 "دار النهضة مصر للطباعة والنشر".

(3) خطط الشام، محمد كرد علي 44/4 بيروت.

بيئته:

مصر:

الموقع الجغرافي: تقع مصر شمال شرق أفريقيا على خط الطول 26 درجة شرقاً، ودائرة العرض 12 درجة شمالاً، ويمر بجنوبها مدار السرطان، وتحدها من الناحية الغربية دولة ليبيا، ومن الناحية الجنوبية السودان، ومن الشرق البحر الأحمر وخليج العقبة وفلسطين، والبحر الأبيض المتوسط من الشمال[1].

ترجع تسميتها بهذا الاسم إلى مصر بن مصر ايم بن حام بن نوح عليه السلام، وهي من فتوح عمرو بن العاص في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]، وهي التي افتخر بها فرعون على الورى، فيها كثير من آثار الأنبياء منها طور سيناء، ومشاهد يوسف، وعجائب موسى، وإليها هاجرت مريم بعيسى عليه السلان، وتسمى أم الدنيا وأحد جناحي الدنيا، ومفاخرها أكثر من أن تحصى، مصر قبة الإسلام، ونهره أجلّ الأنهار، قد وضعه الله بين البحرين، وقيل هو الربوة ونهره يجري عسلاً في الجنة، كرر الله ذكره في القرآن[3].

تُعد مصر خزائن الأرضين كلها، ألا ترى إلى قول يوسف عليه السلام لملك مصر: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)[4] ففعل فأغاث الله الناس بمصر وخزائنها، ولم يذكر عز وجل في كتابه مدينة بعينها بمدح غير مكة ومصر فإنه قال: (ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ)[5] وهذا تعظيم ومدح، وقال: (ﯡ ﯢ ﯣ)[6] فمصر لم يصرف فهو عَلَمَ لهذا الموضع. وقوله تعالى: (ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ)[7] تعظم لها، فإن موضعاً يوجد فيه ما يسألون لا يكون إلا عظيماً، وقوله تعالى: (ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ

(1) موسوعة العالم الإسلامية، الشيخ مشهود حسن حمود، وحسن يوسف أبو سمور، وعمر محمد العرموافي "وكالة التصميم للإعلان والطباعة، عمان – الأردن، ط1 1414هـ – 1994م"، ص162.

(2) معجم البلدان 137/5.

(3) حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، شمس الدين المقدس ليدن، ط2 1909م، ص193.

(4) سورة يوسف الآية (55).

(5) سورة الزخرف الآية (51).

(6) سورة البقرة الآية (61).

(7) سورة البقرة الآية (61).

ڪ ۇ)[1]، وقال تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ)[2] وقال النبي صل الله عليه وسلم : "إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً"[3][4].

سكانها أخلاط من الناس مختلفوا الأصناف والأجناس، والسبب في ذلك تداول المالكين لها المتغلبين عليها من العمالقة واليونانيين والروم والعرب وغيرهم، والمذاهب الإسلامية السائدة في مصر: المذهب الشافعي والمذهب المالكي[5].

(1) سورة يوسف الآية (21).

(2) سورة يوسف الآية (99).

(3)رواه الحاكم في "المستدرك (4032)" عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ مرفوعا، وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في "الصحيحة" (1374) على شرط الشيخين أيضاً.

(4) الطبقات الكبرى، لابن سعد "دار صادر بيروت" 214/8.

(5) موسوعة العالم الإسلامية، ص164.

المبحث الرابع

شيوخه وتلاميذه وآثاره

شيوخه:

تسنى لابن الحاجب أن يحظى في دراسته للعلوم على أساتذة كبار وأئمة العلم في زمانه، ومن أبرز أساتذته: أبو القاسم الشاطبي الضرير ت "590هـ"، والمقرئ والفقيه النحوي أبو الفضل الغزنوي ت "599هـ"، وقد أخذ عنهما القراءات، وأخذ الحديث عن هبة الله البوصيري ت "598هـ" والقاسم بن عساكر الدمشقي ت "600هـ"، وأخذ الفقه والأصول عن أبي الحسن الأبياري ت "618هـ". وقد برع في ما درسه لا سيما أصول العربية، وبرز في النحو حتى صار من كبار أعلامه[1].

تلاميذه:

لابن الحاجب تلامذة مشهورون أبرزهم الإمام شيخ الإسلام زكي الدين المنذري ت" 656هـ" والإمام العلامة جمال الدين بن مالك ت "672هـ"، وناصر الدين أبو العباس بن المنير ت "683هـ"، وكذلك الملك الناصر داود بن الملك عيسى بن العادل الأيوبي ت "656هـ"[2].

آثاره:

ألف ابن الحاجب في النحو، والصرف، والفقه، والعروض، والقراءات، وغيرها من العلوم، ومصنفاته كثيرة لاقت قبولاً لجزالتها، وانتفع الناس بها، وتعد كتبه النحوية مدرسة قائمة بذاتها، عاش على مائدتها النحويون[3].

ولكن مما يؤسف له حقاً أن لابن الحاجب مؤلفات كثيرة فقدت وأخرى لم تطبع بعد وهي دعوة لكل الباحثين والمهتمين بأمر اللغة العربية أن يعملوا جاهدين لأجل إخراج تراث هذا العالم

---

(1) وفيات الأعيان، لابن خلكان 250/3، سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي تحقيق مجموعة بإشراف شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة 266/23.

(2) الأعلام للزركلي 211/4، سير أعلام النبلاء، محمد أحمد عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط11 1995م، 265/23.

(3) مجلة اللسان العربي، المجلد العاشر 164/1، مقال بعنوان ابن الحاجب المصري وأثره في الدراسات اللغوية د/ عبدالعال سالم مكرم.

ليجد مكانه في المكتبة العربية حتى يحظى بوجوده كل الأجيال التي تتعاقب على دراسة النحو العربي [1].

لقد تناول الباحثون مؤلفات ابن الحاجب بالشرح والتعليق والمناقشة لأهميتها العلمية، وقد جمعتها ورتبتها بحسب موضوعاتها[2]:

أ- مصنفاته النحوية:

1- الكافية "مطبوع".

2- الأمالي النحوية[3] "مخطوطة".

3- الإيضاح في شرح المفصل، يقوم المجمع العلمي الكردي بطبعه.

4- شرح الكافية "مطبوع".

5- الوافية نظم الكافية "مخطوط".

6- شرح الوافية نظم الكافية.

7- القصيدة الموشحة بالأسماء المؤنثة السماعية "مطبوع".

8- رسالة في العشر، وهو بحث صغير في استعمال كلمة (عشر) "مخطوط"[4].

9- إعراب بعض آيات القرآن العظيم[5].

10- إلى ابني المفضل[6].

11- شرح كتاب سيبويه[7].

---

(1) مجلة اللسان العربي، المجلد العاشر 164/1، مقال بعنوان ابن الحاجب المصري وأثره في الدراسات اللغوية د/ عبدالعال سالم مكرم.

(2) المختصر في أخبار 169/3. شرح الوافية نظم الكافية، ص18.

(3) نسخها كثيرة في المكتبات بروكلمان 333/5.

(4) منه نسخه في مكتبة الدولة ببرلين ضمن مجموعة برقم 6894 وقدوصفها طارق عبدون، ابن الحاجب النحوي، ص109-110.

(5) ذكر بروكلمان 341/5، أنه موجود في مكة المكرمة، بمكتبتها اعتماداً على مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق 471/12.

(6) ابن الحاجب النحوي ص15، هذا ليس اسماً لكتاب لأن ابن الحاجب ليس له ابن سمي المفضل.

(7) هدية العارفين 655/1، كشف الظنون 1427/2.

12- المكتفي للمبتدئ شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي[1].

13- شرح المقدمة الجزولية، منه نسخه مخطوطة بفاس رقم 1198[2].

14- المسائل الدمشقية[3].

ب- مصنفاته الصرفية:

15- الشافية "مطبوع".

16- شرح الشافية "مطبوع ضمن مجموعة لشروح الشافية".

ج- مصنفاته في العروض:

17- المقصد الجليل في علم الخليل "مخطوط"[4].

د- مصنفاته في الأدب:

18- جمال العرب في علم الأدب[5].

هـ- مصنفاته في التاريخ:

19- ذيل على تاريخ دمشق للحافظ أبي الحسن علمين حسن المعروف بابن عساكر الدمشقي "ت 5571"[6].

20- معجم الشيوخ[7].

و- مصنفاته الفقهية:

21- جامع الأمهات[8].

---

(1)هدية العارفين 645/1، كشف الظنون 212/1.

(2) بروكلمان 342/5-350.

(3) أشار إليها في أماليه نسخه مصورة من السعودية في جامعة الدول العربية.

(4) منه ثلاثة نسخ في جامعة الدول العربية، وبروكلمان 332/5.

(5) هدية العارفين 655/1، كشف الظنون 593/1.

(6) كشف الظنون 294/1.

(7) كشف الظنون 1735/2.

(8) منه عدة نسخ مخطوطة بمكتبة الجامع الأزهر ودار الكتب المصرية، وعليها شروح. مقدمة الإيضاح ص40-41.

22- عقيدة ابن الحاجب[1].

ز- مصنفاته الأصولية:

23- منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل "طبع سنة 1326هـ" بمطبعة السعادة القاهرة.

24- مختصر المنتهى أو المختصر الأصولي طبع بيولاق سنة "1316هـ".

وطبع بمطبعة الفجالة الجديدة في القاهرة سنة "1974م" مع حاشية سعد الدين التفتازاني وحاشية الشريف الجرجاني على حاشية شرح القاضي عضد الملة والدين، مع حاشية حسن الهروي على حاشية الجرجاني[2].

شعره:

لم يكن ابن الحاجب شاعراً، والذي قاله لا يعد شعراً من حيث المقومات الشعرية، ومع ذلك فإنه قد نظم مقدمته النحوية "الكافية" في منظومة "الوافية" ونظم في العروض "المقصد الجليل إلى علم الخليل"، ونظم في الأسماء المؤنثات السماعية "القصيدة الموشحة بالأسماء المؤنثة".

وهذان البيتان من شعره[3]:

أي غـد مـع يـد دَدٍ ذي حـروف طاوعـت فـي الـروي وهـي عيـون
ودواة والحـوت والنـون نونـا ت عصـتهم وأمرهـا مسـتبين

وهما جواب عن البيتين المشهورين:

ربمـا عـالج القـوافي رجـال فـي القـوافي فتلتـوي وتلـين
طـاوعتهم عـين وعـين وعـين وعصـتهم نـون ونـون ونـون

(1) ذكر بروكلمان منها ثلاث نسخ: في ليبزج 150 رقم 10- الفاتيكان ثالث 258 رقم 9، الأسكوريال ثان 1500 رقم 6، 341/5، وعليها شرح لأحمد بن محمد بن زكريا التلمساني باسم "بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب" منه نسخه في مكتبة الأوقاف ببغداد برقم "5213" فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف 108/2.

(2) شرح الوافية نظم الكافية، ص21-22.

(3) وفيات الأعيان 248/3.

وهذان بيتان له في الأخوانيات تبدو فيهما عقلية الفقيه[1]:

إن غبتم صورة عن ناظري فما زلتم حضوراً على التحقيق في خلدي
مثل الحقائق في الأذهان حاضرة وإن ترد صورة في خارج تجد

وله بيتان في معناه هما قلبهما في قافية أخرى فقال[2]:

إن تغيبوا عن العيون فأنتم في القلوب حضوركم مستمر
مثل ما تثبت الحقائق في الذهن وفي خارج لها مستقر

ومن أبياته أيضاً[3]:

قد كان ظني بأن الشيب يرشدني إذا أتى فإذا غيي به كثرا
ولست أقنط من عفو الكريم وإن أسرفت جهلا فكم عافى وكم غفرا
إن خص عفوا الهي المحسنين فمن يرجو المسيء ويدعو كلما عثرا

وله في أسماء قداح الميسر[4]:

هي فذّ وتوأم ورقيب ثمّ حلس ونافس ثمّ مسبل
والمعلَّى والوغد ثمّ سفيح ومنيح وذي الثلاثة تهمل
ولكلّ ممّا عداها نصيب مثله أن تعدّ أوّل أوّل

وفاته:

وبعد حياة حافلة بالتحصيل والبذل والعطاء في رحاب العربية اتفق المؤرخون عدا قنفذ[5] والخوانساري[6] بأن وفاة ابن الحاجب كانت سنة ست وأربعين وستمائة، هذا ما ذهب إليه ابن

(1) الطالع السعيد، ص 352.
(2) المرجع السابق، ص 356.
(3)المرجع السابق، ص 356.
(4) شذرات الذهب، 234/5.
(5) ابن قنفذ: أحمد بن الحسن بن علي القسطيني الأديب المالكي يعرف بابن الخطيب، توفي سنة عشر وثمانمائة؛ هدية العارفين 117/1.
(6) الخوانساري: عبد العلي بن جعفر بن مهدي الخوانساري النخعي، توفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف. فوات الوفيات 294/1؛ النجوم الزاهرة 37/7؛ الإعلام 30/4.

أبي شامة في كتابه ذيل الروضتين: "وجاءنا الخبر في ذي القعدة أن الشيخ أبا عمرو بن الحاجب رحمه الله توفي بالإسكندرية في شعبان سنة ستٍ وأربعين وستمائة للهجرة"[1]. كذلك قال ابن خلكان: "... ثم انتقل إلى الإسكندرية للإقامة بها فلم تطل مدته هناك، وتوفي بها ضاحي نهار الخميس السادس والعشرين من شهر شوال سنة ستٍ وأربعين وستمائة"[2]. أيضاً قال: الأدفوي في الطالع السعيد[3] من الملاحظ اختلاف ابن أبي شامة وابن خلكان في تحديد شهر وفاته وقال الخوانساري: "وقد اشتهر بين الناس أنه قتل ببغداد في واقعة هولاكو"[4] ورواية كل من ابن قنفذ والخوانساري، غير صحيحة بل مستبعدة كل الاستبعاد، وذلك لأن وفاة الشيخ ابن الحاجب في سنة ست وأربعين وستمائة للهجرة، جاء في كتب كل من ابن أبي شامة، وابن خلكان وكلاهما من معاصري ابن الحاجب ويعرفانه حقاً، ويهتمان بأخباره وأيضاً قول بن أبي شامة: "جاءنا الخبر ..."، وكذلك "وأخبرنا صهره الكمال أحمد بن سليمان أنه دفن خارج الإسكندرية في المقبرة التي على يمين المنارة قرب قبر الشيخ صالح بن أبي شامة"[5].

فمن هذا كله اتضح للباحث أن ابن أبي شامة سمع الخبر والتقى بصهر ابن الحاجب، وسأله عن مكان قبره مما يؤكد مكانة ابن الحاجب بالنسبة لابن أبي شامة، ومتابعته لأخباره. وكذا ابن خلكان من المعاصرين لابن الحاجب والمهتمين بأخباره، وكان على علم بسفره إلى الإسكندرية ومدة إقامته القصيرة هناك.

بناء على ما سبق فإن الأرجح هو وفاة ابن الحاجب في سنة ست وأربعين وستمائة للهجرة، وقد دفن في الإسكندرية خارج باب البحر في تربة الشيخ ابن أبي شامة[6].

وقد رثاه ابن المنير بهذه الأبيات:

ألا أيُّهـا المختـالُ فـي مَطْـرِفِ العُمْـرِ هَلُـمَّ إلـى قَبْـرِ الفقيـهِ أبـي عَمْـرِو
تـرى العلـمَ والآدابَ والفضـل والتقـى ونيـلَ المنـى والعـزّ غُيِّبْنَ فـي قَبْـرِ

(1) ذيل الروضتين، ص182.
(2) وفيات الأعيان 219/3.
(3) الطالع السعيد، ص354.
(4) روضات الجنات، 187/5.
(5) ذيل الروضتين، ص182.
(6) المرجع السابق، ص182؛ وفيات الأعيان 250/3.

فتـــدعو لـــه الـــرحمنَ دعـــوةَ رحمـــةٍ يكافـــأ بهـــا فـــي مثـــلِ منزلـــهِ القَفْـــرِ

مذهب ابن الحاجب في النحو:

إن الذي يدقق للتراجم التي ذكرها الذين ترجموا لابن الحاجب، تظهر له بأنه من ألمع العلماء الذين ظهروا في العصر الأيوبي، وأشهر علماء النحو الذين عاصرهم، أمثال ابن يعيش، وابن معط وابن مالك. ومما ذكره أصحاب التراجم قول ابن خلكان: "وخالف النحاة في مواضع، وأورد عليهم إشكالات والزامات، تبعد الإجابة عنها"[1] وقول أبي شامة: "كان بارعاً في العلوم الأصولية وتحقيق علم العربية"[2]، وقول النعيمي: "وحرر النحو تحريراً بليغاً، تفقه وساد أهل عصره، وكان رأساً في علوم كثيرة، منها: الأصول والفروع، والنحو، والتصريف، والعروض، والتفسير، وغير ذلك"[3]، وقال الذهبي: "أنه كان من أدباء أهل زمانه وأبلغهم بياناً"[4]، وقال صاحب مفتاح السعادة: "ولزم الاشتغال حتى برع في الأصول، والعربية، وكان من أذكياء العالم"[5]، ومن هنا يتضح لنا أهمية ابن الحاجب عند المعاصرين له والمتأخرين عنه، والعلم والتحقيق؛ ولإماطة اللثام، وجلاء الحقيقة نحاول معرفة مدى انطباق هذه الأقوال على شخصيته.

ولا يتسنَّى ذلك إلا عن طريق الإجابة عن هذا السؤال. هل كان ابن الحاجب مجدداً أو مقلداً؟ وإذا كان مجدداً فما مدى هذا التجديد؟ وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي علينا أن نعرض له من وجهتين:

وجهة انتمائه المذهبي، وآرائه التجديدية في النحو[6].

انتماؤه المذهبي في النحو:

سبق ولقد ذكرت أن مذهب ابن الحاجب النحوي لم يكن بصرياً ولا كوفياً، وإنما كان مذهبه مذهب أصحاب المزج والاختيار وبينت أنه من مقومات هذا المذهب المزج بين الآراء،

---

(1) وفيات الأعيان 413/2.

(2) ذيل الروضتين، ص182.

(3) الدارس 3/2.

(4) العبر الذهبي "تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة الكويت لسنة 1966م" 189/5.

(5) مفتاح السعادة 138/1-140.

(6) شرح الوافية نظم الكافية 89-101.

وعدم التعصب المذهبي، والتجديد في الدراسات النحوية، وقد ذكرت الدليل على أن ابن الحاجب كان يمزج بين الآراء، وينتقي من آراء المدرستين ما يوافق رأيه النحوي[1].

أما عدم تعصبه المذهبي، كذلك بينت اعتماده على الدليل في ترجيحه للآراء النحوية، فإذا استقام الدليل مع آراء أهل الكوفة يرجح مذهبهم، وإذا لم يدعم الدليل أحد الاتجاهين السابقين، مزج بين الرأيين، واختار منهما ما يوافقه، وقد يتفرد برأي يخالف فيه النحاة.

آراء ابن الحاجب التجديدية في النحو:

قد مرت الدراسات النحوية بعدة أدوار، أهمها دور النشوء، على يد أبي الأسود الدؤلي، ودور تقعيد القواعد، وتعليل العلل النحوية المختلفة على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي[2]، ودور التأليف في الدراسات النحوية واللغوية ولم يصلنا إلا كتاب سيبويه.

ويظهر تجديد ابن الحاجب في محورين:

الأول: استعماله للطرق المنهجية المقبولة.

الثاني: تسهيل المادة النحوية للباحثين.

موقفه من المذاهب النحوية:

أ- مذهب ابن الحاجب النحوي في الكافية:

وهنا لابد من الإشارة إلى الخلاف بين علماء البصرة والكوفة حتى يُحكم على العلامة ابن الحاجب من خلال آرائه فإذا قارنا بين نحاة البصرة والكوفة في أصول المنهج، نجد كل منهم يرى أن النحو سماع فقياس وخلافهم ينحصر في التطبيق، فقد تمسك نحاة البصرة في السماع والقياس، أما نحاة الكوفة فقد توسعوا في السماع والقياس"؛ ومع ذلك لا نجدهم قد اتفقوا على

(1) مقدمة الإيضاح، ص120-154-156، وشرح الوافية، ص90.

(2) الإيضاح في علل النحو للزجاجي، ص65، والمدارس النحوية ص23-25-28.

مسألة مهمة من مسائل الخلاف على رأي واحد كل نحاة البصرة أو جميع نحاة الكوفة، بل نجدهم يؤيد البعض الآخر، أي البصريون يؤيدون الكوفيين أو العكس[1].

وقد خالف ابن الحاجب البصريين لكنه يصرح نصاً بهذا الخلاف مثلما فعل مع الكوفيين، أي يخالفهم ضمناً. وذلك نحو: عامل الرفع في الفعل المضارع، وهناك من خالفهم من البصريين مصرحاً بذلك، نحو: قوله خلافاً لـ سيبويه ويونس بن حبيب والمازني والمبرد، والزجاج وغيرهم.

خالف ابن الحاجب الكوفيين في مواضع كثيرة منها: أن "من" تأتي حرف جر زائدة وأن ضمير "رب" مفرداً مذكراً، ومنع العطف على اسم "إن" المكسورة بالرفع قيل تمام الخبر. في هذه المسائل خالفهم صراحة، وأيضاً خالفهم ضمناً في مواضع كثيرة منها:

العطف على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض، وبناء المنادى المفرد المعرفة؛ ومنع إضافة الاسم إلى اسم يوافقه في المعنى، ومنع تقديم خبر "ما" النافية عليها، وغيرها من المسائل، وأكثر المسائل التي خالف فيها الكوفيين ضمناً، كما أن هناك من خالفهم من الكوفيين صراحة، مثل الكسائي، والفراء، وابن كيسان، وسيذكر الباحث في هذا الجزء نماذج لتلك المسائل التي خالف فيها الكوفيين ليس حصراً بل على سبيل المثال.

ب- ابن الحاجب والمذهب البصري:

المسائل التي خالف فيها البصريين ضمناً:

المسألة: عامل الرفع في الفعل المضارع:

قال ابن الحاجب الفعل المضارع: "ويرفع إذا تجرد عن الناصب والجازم نحو: تقوم"[2].

رفع الفعل المضارع لتعديه من الناصب والجازم، وهذا هو المختار عند ابن الحاجب وأكثر الكوفيين، وحجتهم في ذلك أن الفعل المضارع تدخل عليه النواصب والجوازم، فإذا دخلت عليه النواصب دخله النصب نحو: "أريدُ أن تقومَ"، وإذا دخلت عليه الجوازم، دخله الجزم نحو:

(1) المرتجل لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن الخشاب، تحقيق علي حيدر، "دمشق 1392هـ-1972م"، ص43.
(2) مجموع مهمات المتون "متن الكافية" 416.

"لم يقمْ زيدٌ"، وإذا لم تدخله النواصب أو الجوازم يكون مرفوعاً، نحو: "كاد زيدٌ يقوم" لأنه لا يجوز أن يقال: "كاد زيدٌ قائماً" فلما وجب رفعه بالإجماع دل على صحة ما ذهبوا إليه، وخالف الكسائي الكوفيين قائلاً: بأن المضارع يرتفع بالزائد في أوله وأما البصريون فيقولون: بأنه يرتفع لقيامه مقام الاسم وذلك لأن قيامه مقام الاسم عامل معنوي، فأشبه الابتداء والابتداء يوجب الرفع، فكذلك ما أشبهه هذا الوجه الأول، أما الوجه الثاني أنه بقيامه مقام الاسم قد وقع في أقوى أحواله فلما وقع في أقوى أحواله وجب أن يعطي أقوى الإعراب، وهو الرفع[1].

بهذا نجد أن ابن الحاجب ذهب مذهب الكوفيين، مخالفاً منهم الكسائي والبصريين.

ج- من خالفهم من البصريين:

الخليل وأبو عمر وأبو العباس:

المسألة: توابع المنادى المبني:

قال ابن الحاجب: "وتوابع المنادى المبني المفردة من التأكيد والصفة وعطف البيان، والمعطوف الممتنع دخول "يا" عليه ترفع على نقطة، وتنصب على محله، مثل "يا زيدُ العاقلُ والعاقل، والخليل في المعطوف يختار الرفع، وأبو عمر النصب، وأبو العباس إن كان كالحسن فكالخليل، وإلا فكأبي عمر"[2].

فصل ابن الحاجب التوابع الجاري فيها هذا الحكم وهي:

التأكيد والصفة مطلقاً، وعطف البيان المعطوف بحرف الممتنع دخول "يا" عليه بخلاف البدل، فأجاز فيها الرفع والنصب، فالرفع عملاً على لفظه الظاهر أو المقدر لأن بناء المنادى عرضي فيشبه المعرب، فيجوز أن يكون تابعه تابعاً لمحله ومحله منصوب على المفعولية نحو: يا تيم أجمعون وأجمعين في التأكيد، وفي الصفة: يا زيد العاقلُ والعاقلَ، وفي عطف البيان: يا

(1) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تأليف الإمام كمال الدين عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري النحوي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، "مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، الطبعة الثانية 1953هـ"، 319/2.

(2) مجموع مهمات المتون "متن الكافية" ص389.

غلام بشر وبشراً، وفي المعطوف بحرف الممتنع دخول "يا" عليه: يا زيد الحارث والحارث، واقتصر على الصفة لأنها أكثر وأشهر استعمالاً[1].

والخليل بن أحمد في المعطوف الممتنع دخول "يا" عليه يختار الرفع، لأن المعطوف بحرف في الحقيقة منادى مستقل فينبغي أن يكون مبنياً على الضمة أو ما يقوم مقامها وذلك على تقدير مباشرة حرف النداء له، ولكن ما لم يباشره حرف النداء جعلت تلك الحالة إعراباً فصارت رفعاً، وأبو عمرو بن العلاء يختار النصب في توابع المنادى مع أنه يجوز الرفع، فإنه لما امتنع فيه تقدير حرف النداء بواسطة اللام لا يكون منادى مستقلاً فله حكم التبعية، تابع المبني تابع لمحله ومحله النصب، وأبو العباس المبرد، إن كان المعطوف المذكور كالحسن أي كاسم الحسن في جواز نزع اللام عنه، فإنه يختار الرفع كالحسن في جواز نزع اللام مثل: "الصعق، النعيم" فإنه يختار النصب كأبي عمرو بن العلاء، وذلك لامتناع جعله منادى مستقلاً[2].

بهذا خالف ابن الحاجب الخليل وأبا عمرو وأبا العباس والمبرد وجوز الرفع والنصب.

د- ابن الحاجب والمذهب الكوفي:

1- المسائل التي خالف فيها الكوفيين نصاً:

المسألة: "من" حرف جر زائد.

قال ابن الحاجب: (وزائدة في غير الموجب خلافاً للكوفيين والأخفش، "وقد كان من مطر" وشبه متأول) [3].

(1) الأصول في النحو، لأبي بكر بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق عبدالحسين القتلي " مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3 1417هـ - 1996م" 369/2؛ الأمالي النحوية لابن الحاجب ص28، الفوائد الضيائية 329/1-330.

(2) المقتصب، لأبي العباس المبرد، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، القاهرة، ط2 1399هـ - 1979م، 4//212-213؛ الفوائد الضيائية 331/1-332.

(3) مجموع مهمات المتون "متن الكافية" 423.

"من" الزائدة تعرف بأنك لو حذفتها لكان الكلام مستقيماً، وهي تؤكيد بمنزلة "ما" إلا أنها تجر، لأنها حرف إضافة، ومن ذلك قوله: ما أتاني من رجل، وما رأيت من أحد، ولو أخرجت "من" كان الكلام حسناً، ولكنه أكد بـ "من" لأن هذا موضع تبعيض[1].

والمخار عند ابن الحاجب: أن "من" تكون حرف جر زائد في حالة النفي، ولا تكون زائدة في غير النفي، وأما ما استشهد به " وقد كان من مطر" فهو متأول من "قد كان شيء من مطر"[2].

ذهب بعض النحويين ومنهم الأخفش إلى أنه يجوز أن تكون "من" زائدة في الموجوب، مستدلين بقوله تعالى: (ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ)[3]، فمن زائدة، وما استدلوا به لا حجة فيه، لأن "من" ليست زائدة، بل للتبعيض، لأنه من الذنوب ما لا يكفر بإبداء الصدقات أو إخفائها وإيتائها الفقراء، وهي مظالم العباد.

2- المسائل التي خالف فيها الكوفيين ضمناً:

المسألة: العطف على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض:

قال ابن الحاجب: "وإذا عطف على الضمير المجرور أعيد الخافض نحو: مررت بك وزيد"[4].

لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار، لأن المجرور إذا كان مضمراً اشتد اتصاله بالجار ولم ينفصل منه، ولهذا لا يكون إلا متصلاً فامتنع العطف عليه لما لم يكن له مضمر منفصل لذلك أعادوا العامل الأول ليكون في حكم الاستقلال ومنهم من قال: إن المضاف إليه إذا كان مضمراً صار بمنزلة التنوين، وكما لا يعطف على التنوين، كذلك لا يعطف على

(1) كتاب سيبويه 25/4.
(2) شرح الوافية نظم الكافية، ص381.
(3) سورة البقرة، الآية 271.
(4) مجموع مهمات المتون "متن الكافية" 400-401.

هذا المضاف إليه، وكونه مشابهاً للتنوين لا يستقل معه كلاماً، كما أن التنوين لا يستقل مع المنون كلاماً[1].

بهذا ذهب ابن الحاجب مذهب البصريين الذين يمنعون العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض مخالفاً الكوفيين الذين يجيزون ذلك[2].

ويرى ابن الحاجب هنا أن الكوفيين على حق، وذلك لأن هناك أدلة تدعم رأيهم نحو قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ)[3] حيث قرأ "الأرحامِ" بالخفض، وهي قراءة حمزة[4]، أحد القراء السبعة، وكذلك من كلام العرب ما يؤيد مذهبهم كقول الشاعر:

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب

فـ "الأيام" خفضت بالعطف على "الكاف" في "بك" وتقدير الكلام وبالأيام[5].

3- من خالفهم من الكوفيين: (الفراء)

المسألة: الإضافة اللفظية "الضارب زيد"

قال ابن الحاجب: (وامتنع الضارب زيد خلافاً للفراء)[6]، " تكون الإضافة اللفظية بإضافة صفة إلى معمولها، مثل: ضارب زيد، ولا يفيد إلا تخفيفاً"[7].

منع ابن الحاجب إضافة "الضارب" إلى "زيد" وذلك لأن الإضافة اللفظية تفيد التخفيف في اللفظ، والتخفيف يكون بحذف النون في المثنى، وجمع المذكر السالم، نحو: الضاربا زيد، الضاربو زيد، على الترتيب، أو بحذف التنوين من المفرد المعرّف، مثل: ما يزال الحرُ همام نفس إلى المعالي.

---

(1) الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب 456/1.

(2) الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين 272/2.

(3) سورة النساء، الآية (1).

(4) حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل الزيات الكوفي، يكنى أبا عمارة راوياه خلف بن هشام يكنى أبا محمد، وخلاد بن خالد ويقال ابن خليد الكوفي ويكنى أبا عيش توفي سنة 156هـ، معجم الأدباء 1219/3؛ وفيات الأعيان 186/2؛ شذرات الذهب 392/1.

(5) البيت بلا نسبة، الإنصاف في مسائل الخلاف، 275/2-276.

(6) مجموع مهمات المتون "متن الكافية" 398.

(7) الأمالي النحوية لابن الحاجب، ص70.

أما في المثال: "الضارب زيد" فالتنوين زال بالتعريف فصارت الإضافة "الضارب" إلى "زيد"، وعلته في ذلك أن التعريف الحق بالمضاف "الضارب" التنوين بعد أن خفف، أي حذف التنوين ثم ألحقت علامة التعريف بـ "الضارب" وهذا لم يثبت في كلام العرب. وأن جملة "الضارب زيد" على "الضارب الرجل"، فليس بوجه، وذلك لأن الضارب الرجل، لم يحصل فيه تخفيفاً بالإضافة، وإنما حمل على ما حصل فيه تخفيف مشبه به، وذلك هو "الحسن الوجه" والجرُّ فيه هو المختار، لأنك لو رفعت "الوجه" لخلت الصفة من الضمير، وهو قبيح، وأما النصب في مثله فتوطئة للجر، وذلك أنهم لما أرادوا الإضافة في "الحسن وجهه" بالرفع، لقصد التخفيف، حذفوا الضمير واستتر في الصفة، وجيء بلام في المضاف إليه، واللام بدل من الضمير في مثل هذا المقام مطرداً، وفي غيره أيضاً عند الكوفين[1].

4- الآراء التي انفرد بها ابن الحاجب:

سار ابن الحاجب في ركب البصريين، ثم خالفهم متبعاً الكوفيين في بعض المسائل التي وضع فيها الحق بجانبهم، وكان يدور حول هذين المذهبين، فيختار أقربهما إلى نفسه، وأصحهما في عقله وأقواهما في نقله، أو أنه خرج عن هذه الدائرة يلتمس الدليل بنفسه من غير نظر إلى هذا المذهب أو ذلك، وكل الأدلة تؤيد هذا الاتجاه، وتثبت أن ابن الحاجب كان إماماً مجتهداً في النحو كما كان مجتهداً في الفقه، ومعنى هذا أن لابن الحاجب آراء انفرد بها، وتوجيهات نحوية لم يسبقه أحد فيها، وقد أقرَّ له بذلك كل من ترجموا له وكتبوا عنه فقالوا: (وخالف النحاة في مواضع، وأورد عليهم إشكالات وإلزامات تعذر الإجابة عليها) [2].

ومن المسائل التي خالف فيها النحاة: الاستفهام المسوّغ والابتداء بالنكرة، وهو الهمزة المعادلة بأن، وقوله بأن الإضافة لا تفيد إلا التخفيف، بشرط استعمال "إلا" بمعنى غير، خالف الجمهور في أن كل ما دلَّ على هيئة صحَّ أن يقع حال، وغيرها من المواضع[3].

(1) الأمالي النحوية لابن الحاجب، ص70-71؛ الكافية في النحو 281/1-282.

(2) شذرات الذهب 234/5.

(3) المدرسة النحوية في مصر والشام، ص78.

المسألة علامات الإعراب:

قال ابن الحاجب: " ... النصب علم المفعولية"[1].

لم يختلف ابن الحاجب مع المتأخرين إلا في الفتحة، حيث قال النصب علم المفعولية[2]، بينما ذهب المتأخرون إلى أن الفتحة على الحركة الخفيفة المستحية عند العرب، والتي يحبون أن يشكل بها آخر كل كلمة في الوصل، ودرج الكلام[3].

هذا الكلام غير مقبول، لأن العلامات التي ذكروها أعلاماً، لا تنطبق على جميع ما وضعت له بل على الأغلب، فلو أخذنا الكسرة مثلاً ليس كل اسم مضافاً إليه، فقد توجد الكسرة في الاسم ولو لم يكن مضافاً إليه، كما أن هناك قسماً من الأسماء المبنية ليس بمضاف إليه، ولكنها مكسورة الآخر، مثل جبر، أمس، حزام وغيرها، وكذلك الضمة التي هي علم الفاعلية وشبهها ولكننا نجد بعض الأسماء، مثل: منذ، حيث، وقبل، وبعد وغيرها مضمومة الآخر، ولكنها ليست بفاعل ولا شبهه، وأيضاً الفتحة إنها علامة المفعولي، أي أنها تشمل الأغلب، إلا أن استعمال الفتحة علامة أكثر من بقية العلامات، وذلك لأنها تستعمل في المفاعيل، والمفاعيل أكثر الأسماء، لذلك لا يمكن أن يكون استعمال الفتحة بكثرة دلالة على أنها غير علامة لشيء، ولذلك يكون استعمال الفتحة علامة للمفعولية أولى من جعلها ليست علامة لشيء، وبهذا يترجح ما ذهب إليه ابن الحاجب وهو أن الفتحة علامة المفعولية[4].

---

(1) مجموع مهمات المتون "متن الكافية"، 382.

(2) شرح الوافية "نظم الكافية"، ص96-97.

(3) إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، "دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1420هـ-2003م" ص78.

(4) شرح الوافية "نظم الكافية"، ص98.

الفصل الثاني

كتاب الكافية وما اشتمل عليه

المبحث الأول: نسبة الكتاب إلى مؤلفه وتاريخ تأليفه

المبحث الثاني: الخصائص العامة لمنهج ابن الحاجب

المبحث الثالث: مصادر الكتاب المباشرة وغير المباشرة

المبحث الرابع: مذهبه واصطلاحاته

المبحث الأول

نسبة الكتاب إلى مؤلفه وتاريخ تأليفه

تحدثت كثير من المصادر والمراجع عن شخصية إمام العربية ابن الحاجب وعن مؤلفاته وعن مجهوداته في علم النحو والصرف وعن شهرة ابن الحاجب التي كان ولا تزال تملأ الأفق. وقد قدم ابن الحاجب خدمة جليلة للنحو العربي بهذه المؤلفات وقد حوت المكتبات العربية هذه المؤلفات[1].

ومن هذه المؤلفات التي نالت شهرة واكتسبت أهمية ذلك الكتاب والذي هو موضوع بحثنا الآن. وحتى نثبت صحة الكتاب لمؤلفه لابد من الاستشهاد بأدلة دامغة ومصادر موثقة.

قد ذكرت كتب التراجم أن ابن الحاجب شرح مقدمته في النحو المسمى'' بالكافية'' ثم نظم المقدمة بناءً على طلب الملك الناصر ثم شرح النظم والتي تسمى ''الوافية'' اسمه شرح الوافية نظم الكافية، وهذا يؤكد أن لابن الحاجب يسمى''بالكافية'' والتي دون شهرته وملأ الآفاق[2].

وهنا يجدر بي أن أذكر اسم هذا المؤلف الذي هو مدار بحثنا، اسمه الكامل (كافية ذوي الأدب في معرفة كلام العرب) وهي مقدمة شاملة في علم النحو، تكفي الدارس ليحيط علماً بالموضوعات الأصول في هذا الفن – أعني النحو– بعيداً عن كثير من التفاصيل والفروع والخلافات وهذا ما قصده ابن الحاجب[3].

([1]) الفصل الأول، التعريف بابن الحاجب.

([2]) شرح الكافية، وشرح الوافية نظم الكافية.

([3]) الكافية في علم النحو، تأليف ابن الحاجب جمال الدين عثمان عمرو بن أبي بكر، تحقيق د.صالح عبدالعظيم الشاعر، مكتبة الآداب ،ميدان الأمير، القاهرة، يوليو 2010م رجب.

أقوال العلماء على الكافية:

توثيق نسبة الكتاب، من الأمور المهمة في إرجاع المصنفات إلى أصحابها الذين ألفوها، وهذا التوثيق يثبت بالأدلة القاطعة التي لا تقبل الشك؛ لأن كثيراً من المصنفات تنسب لغير أصحابها، وذلك نتيجة لاشتراكها مع غيرها بالعنوان أو اسم المؤلف.

وها هو صاحب كتاب مفتاح السعادة مترجماً حياة ابن الحاجب، قال: (وله الكافية وشرحها ونظمها الوافية وشرحها)[1] كذلك وقال السيوطي: (والكافية في النحو وشرحها، والوافية وشرحها)[2] وقال حاجي خليفة: (وبعد ذلك طلب منه – أبو الملك الناصر داود – أن يشرح له النظم، فشرحه بشرح سماه (شرح الوافية نظم الكافية)[3] وهكذا تتأكد نسبته عند أصحاب التراجم.

تاريخ تأليف الكتاب:

لا أدعي معرفة تاريخ لتأليف هذا الكتاب، ولكن يمكن أن أستنتج بعض الحقائق والأدلة التي سوف تقوده لتاريخ تأليفه.

وها هو معلوم فإن (الوافية) هي نظم للكافية أما ما ورد في ثناياها فسنوضحه في الفصول القادمة إن شاء الله وكذلك أن ابن الحاجب شرح القافية[4].

وقد قلبت أمهات كتب التاريخ والتراجم ولم أعثر على تاريخ محدد لتأليفه هذا الكتاب الموسوم بـ (الكافية) ومهما يكن من أمر فإن كتاب (الكافية) يعد من أهم مؤلفات ابن الحاجب.

وسأعمل جاهداً على الإجابة على السؤال هل هذا المؤلف هو أول كتاب قام بتأليفه أم آخر تأليف للمؤلف؟

وقد نجد أن هذا الكتاب مليء بتجارب هذا الشيخ الجليل وأستاذ العربية بلا منازع.

([1]) مفتاح السعادة 140/1.

([2]) حسن المحاضرة، 194/1.

([3]) كشف الظنون، 1374/2 وشرح الوافية ص 111.

([4]) شرح الوافية.

موضوعات ابن الحاجب في كتابه الكافية وترتيبها:

كافية ابن الحاجب خالية من المقدمة، خالية من الحمد لله، وقد أشار إلى هذا الجامعي واعتذر له[1].

أما من ناحية التقسيم والترتيب فقد حذا ابن الحاجب حذو الزمخشري في المفصل وامتاز عنه بجعل موضوعات الكافية نحوية محضة، وافرد للموضوعات الصرفية كتاباً خاصاً سماه (الشافية)، وبهذا يكون ابن الحاجب قد نهج نهجاً يقوم على التخصص والتأليف[2]، قسم ابن الحاجب الكافية إلى أقسام ثلاثة هي على الترتيب:

قسم الأسماء وقسم الأفعال وقسم الحروف:

وقد استهل صاحب الكافية كتابه بتعريف الكلمة والكلام ذاكراً أنواع الإعراب، ومن خلال ذلك أورد أحكام الممنوع من الصرف، موانع الصرف وذكر النظم الذي يجمعها[3]، ثم بعد ذلك دخل في قسم الأسماء وهو القسم الأول من أقسام الكتاب، بدأه بالمرفوعات معرفاً المرفوع بقوله : (هو ما اشتمل على علم الفاعلية[4] وفيه عرف الفاعل وذكر وجوب تقديمه ووجوب تأخيره، وجواز حذف الفعل ووجوبه، وجواز حذف الفعل والفاعل معاً، ثم تناول نائب الفاعل تحت عنوان (مفعول ما لم يسم فاعله) ثم عرف المبتدأ والخبر، ثم ذكر جواز حذف المبتدأ، وجواز حذف الخبر، ثم تناول خبر (إن) وأخواتها ومعرفاً له، وخبر(لا) لنفي الجنس واسم (ما) و(لا) المشبهتين بليس[5] ثم انتقل بعد ذلك إلى (المنصوبات) عرف المنصوبات بقوله: (هو ما اشتمل على علم المفعولية) ثم بحث فيه المفعول المطلق معرفاً له مبيناً أنواعه، ثم بحث المفعول به، والمنادى، وما أضمر عامله على شريطة التفسير (الاشتغال، والتحذير، والمفعول فيه، والمفعول له، والمفعول معه، والحال، والتمييز والمستثنى، وخبر كان وأخواتها، والمنصوب بـ (لا) التي

([1]) الفوائد الضيائية 23/1.

([2]) المرجع السابق 23/1.

([3]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية)،381- 384.

([4]) المرجع السابق، ص 384.

([5]) المرجع السابق، ص384-388.

لنفي الجنس، وخبرها (ما) و(لا) المشبهتين بليس[1]، ثم المجرورات وبحث فيه: الإضافة[2]، ثم التوابع وبحث فيه: العطف، والتأكيد والبدل، وعطف البيان[3]، ثم الاسم المبني وبحث فيه: المضمرات، وأسماء الإشارة، والموصولات، وأسماء الأفعال والمركبات، والكنايات، والظروف، ثم عرض للمعرفة والنكرة وأسماء العدد، والمذكر والمؤنث، والمثنى، والجموع والمصدر والمشتقات (اسم الفاعل، اسم المفعول، والصفة المشبهة واسم التفضيل)[4].

ثم قسم الأفعال وهو القسم الثاني من أقسام الكافية، وفيه بحث الماضي، والمضارع، بإعرابه وبنائه، ثم فعل الأمر ثم ما لم يسم فاعله (المبني للمجهول)، ثم الفعل المتعدي وغير المتعدي، وأفعال القلوب، والأفعال الناقصة، ثم أفعال المقاربة، ثم فعلي التعجب، وأفعال المدح والذم[5].

ثم قسم الحروف وبحث فيه: حروف الجر، والحروف المشبهة بالفعل، والحروف العاطفة، وحروف التنبيه، وحروف النداء، وحروف الزيادة وحروف الإيجاب وحرفي التفسير، وحروف المصدر وحروف التخصيص، وحرف التوقيع وحرفي الاستفهام، وحروف الشرط وحروف الردع، وتاء التأنيث الساكنة، والتنوين، ونون التوكيد[6].

هكذا قسم ابن الحاجب الكافية إلى اسم وفعل وحرف متناولاً في كل قسم الأحوال النحوية الخاصة به بصورة منفصلة عن غيره من الأقسام، وكان ينتقل من قسم لآخر دون تمهيد بل الانتقال يكون تلقائياً ومباشراً، وقد التزم ابن الحاجب بهذا التقسيم ولم يخل به إلا في بعض المواضع القليلة جداً، والدليل على التزامه بهذا المنهج أنه تحدث عن خبر كان ضمن منصوبات الأسماء ولم يحدد أخوات كان إلا في قسم الأفعال تحت عنوان الأفعال الناقصة موضحاً عملها ومعنى كل منها بالتفصيل.

([1]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية)، ص 388- 398.

([2]) المرجع السابق، ص 388- 398.

([3]) المرجع السابق، ص 398- 399.

([4]) المرجع السابق، ص 399- 402.

([5]) المرجع السابق، ص 402-407.

([6]) المرجع السابق، ص 408 – 415.

كذلك حروف العطف، رغم أنه ذكر العطف في قسم الأسماء، إلا أنه ذكر حروفه في قسم الحروف مشيراً إلى ذلك بقوله: (العطف تابع مقصود بالنسبة مع متبوعة يتوسط بينه وبين متبوعة أحد الحروف العشرة وسيأتي)[1] أي سيأتي الحديث عن أحد الحروف العشرة، وكذلك المنادى ذكره في قسم الأسماء ضمن منصوبات الأسماء ولم يذكر حروف النداء إلا في قسم الحروف، وأيضاً لم يتحدث عن تمييز العدد إلا في أسماء العدد مشيراً إلى ذلك بلفظ (سيأتي).

وهذا دليل على التزام ابن الحاجب التزاماً تاماً بالنهج الذي انتهجه في كتابه الكافية.

ومن المواضع التي أخل فيها بهذا النهج منها:

ذكر جوازم المضارع في قسم الأفعال بدلاً عن قسم الحروف، وذلك في قوله: (ويجزم بلم، ولما، ولام الأمر، ولا النهي، وهي إن ومهما، وإذما، وحيثما، وأين، ومتى، وما، ومن، وأي، وأنى، وأما مع كيفما، وإذا فشاذ، وبأن مقدرة)[2]، وأيضاً نواصب المضارع تعرض لها في قسم الأفعال بدلاً عن قسم الحروف، وذلك بقوله: (وينصب بأن، وإذن، وكي، وبأن مقدرة، بعد حتى ولام كي، لام الجحود، وألف والواو، وأو)[3]، شارحاً معنى كل أداة موضحاً عملها ذاكراً الأمثلة على ذلك.

أما قسم التقسيم الداخلي ففي قسم الأسماء كان وفقاً للحركات حيث قسم إلى المرفوعات، والمنصوبات، والمجرورات، ثم التوابع، وفي قسم الأفعال كان تقسيمه وفقاً لزمن حدوث الفعل، فقسم إلى ماضٍ وأمر، وأيضاً كان وفقاً لعمل الفعل، وهي: الفعل المتعدي وغير المتعدي، وأفعال القلوب، والأفعال الناقصة أفعال المقاربة، فعل التعجب، أفعال المدح والذم أماً قسم الحروف فكان تقسيمه وفقاً للعمل حروف الجر، والحروف العاطفة، وحروف النداء، حرف الاستفهام، الحروف المشبهة بالفعل.

([1]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية) ، ص 400.

([2]) المرجع السابق، ص 417.

([3]) المرجع السابق، ص 416.

وقد ترك ابن الحاجب في (قسم الأسماء) الحديث عن موضوع الاختصار، وفي قسم الحروف ترك الحديث عن حرفي (الخطاب) وحروف الاستقبال وحروف التعليل واللامات، وهاء السكت، وشين الوقف، وحروف الإنكار، وحروف التذكير[1].

([1]) الفوائد الضيائية، 24/1

المبحث الثاني

الخصائص العامة لمنهج ابن الحاجب

التقعيد:

1/ التقعيد المتفرع:

قد يبدأ ابن الحاجب بقاعدة عامة يضعها ثم يوضح ما تفرع منها من قواعد.مثال ذلك: قوله في المفعول معه: (هو المذكور بعد الواو المصاحبة لمعمول فعل لفظاً أو معنىً، فإن كان الفعل لفظاً، وجاز العطف فالوجهان مثل: جئت أنا وزيد أو وزيداً، ولم لم يجر العطف تعين النصب، مثل جئت وزيداً، وإن كان الفعل معنىً جاز العطف تعين العطف، مثل: ما لزيد وعمرو، وإلا تعين النصب، مثل مالك وزيداً وما شأنك وعمراً لأن المعنى ما تضع)[1]

وأيضاً قوله في المنصوب بـ(لا) التي لنفي الجس: (هو المسند إليه بعد دخولها يليها نكرة مضافاً، أو مشبهاً به مثل: لا غلام رجل، ولا عشرين درهماً لك، فإن كان مفرداً فهو مبني على ما ينصب به وإن كان معرفة، أو مفصولاً بينه وبين (لا) وجب الرفع ومثله قضية ولا أبا حسن لها متأول، في مثل لا حول ولا قوة إلا بالله خمسة أوجه: (فتحهما وفتح الأول ونصب الثاني، وفتح الأول ورفع الثاني، ورفهما، ورفع الأول على ضعف وفتح الثاني)[2].

كذلك قوله في الفعل المتعدي وغير المتعدي: (فالمتعدي، يتوقف فهمه على متعلق كضرب، وغير المتعدي بخلافه مثل: قعد، والمتعدي يكون إلى واحد مثل: ضرب، وإلى اثنين مثل : أعطى، وعلم، وإلى ثلاثة مثل: أعلم وأرى، وانبأ، ونبأ، وخبّر وأخبر، وحدّث، وهذه مفعولها الأول مفعول أعطت، والثاني والثالث كمفعولي علمت)[3].

([1]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية)، ص 393.

([2]) المرجع السابق، ص397.

([3]) المرجع السابق، ص 419.

وأيضاً قوله في البدل: (تابع مقصود بما نسب إلى المتبوع دونه، وهو بدل الكل، والبعض، والاشتمال، والغلط)[1].

وأيضاً قوله في المعرفة: (ما وضع لشيء بعينه، وهي المضمرات والأعلام والمبهمات، وما عرف باللام بالنداء، والمضاف إلى أحدها معنى)[2].

2/ التقعيد العام:

كثيراً ما ينطلق من قاعدة عامة يضعها ثم يبدأ بتوضيحها مثال ذلك قوله في المبتدأ النكرة: (وقد يكون المبتدأ نكرة إذا تخصصت بوجه ما) مثل (ﮋ ﮊ ﮋ ﮊ ﮋ)[3]، وأرجل في الدار أم امرأة، وما أحد خير منك، (وشر أهر ذا ناب)[4]، (وفي الدار رجل، سلام عليك)[5].

وأيضاً قوله في المبتدأ: (المبتدأ هو الاسم المجرد من العوامل اللفظية مسنداً إليه، أو الصفة الواقعة بعد حرف النفي وألف الاستفهام رافعة لظاهر، مثل: زيد قائم، وما قام الزيدان، وأقائم الزيدان، فإن طابقت مفرداً جاز الأمران)[6]، ومثاله أيضاً قوله: في خبر (لا) التي لنفي الجنس: (هو المسند بعد دخولها مثل لا غلام رجل ظريف فيها، ويحذف كثيراً وبنو تميم لا يبنونه)[7]. وكذلك قوله في ما أضمر عامله على شرطة التفسير: (هو كل اسم بعد فعله أو شبهه مشتغل عنه بضميره، أو متعلقة لو سلط عليه هو أو مناسبة لنصبه، مثل: زيد ضربته وزيداً مررت به وزيداً ضربت غلامه، وزيداً حبست عليه بنصب بفعل يفسره ما بعده: أي: ضربت وجاوزت وأمنت ولابست)[8] وأيضاً قوله في أسماء الإشارة: (ما وضع لمشار إليه، وهي: ذا للمذكر، ولمثناه ذان وذين، وللمؤنث : تا، وتما، وذي، وته، وذه، وته، وذه ولمثناه تان وتين،

([1]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية)، ص 402.

([2]) المرجع السابق، ص 408.

([3]) سورة البقرة، آية 221.

([4]) أهر إذا حمله على الهرير – شر رفع بالابتداء وهو نكرة ولا يبتدأ بنكرة إلا إذا تخصصت بصفة مثل :رجل من بني تميم فارس، وابتدأوا بالنكرة هنا من غير صفة، وإنما جاز ذلك لأن المعنى ما أمر ذا ناب الأثر – ذو الناب: السبع، وهذا مثل يضرب في ظهور إمارات الشر، مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني (دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1966م) ص517.

([5]) مجموع مهمات المتون، متن الكافية ص 386.

([6]) المرجع السابق، ص 386.

([7]) المرجع السابق، ص 387– 388.

([8]) المرجع السابق، ص 391.

ولجمعهما أولاء مداً أو قصراً ويلحقهما حرف التنبيه ويتصل بها حرف الخطاب وهي خمسة في خمسة، فتكون خمسة وعشرين، وهي: ذاك إلى ذاكنّ، وذانك إلى ذانكن، وكذلك البواقي، يقال: ذا للقريب، وذلك للبعيد، وذاك للمتوسط، وتلك وذانك وتانك، مشددتين، وأولئك، مثل: ذلك، وأما ثمت، وهنا ومنا فللمكان خاصة)[1]، وكذلك قوله في فعل التعجب: (ما وضع لإنشاء التعجب، وله صفتان ما أفعله وأفعل به، وهما غير منصرفين، مثل: ما أحسن زيداً وأحسن بزيد، ولا يبنيان إلا معاً يبنى منه أفعل التفضيل، ويتوصل في الممتنع بمثل: ما أشد استخراجه، واشدد باستخراجه، ولا يتصرف فيهما بتقديم وتأخير ولا فصل)[2]

الاستشهاد:

الشاهد النحوي مصادره وأهميته في الدرس النحوي العربي:

أهمية الشاهد النحوي:

يعد الاحتجاج بالشاهد النحوي من أبكر صور الدراسات اللغوية العربية وذلك لما له من أهمية في إبراز المعاني والدلالات المختلفة من جهة، وفي التأصيل للقواعد التي بنيت عليها العربية من جهة ثانية. وعندما نعود إلى كتب معاني القرآن الكريم مثلا فإننا نلاحظ أنها جمعت بين تحليل الآيات القرآنية تحليلا لغويا أولا، ثم ذكر ما تعلق بها من شواهد نحوية تعين على تطوير هذا التحليل.

وكذلك فإن كتب إعراب القرآن الكريم تُعَدُّ فرعا من المعاني وذلك بتناولها بعض مقاصد المعاني، ويتضح من عناوينها أن أصحابها اهتموا كثيرا بالإعراب، وأن اعتناءهم بالشواهد النحوية يأتي في مقدم ذلك الاهتمام. على سبيل المثال، نلاحظ ذلك في "إعراب القرآن للزجاج."

وقبل ذك كله، فإننا إذا عدنا إلى كتاب سيبويه الذي يُعد دستور النحو العربي، والذي جمع فيه أفكار أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي واجتهاداته هو، فإننا نجده قد ضمنه من

([1]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية)، ص 404- 405.

([2]) المرجع السابق، ص412- 422.

الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية وبعضا من الأحاديث النبوية. وبلغ عدد الشواهد فيه 744 آية، وبلغ عدد الأبيات الشعرية 1500 بيت.

ومن هنا نلاحظ تقديم سيبويه للشعر العربي على القرآن الكريم في موضوع الاستدلال والاستشهاد، وهو في ذلك يجاري مدرسة البصرة التي تعتمد في التأصيل للقواعد على الشعر العربي الجاهلي ثم الإسلامي أولا، ثم القرآن الكريم وبخاصة ما كان متوافقا مع الأقيسة التي وضعوها، وإلا فإنهم يعمدون إلى التأويل.

فأهمية الشاهد النحوي تعتبر جوهرية وأساسية في كل ما له علاقة بالدرس اللغوي والنحوي، وذلك إن على مستوى التفسير أو التعليل أو التحليل وإن على مستوى التأصيل للقاعد اللغوية والنحوية.

فما هو الشاهد النحوي؟

الشاهد النحوي هو الخبر القاطع الموثق، يستعمله اللغوي أو النحوي أو المفسر مرويا عن الناطق باللغة موضوع الدراسة ويكون في العربية أية قرآنية أو بيت شعر أو حديثا نبويا. وهو، أي الشاهد، قول عربي لقائل موثوق بعربيته يورد للاحتجاج والاستدلال به على قول أو رأي. وهو بذلك يختلف عن المثال الذي يأتي كدليل على القاعدة. أما المثال فهو "ما استدل به على القاعدة النحوية من جملة أو تركيب أو كلمة: فقولهم مثلا: أعجبني زيد علمه أو حسنه أو كلامه مثال لبدل الاشتمال"[1].

فالشواهد إنما سيقت في الأصل لإثبات صحة القاعدة. وأما الأمثلة فيصوغها المصنف ليوضح بها القاعدة، وتعد بمثابة الجانب التطبيقي الإيضاحي للقاعدة، وليست دليلا على صحتها"[2].

ومن المفيد أن نشير إلى أن المثال يُعد تمهيدا لتوضيح قاعدة ما، وأن الشاهد تأصيلي وتوكيدي. ثم إن الشاهد النحوي الذي ما زال معتمدا في معظم دراساتنا ومناهجنا الدراسية ينتمي

([1]) محمد سمير اللبدي. معجم المصطلحات النحوية والصرفية. ص 119.

([2]) محمد إبراهيم عبادة. النحو التعليمي في التراث العربي. ص98-90.

في معظمه إلى العصور التي يحتج بكلام العرب فيها، والتي حددها كثير من القدامى، وبخاصة البصريين منهم، بالقرن الثاني الهجري بالنسبة للحضر، والقرن الرابع بالنسبة للبدو. واعتمد ذلك مجمع اللغة بالقاهرة.

والشواهد النحوية هي الأساس الذي يقوم عليه النحو العربي وأصوله، ويستوي فيها الشاذ القليل والكثير، وذلك تبعا لأوجه الخلاف في مسائل النحو وقضاياه بين المدارس المختلفة.

الشواهد النحوية أنواعها ومصادرها:

أولا: القرآن الكريم

يُعد القرآن الكريم أفصح الكلام العربي وأبينه على الإطلاق، وهو بذلك يعد في مقدمة أنواع الشواهد النحوية واللغوية العربية، وهو الذي تطمئن إليه النفوس والأخذ به في مجال الدرس النحوي على أساس أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد اختلف النحاة في موضوع الاستشهاد بيات القرآن الكريم وقراءاته، فالكوفيون مثلا يعتمدونه بشكل مطلق ويقدمونه على غيره من كلام العرب شعره ونثره، جاهليه، وإسلاميه. يقول الفراء: "إتباع المصحف إذا وجدت له وجها من كلام العرب وقراءة القراء أحب إلى من خلافه"[1]. ويقول أيضا: "إن لغة القرآن الكريم أفصح أساليب العربية على الإطلاق: وإن الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر"[2].

وأما البصريون، الذين ولدت وتقررت في موطنهم الدراسات اللغوية عموما، فإنهم يتحفظون قليلا في الأخذ بالقرآن الكريم، وبخاصة في اعتماد القراءات التي طعنوا في بعضها، وأخضعوها لقواعد أقيستهم، فما وافق ذلك اعتمدوه وأخذوا به، وما خالفه طعنوا فيه ورفضوه، واعتبروه شاذا لا يقاس عليه. وقد عمدوا إلى تأويل ما لم يتوافق مع قواعدهم. وهم بذلك يقدمون القياس والقاعدة على نص القرآن الكريم.

([1]) أبو زكريا يحيى الفراء. معاني القرآن، ج1، ص 14.

([2]) المرجع السابق.

نلاحظ على البصريين أنهم في بعض استشهاداتهم قد أخذوا بالأشعار المجهولة وقدموها على قراءة مشهورة. من ذلك أن المبرد ردَّ قراءة حمزة في قوله تعالى: (ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ)[1]، حيث عطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض الذي هو الباء فقال: "لا تحل القراءة بها"[2].

وقد قرأ بها ابن مسعود وابن عباس وقتادة. هذا لا يعني أن المبرد لم يستشهد بالقرآن الكريم كله، بل استدل بنحو 500 شاهد قرآني، وكذلك فعل سيبويه من قبله. ويمكن تفسير بعض تصرفات البصريين بأن توجههم العام كان رفع مكانة القرآن الكريم والبعد به عن الجدل وأسبابه واحتراما له وتقديسا.

ثانيا: الحديث النبوي الشريف:

يهتم النحاة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما كان قولا، لأن القول والاستشهاد به هو موضوع النحو ومرجع الأحكام والاستدلال به. واختلف أهل اللغة والنحو حول الشاهد من الحديث النبوي، بين مجيز ومنكر، فمن المجيزين جمهرة من الكوفيين وكثير من أهل المذهب المغاربي الأندلسي كابن خروف وابن مالك وغيرهما. ومن المنكرين، ابن الضائع وأبي حيان الأندلسي وكذلك السيوطي، وهناك طرف وسط متحفظ يجيز من الحديث ما صح لفظه كما فعل أبو إسحاق الشاطبي، وبعض البصريين والكوفيين.

نلاحظ في موضوع الاستشهاد بالحديث أن المنكرين لاعتماده يتحججون بأن بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم رويت بالمعنى. يقول أبو حيان: "إنما ذكر العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول صلَّ الله عليه وسلم إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكلية"[3].

غير انه يمكن الرد على هذا بأن الحديث النبوي تم تدوين معظمه قبل نهاية عصر الاحتجاج كما هو معروف. ثم إنهم قد احتجوا بأن معظم رواة الحديث أعاجم، وكذلك فإن معظم

([1]) سورة النساء؛ الآية 1.

([2]) شرح المفصل. ابن يعيش المجلد 3 ص 78.

([3]) البغدادي. خزانة الأدب. ج1 ص 5.

علماء اللغة أعاجم: سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم كثير، ثم إن كثيرين احتجوا بمرويات حماد الراوية وكان وضاعا ولحانة. بالرغم من ذلك، فإن كثيرا من علماء اللغة والنحو قد استشهدوا بالحديث، من بينهم سيبويه والمبرد وابن الأنباري في إنصافه وحتى السيوطي الذي اعتمد أكثر من 155حديثا.

ثالثا: الشاهد من الشعر:

تُعد الشواهد الشعرية أكثر عددا من غيرها، فالشعر "ديوان العرب وخزانه حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع علوم"[1]، وبه "حفظت الأنساب وعرفت المآثر وتعلمت اللغة"[2]. والأشعار التي يحتج بها، جاهلية وإسلامية، فالأولى معتمده ومقدمة وغير محدودة بزمن. أما الثانية فقد اختلفوا في حدها الزمني تبعا لاختلاف المكان.

ونظراً لهذا الاختلاف والتباين في الحد الزماني لكلام العرب الذي يجوز الاستشهاد به، فقد اتخذ مجمع اللغة العربية في القاهرة قرارا مفاده أن العرب الذين يوثق بعربيتهم ويستشهد بكلامهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع الهجري .وسبب التدقيق في الحد الزمني هو ظاهرة اللحن وتضارب المذاهب والاختلافات السياسية والمذهبية.

مما يلاحظ:

نلاحظ في تعاملنا مع لغتنا العربية أن هناك فجوة سحيقة بين العرب عموما ولغتهم وذلك باعتبار أن علاقتنا بهذه اللغة خارجية وبشكل مجرد في كثير من الأحيان، في حين وجب أن تكون اللغة حقيقة وعنصرا مكونا للشخصية، وعندها يكون ذوبان اللغة في الإنسان أمرا إيجابيا، مما يساعد على تطورها تبعا لتطور هذا الإنسان.

([1]) أبوهلال العسكري. كتاب الصناعتين. ص 104.

([2]) ابن فارس. الصاحبي. ص 23.

لم تعد اللغة عندنا وسيلة للخلق والإبداع والتماسك والانسجام الثقافي والاجتماعي وذلك نتيجة عدة عوامل، ويأتي في مقدمها على المستوى التعليمي على الأقل اعتمادها على الدرس التقليدي الذي يعتبر أساسا تبنى عليه لا خطا أحمر لا يجوز تجاوزه.

ثم هناك التراكمات السياسية والاجتماعية التي أثرت سلبا على نمو وتطور اللغة العربية بدءا من عصور الانحطاط إلى يومنا هذا، حيث أدى كل ذلك في المحصلة إلى تدني مستوى التحصيل اللغوي الناتج عن عسر المادة اللغوية التي تتعامل معها، وذلك نتيجة الاختلافات بين المذاهب اللغوية والنحوية منذ وقت مبكر، كما هو الشأن بين الكوفة والبصرة، وكذلك بغداد والأندلس، الأمر الذي أدى إلى خلافات واضحة في مناهج الدراسة في وقتنا الحالي، إما على مستوى التأصيل أو على مستوى الشواهد التي تعتمد من أجل هذا التأصيل والتقعيد.

يضاف إلى ما سبق تدني المستوى التحصيلي الناتج عن تراكمات خلافية وغيرها. ونلاحظ على مستوى المشاعر النفسية تجاه اللغة العربية نوعا من العدائية من طرف بعض الذين هانت أنفسهم وانسلخوا عن جذورهم فكانت خصومتهم لكل ما له علاقة بالتراث العربي الإسلامي شديدة وفي مقدمة ذلك اللغة الحاملة والحافظة لهذا التراث.

لا ننكر أن الهوة اتسعت بين العربية وبين مستعمليها، ولكن مع ذلك وبشكل موضوعي يمكن القول إن العربية سهلة طيعة إلا على الغرباء الذين تعمدوا الاغتراب، وإن صعوبة التعلم قد تكون أحيانا عيبا في المتلقي لا في المادة المتلقاة. إن الشعور والإحساس بالانتماء الحضاري والاعتزاز بمقومات هذا الانتماء، وفي مقدمتها اللغة، يجعل كل عسير يسيرا وتتضاءل أمامه كل العقبات والصعاب.

إن أهمية الشاهد النحوي في العملية التعليمية كبيرة، وذلك ما يوفره لنا من أساس نبني عليه قواعدنا ونطور به لغتنا عن طريق الأقيسة المختلفة التي تعتد بها اللغة العربية.

لا عيب إذ نادى البعض بضرورة إعادة النظر في أمر الشاهد اللغوي والنحوي، ولنا أسوة حسنة في محاولات ابن مضاء القرطبي وأبي بكر الزبيدي الأشبيلي في الرد على النحاة.

1/ منهجه في عرض الشواهد:

تعريف الشاهد:

الشاهد لغة: الشاهد العالم الذي يبين ما علمه، شهد شهادة ومنه قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ)[1]، أي الشهادة بينكم شهادة اثنين، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه[2].

الشاهد اصطلاحاً: وفي اصطلاح النحاة، الشاهد النحوي، أنه جزئي بذكر لصحة القاعدة، والمثال جزئي بذكر لإيضاح قاعدة. فالشواهد هي تلك الأقوال من الشعر أو النثر أو القراءات القرآنية يحتج بها للقاعدة النحوية اطراداً أو شذوذاً، فالاستشهاد وفقاً لهذا المفهوم هو الأخبار بما هو قاطع في الدلالة على القاعدة من شعر أو نثر.

مصدر الشاهد:

استسقى النحويون شواهدهم من مصادر ثلاثة هي القرآن الكريم وقراءاته، والحديث النبوي الشريف على مذاهب فيه، وكلام العرب الموثوق بهم من شعر، ونثر، هذه المصادر هي أساس القياس اللغوي، ولذا فهي النموذج الذي يقاس عليه، وللنحاة في كل منها مواقف متعددة ومناهج، واتجاهات مختلفة.

استشهاد ابن الحاجب في كتابه الكافية بـ:

أولاً: شواهد من القرآن الكريم.

ثانياً: شواهد من الشعر العربي.

ثالثا: شواهد نثرية.

([1]) سورة المائدة، الآية 106.

([2]) لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 2000م) مادة شهد.

أولاً: الشواهد القرآنية:

عدد الشواهد القرآنية التي استشهد بها ابن الحاجب في الكافية قليل جداً إذا ما قورن بحجم المادة التي يحويها الكتاب، كما أن ابن الحاجب من حفظة كتاب الله خبير بمعانيه، وله مؤلفات كثيرة في علوم القرآن، سبق ذكرها، وأيضاً هو ملم بالقراءات القرآنية، رغم كل ذلك استشهد بعدد قليل من الآيات القرآنية، وإنما يرجع لالتزامه بالنهج الذي انتهجه في هذا الكتاب وهو الإيجاز.

2/ منهج ابن الحاجب في الاستشهاد بالآيات القرآنية:

لم يكن ابن الحاجب في استشهاده بآيات القرآن الكريم يلتزم منهجاً واحداً، بل تنوع منهجه، من حيث كيفية إيراد الشاهد القرآني وتعقيده حينما يقتضيه المقام، ومن ذلك :

-كيفية إيراد الشاهد القرآني:

تنوعت أشكال إيراد الشاهد القرآني وعرضه عند ابن الحاجب ما بين كلمة من الآية إلى أكثر من آية، إذا كان يهتم بموضع الشاهد من الآية القرآنية لذا كان من منهجه.

أ- الاستشهاد بكلمة من الآية:

كان من منهجه في الاستشهاد بآي الذكر الحكيم أن يكتفي بذكر كلمة واحدة موضع الشاهد، ومن ذلك قوله في المنادى: (وبحذف المنادى لقيام قرينة جوازاً نحو: (ﭫ ﭬ)[1][2]، وأيضاً قوله في نواصب المضارع : (ولن مثل (ﭽ ﭾ)[3]، ومعناها نفي المستقبل)[4].

([1]) سورة النمل، ألآية 25.

([2]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية)، ص391.

([3]) سورة يوسف، ألآية 80.

([4]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية)، 416.

ب-الاستشهاد بجزء من الآية:

وكان من منهجه أن يستشهد بجزء من الآية، وذلك عناية منه بموضع الشاهد، وذلك مثل قوله في نواصب المضارع : (ولام الجحود لام تأكيد بعد النفي لكان مثل : (ئا ئه ئه ئو)[1])[2]، وكذلك قوله في النعت : (... وقد يكون لمجرد الثناء، أو الذم أو التأكيد، مثل(ﭽ ﭼ)[3])[4].

ج- الاستشهاد بآية كاملة:

صار من منهج ابن الحاجب في الاستشهاد بالقرآن الكريم أن يورد الآية كاملة ومن ذلك قوله في ما أضمر عامله على شريطة التفسير(... ويختار النصب بالعطب على جملة فعلية للتناسب، وبعد حرف النفي وحرف الاستفهام، وإذا الشرطية، وحيث، وفي الأمر، والنهي إي هي مواقع الفعل، وعند خوف لبس المفسر بالصفة مثل: (□ □ □ □ □ □)[5][6].

د- الاستشهاد بجزء من الآية ومعها جزء مما يليها:

وكذلك استشهد بجزء من الآية ومعها جزء أيضاً من التي تليها، وذلك عندما يكون المعنى محتاجاً لذلك الجزء لإقامة الشاهد النحوي، وذلك في مثل قوله في البدل: (وإذا كان نكرة من معرفة فالنعت واجب نحو: (ﭑ *ﭒ ﭓ ﭔ)[7])[8].

وهذا هو الجزء أو الموضع الوحيد الذي نهج فيه ابن الحاجب هذا النهج، وهذا أوضح دليل على حرصه على الإيجاز لذلك نجده فقط ذكر الجزء الذي يوضع القاعدة.

2/ تعضيد الشاهد:

([1]) سورة الأنفال، الآية 33.

([2]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص 417.

([3]) سورة الحاقة، الآية 13.

([4])مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص 399-400.

([5]) سورة القمر، الآية 49.

([6])مجموع مهمات المتون(متن الكافية).

([7])سورة العلق، الآية 15-16.

([8])مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص 402.

من الملاحظ في منهج ابن الحاجب عند الاستشهاد أن لا يكتفي بالشاهد الواحد في المسألة، لكنه يذكر شاهد آخر يقوي به الشاهد الذي أورده للمسألة المعنية.

وهذا الأمر أي(تعضيد الشاهد) قليل جداً عنده، وله في ذلك طرق إما أن يأتي بشاهد من جنسه أو يقويه الشاهد بشاهد من غير جنسه مثال ذلك:

أ- تقوية الشاهد بما هو من جنسه:

أي إذا ذكر شاهد قرآني يأتي بشاهد قرآني آخر نحو قوله في أفعال المدح والذم : (وقد يحذف المخصوص إذا علم (چ چ)[1] (ئې ئى [2])[3].

ب- تأكيد الشاهد بآخر من غير جنسه:

غالباً ما يأتي ابن الحاجب بشاهد قرآني ثم يؤكده بقول عام مثل: قوله في حذف الفعل وجوباً: (... وجوباً في أربعة مواضع: الأول سماعي مثل (چ چ چ)[4]وأهلاً وسهلاً)[5].

يرى الباحث أن ابن الحاجب لم يستشهد بآيات كاملة متتالية وكذلك لم يستشهد بالآية مجزأة، ولم يذكر الآية الواحدة في أكثر من موضع، وأيضاً لم يقوِ الشاهد القرآني بآخر شعري، كذلك لا يكتفي بالإشارة إلى الشاهد بل لابد من إيراده، وأيضاً لم يقدم الآيات.

إذ نستطيع أن نقول أن ابن الحاجب كان يعدد منهجه في إيراد الشواهد القرآنية.

الشواهد الشعرية:

بالضرورة معرفة تقسيم العلماء للشعراء إلى أربع طبقات هي[6]:

([1]) سورة ص، الآية 30.

([2]) سورة الذاريات، الاية 48.

([3]) ينظرمجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص 422.

([4]) سورة النساء آية 171.

([5]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص 389.

([6]) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، دون تاريخ،1/3-4.

الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليين

مثل امرئ القيس[1]، والأعشى[2]

الطبقة الثانية: الشعراء المخضرمون

مثل حسان بن ثابت[3]، ولبيد[4]

الطبقة الثالثة: الشعراء المتقدمين (الإسلاميون).

مثل جرير[5]، والفرزدق[6].

الطبقة الرابعة: الشعراء المولدون (المحدثون)

مثل: بشار[7] وأبي نواس[8]

فالإجماع على استشهاد بشعر الطبقة الأولى والثانية ، ويرى البغدادي[9] يصح الاستشهاد بشعراء الطبقة الثالثة أما الرابعة فالصحيح ألا يستشهد بشعرهم مطلقاً، ومن العلماء من يرى الاستشهاد بشعر من وثق به منهم هذا ما ذهب إليه أبو علي الفارسي والزمخشري وتبعهم في ذلك الرضي.

([1]) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندي، وهو من أهل نجد، الشعر والشعراء لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري تحقيق د/مفيد قميحة، ، راجعه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، طبع دون تاريخ، ص 55 ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم (دار المعارف القاهرة طـ٤ د ت، ص50

([2]) هو سعيد بن ضبيعة بن قيس كان أعمى ويكنى أبا بصير، ويسمى صناجة العرب، لأنه أول من ذكر الصنج في الشعر، الشعر والشعراء، ص154، ديوان الأعشى (دار صادر، بيروت) ص5.

([3]) حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، ويكنى أبا الوليد وأبا الحسام، وهو جاهلي إسلامي متقدم في الإسلام، مات في خلافة معاوية، الشعر والشعراء ص188، خزانة الأدب، 111/1.

([4])هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، ويكنى أبا عقيل، أدرك الإسلام توفي في أول خلافة عثمان، الشعر والشعراء ص 167.، خزانة الأدب 337/1.

([5]) جرير أبو حرزة بن عطية الخطفي حذيفة الخطفي، لقب أبيه بدر بن سلمة بن عوف بن كليب من فحول شعراء الإسلام، ومن شعراء النقائض، الشعر والشعراء ص 304، وفيان الأعيان 30/1.

([6]) الفرزدق : أبو فراس همام بن غالب كنيته أبو الأخطل، المعروف بالفرزدق، وفيات الأعيان 70/5، معجم الأدباء 2785/6.

([7]) بشار : أبو معاذ بشار بن برد بن بزجوخ العقيلي بالولاء، الضرير نسبه إلى عقيل بن كعب قبيلة كبيرة، الشعر والشعراء 511.

([8]) أبو نواس: أبو علي الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح المعروف بأبي نواس الحكمي، الشعر والشعراء 538، وفيات الأعيان 87/2.

([9]) البغدادي: عبدالقادر بن عمر البغدادي أديب لغوي عارف بالآداب التركية، معجم الأدباء 192/20.

منهج ابن الحاجب في الاستشهاد بالشعر:

استشهاد ابن الحاجب بالشعر قليل في كتابه الكافية، حيث يوجد اثنا عشر شاهداً فقط رغم غزارة المادة التي يحويها الكتاب، ومن قلة الشواهد الشعرية أن ابن الحاجب لم يلتزم منهاجاً معيناً في طريقة تناوله للشواهد من الشعر مثال ذلك:

1/ كيفية إيراد الشاهد الشعري:

تباينت طريقته في إيراد الشاهد الشعري، أحياناً بذكر كلمة في البيت أو بذكر نصف البيت أو بذكر البيت كاملاً وقد يتجاوز البيت إذا اقتضت القاعدة ذلك الأمر. وإليكم أمثلة لمنهجه في ذلك:

أ- إيراد موضع الشاهد من البيت:

يأخذ ابن الحاجب الشاهد من الشعر حسبما تقتضيه الأمر، فيوجه عنايته واهتمامه إلى موضع الشاهد فقط مثل قوله في الحال: (وشرطها أن تكون نكرة وصاحبها معرفة غالباً نحو: (وأرسلها العراك[1])[2].

ب- إيراد أنصاف الأبيات:

يذكر ابن الحاجب نصف البيت مكتفياً به، وهذا كثير جداً، مثل قوله في عطف البيان: (وفعله من البدل لفظاً في نحو (أنا ابن التارك البكري بشر)[3])[1]

([1]) تكملة البيت :..... ولم يزدها ولم يشفق على نقص الإدخال

اللغة: العراك: الازدحام على الماء، لم يزدها لم يحبسها، لم يشفق: لم يبال أ ينقص عليها الشراب، الإدخال :أن يشرب بعضها ثم يرجع فيزاحم الذي على الماء، ويروي البيت في (فأوردها) في الديوان.

الشاهد فيه : (العراك) حيث وقع الحال معرفة مؤولاً بنكرة تقديره(أرسلها معتركة) . البيت البيت للبيد بن ربيعة في ديوان لبيد بن ربيعة العامرية، دار صادر بيروت، 1386هـ، 1996م، ص108، ويروي فأوردها العراك، كتاب سيبويه 372/1، خزانة الأدب 524/1.

([2]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية)، ص393.

([3]) تكملة البيت: عليه الطير ترقبه وقوعا اللغة : بشر هو بشر بن عمرو بن مرثد ترقبه : تنظر موته لتنقض عليه، الوقوع: جمع واقع ضد الطائر. الشاهد فيه: البيت به شاهدان الأول (التارك البكري) حيث أضاف معرفاً بـ(أل) إلى معرفاً بـ(ال) تشبيهاً بـ(الحسن الوجه

ج- إيراد البيت كاملاً:

يأتي ابن الحاجب بالبيت كاملاً وذلك في نحو قوله في أفعال المقاربة (كاد) ودخول النفي عليه: (وإذا دخل النفي على كاد، فهو كالأفعال على الأصح، وقبل يكون في الماضي للإثبات، وفي المستقبل كالأفعال متمسكاً بقوله (چ چ چ)[2] ويقول ذي الرمة:)[3]

إذا غير الهجر المحبين لم يكد ** رسيس الهوى من حب مية يبرح

د- إيراد البيتين كاملين:

ابطياً من منهجه أن يذكر بيتين كاملين، ومثال ذلك قوله: في اسم التفضيل استشهد على أن (أفعل فيه من قبيل، رأيت كعب زيد أحسن فيها الكحل)[4].

مـــررت علـــى وادي الســـباع ولا أدري كـــوادي الســـباع حـــين يظلـــم واديـــاً
أقـــل بـــه ركـــب أتـــوه تئبـــه وأخـــوف إلا مـــا وفـــي الله ســـاريا

ولم يستشهد ببيتين كاملين في كافيته إلا في هذا الموضع[5]

لأنه مثله في الاقتران بـ(ال). والثاني/ قوله (التارك البكري بشر) عطف بيان على قوله (البكري) ولا يجوز أن يكون بدلاً لأن البدل فيه تكرار العامل ،فكان ينبغي لكي يصح أن يكون بدلاً لأن يحذف المبدل منه ويوضع البدل مكانه فتقول : (التارك بشر) ويلزم هذا إضافة اسم مقترن بـ(ال) إلى اسم خال منها وذلك غير جائز.

البيت: للمرار الأسدي : شواهد سيبويه 182/1، خزانة الأدب 193/2، المعجم المفصل في شرح شواهد النحو الشعرية . إميل بديع يعقوب (محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ط2 1420هـ- 1999م 511/1.

([1]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص 402 .

([2]) سورة البقرة، الآية 71.

([3]) ذو الرمة: أبو الحارث غيلان بن عقبة بن بهيس بن مسعود بن حارثة المعروف بذي الرمة أحد فحول الشعراء . الشعر والشعراء ص 350. وفيات الأعيان 453/3. خزانة الأدب 15/1.

اللغة : رسيس الهوى: مسه وأوله، الرسيس: الخفي والكلام الخفي.

الشاهد فيه: (رسيس) أن النفي إذا دخل على (كاد) أفادت في الماضي الإثبات وفي المستقبل أفادت لما تفيد بقية الأفعال. البيت: لذي الرمة في ديوانه – ديوان ذي الرمة، صححه كاربي لعنري هيس مكارني 1337هـ – 1919م ص78. خزانة الأدب 74/4.

([4]) اللغة: وادي السباع: اسم موضع بطريق البصرة، التئية: التوقف والتثبت الشاهد فيه: (أقل) فيه من قبيت ما رأيت كعين زيد أحسن فيها الكحل حيث ووقع اسم التفضيل (أقل) اسماً ظاهراً، وهو قوله (ركب) البيت لسحيح بن وثيل لم أعثر عليه في ديوانه من شواهد كتاب سيبويه 333/2، خزانة الأدب 521/3 . المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية 1074/2.

([5]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص 421 .

مما سبق يتضح لي النهج الذي انتهجه ابن الحاجب في إيراد الشواهد الشعرية في كتابه الكافية، ويرى الباحث أن ابن الحاجب لم يذكر الشاهد الواحد أكثر من مرة واحدة أي أنه لم يكرر شاهد قط كما أنه لم يقوي الشاهد بآخر من جنسه، ولكن قد يقويه بآخر من غير جنسه. مثال ذلك قوله في الحال: (وشرطها أن تكون نكرة وصاحبها معرفة غالباً (وأرسلها العراك)[1]، ومررت به وحده)[2].

2/ نسبة الشاهد إلى قائله:

كذلك لم تلتزم ابن الحاجب منهجاً واحداً في نسبتها إلى قائلها فهو تارة ينسب الشاهد لقائله وأحياناً كثيرة يتركه دون نسبة، أو حتى دون إشارة إلى مصدره، إذن نلاحظ أن له منهجان في نسبة الشاهد هما:

أ- نسبة الشاهد إلى قائله:

مثل قوله في التنازع : (وإن أعلمت الأول أضمرت الفاعل في الثاني والمفعول على المختار إلا أن يمنع فتظهر نحو: قول امرئ القيس: (كفاني ولم أطلب قليلاً من المال)[3] ليس منه لفساد المعنى)[4].

ب- ترك الشاهد خالياً من النسبة إلى قائله:

نجد أن أكبر نسبة من الشواهد الشعرية التي استشهد بها ابن الحاجب في الكافية تركها دون أن ينسبها إلى قائلها أو لمن أنشدوها، أو حتى لمن استدلوا بها من النحاة.

([1]) البيت سبق ذكره .

([2]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص 393 .

([3]) تكملة البيت: فلو لم أسعى لأدني معيشة

اللغة: أسعى أجد، أعمل، أدنى معيشة : حياة عادية

([4]) الشاهد فيه: قوله كفاني ولم أطلب قليل) حيث جاء (قليل) فاعل كفاني وليس البيت من باب التنازع، لأن من شرط التنازع صحة توجه كل واحد من العاملين إلى المعمول المتأخر مع بقاء المعنى صحيحاً ولأن ها هنا ليس كذلك لأن القليل ليس مطلوباً.

البيت: لامرئ القيس في ديوانه ص 39، كتاب سيبويه 66/1، خزانة الأدب 158/1

نحو: قوله في الفاعل: (وقد يحذف الفاعل لقيام قرينة جوازاً في مثل قال زيدٌ لمن قال، من قام؟ (وليك يزيد ضارع لخصومه)[1])[2].

والجدير بالذكر أن ابن الحاجب يستشهد بأرجاز العرب إلا في موضع واحد وهو عطف البيان حيث قال: (تابع غير صفة بوضع متبوعة مثل: (أقسم بالله أبو حفص عمر))[3].

ثالثاً: الشواهد النثرية:

اهتم ابن الحاجب بالشواهد النثرية، وبالأخص الجمل التي من إنشائه.

ينقسم الشواهد النثرية في الكافية إلى:

1- أمثال عربية.

2- أقوال عامة.

3- جمل نثرية من إنشائه.

أهم ما اعتمد عليه النحاة في الاستشهاد هو ما سمع من العرب بنوعيه الشعر والنثر، في النثر الحكم والأمثال. في ألفاظه، ويحتمل أن الرواة القدماء قد تدخلوا في الأمثال وهذبوها، ومع ذلك فقد احتج النحاة بالأمثال، حيث نجد ذلك في كل من كتاب سيبويه، والمحتسب في القراءات لابن جني[4].

منهج بن الحاجب في الاستشهاد بالنثر:

قد تنوع منهج ابن الحاجب في الكافية من حيث عرضه للشواهد النثرية، فكان يعرض شاهداً واحداً أو شاهدين، أو أكثر، وقد يؤكد الشاهد بآخر من جنسه أو من غير جنسه.

([1]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص 385.

([2]) سبق ذكره.

([3]) الشاهد فيه: (أبي حفص) بما دل على عطف البيان بعض متبوعاته مع قلة الاشتراك (كأبي حفص) وهو المتبوع بدل على عطف البيان وهو عمر.

البيت: لإعرابي قاله لعمر بن الخطاب، الكافية في النحو 443/1، الخزانة 383/2، مجموع مهمات المتون (متن الكافية، 402.

([4]) ابن جني: عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواف القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، عبدالحليم النجار (القاهرة 1386هـ) 14/1 -15.

أولاً: الأمثال:

لم يذكر ابن الحاجب أمثالاً كثيراً، وجملة الأمثال في كتاب الكافية، التي استشهد بها أربع أمثال، حيث استشهد بثلاثة منها في موضع واحد، وهو حذف حرف النداء، نحو قوله: (... ويجوز حذف حرف النداء إلا مع اسم الجنس، والإشارة، والمشتقات، والمندوب نحو: (ئه ئه ئو ئو)[1]، وأيها الرجل، وشدا ليل[2]، وامتد مخنوق[3]، وأطرق كرا[4])[5].

ثانياً: الأقوال العامة:

الاستشهاد بالأقوال العامة كثير في كتاب الكافية، لكنه مع كثرتها لم ينسبها لقائلها، وتعدد منهجه في عرضها مثل: يذكر قولاً واحداً ومثال ذلك قوله في الحال: (... وكل ما دل علي هيئة صح أن يقال حالاً نحو: (هذا يسراً أطيب منه رطباً))[6].

ويلاحظ الباحث أن ابن الحاجب لم يوْفي القول بآخر أو بجملة نثرية من إنشائه، بل يكتفي بذكر مقولة واحدة في الموضع.

ثالثاً: جمل نثرية:

كان منهجه في الاستشهاد بهذا الجمل على النحو التالي:

أ- ذكر جملة واحدة:

ورد في كتاب الكافية أن مؤلفه استشهد بجملة واحدة من إنشائه، مثال ذلك قوله في المبتدأ: (وقد يحذف لقيام قرينة جوازاً نحو قول المستهل (الهلال والله)، أي هذا الهلال والله)[7].

ب- ذكر جملتين:

([1]) سورة يوسف، الآية 29.

([2]) مثل يقال في الليلة الشديدة التي يطول فيها الشر، مجمع الأمثال 5591.

([3]) يضرب لكل مشغوف عليه معطر. مجمع الأمثال 35/2.

([4]) يضرب للأحمق تمنيه الباطل فيصدق، مجمع الأمثال لأبي هلال العسكري. تحقيق محمد أبي الفضل وعبدالحميد فطاش 194/1.

([5]) مجموعات مهمات المتون(متن الكافية) ص 391.

([6]) المرجع السابق، ص394.

([7])مجموع مهمات المتون (متن الكافية)، ص 387.

كذلك ظهر في منهج ابن الحاجب بذكر جملة ،ويؤكد بجملة أخرى، نحو: قوله في حرف الاستفهام : (الهمزة وهل ولها صدارة الكلام نقول : (أزيد قائم)، أقام زيد) وكذلك هل)[1].

ج- ذكر أكثر من جملتين:

أيضاً من منهجه قد يذكر أكثر من جملتين في الموضوع الواحد، أي يؤكد الجملة بأكثر من جملة، نحو قوله في خذ عامل المفعول المطلق : (ووجوباً سما، مثل (سقياً ورعياً وخيبةً، وجدعاً وحمداً وشكراً وعجباً))[2].

يلاحظ الباحث أن الأمثلة التي كان يضعها ابن الحاجب، تتسم بالوضوح، والسهولة، لذلك أكثر منها، حتى يصل إلى هدفه الذي ينشده وهو تسهيل مادة النحو وتذليل صعابها وتقديمها للمتعلم بطريقة سهلة تعين الدارس على فهم العلم، أي علم النحو.

أغراض الشواهد:

شهادة ابن الحاجب في تعدد منهجه عند إيراد الشواهد كذلك تعددت أغراضها في كتابه الكافية، فعلى سبيل المثال يورد الشاهد ليوضح قاعدة نحوية، أو لتعدد أوجه إعرابه أو لشذوذ القاعدة النحوية، أو ليدحض به رأياً مخالفاً لرأيه وغير ذلك من الأغراض، وهنا يؤكد الباحث أمثلة لذلك:

أولاً: أغراض الاستشهاد بالقرآن:

يأتي ابن الحاجب بالشاهد القرآني لأغراض أهمها:

أ- اطراد الظاهرة النحوية:

وهذا النوع هو الأكثر الشواهد التي استشهد بها ابن الحاجب في كتابه الكافية، والظاهرة النحوية المتطردة، أي أنها مما لا يمنع القياس عليها، مثل قوله: في وجوب حذف الفعل الرافع للفاعل: (ووجوباً في: (بِ بِ دِ دِ ئا)[1])[2].

([1]) المرجع السابق، ص427.

([2]) المرجع السابق، ص 388.

والتقدير: وإن استجارك أحد من المشركين استجارك و(أحدٌ) فيها فاعل فعل محذوف وجوباً، وهو (استجارك) الأول المفسر باستجارك الثاني، واضحاً وجب حذفه لأن مفسره قائم مقامه مغني عنه ولا يجوز أن يكون(أحد) مرفوعاً بالابتداء.

ب- المقيس عند النحاة:

وذلك كحذف عامل المفعول المطلق وجوباً وقياساً في مواضع منها ما وقع تفصيلاً لأثر مضمون جملة متقدمة، نحو: (ژ ڑ ڑ ک ک ک ک)[3][4]، بعض مضمون الجملة، مصدرها مضافاً إلى الفاعل أو المفعول، فمضمون(شدو الوثاق) شد الوثاق ويعني بأثره غرضه المطلوب منه، والغرض المطلوب من شد الوثاق إما المن أو الفداء، ويعني بتفضيل الأثر، بيان أنواعه المحتملة، ففضل الله سبحانه وتعالى هذا هو الغرض المطلوب بقوله: فإما مناً وإما فداء، أي ما تمنون مناً بعد الشد وإما تفدون فداء[5].

ج- عدم إنشاء الظاهرة النحوية (شذوذها):

كذلك كان يسوق شواهد للدلالة على عدم شيوع الظاهرة النحوية، أي أن الشاهد وأمثاله مما يقل استعماله ويندر، وبذلك يكون مخالفاً للقاعدة العامة، فيحفظ ولا يقاس عليه، وذلك مثل قوله في الممنوع من الصرف : (ويجوز صرفه للضرورة أو التناسب نحو: (ﭐ ﭑ)[6])[7].

حيث صرف (ﭐ) ليناسب المنصرف الذي يليه أي (ﭑ)[8].

ثانياً: أغراض الاستشهاد بالشعر:

ومن تلك الأغراض:

([1])سورة التوبة الآية 6.

([2]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص 385.

([3]) سورة محمد الآية 4.

([4]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص 388.

([5]) الكافية في النحو: جمال الدين أبي عمر ابن الحاجب، شرح الاسترأبادي رضي الدين (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة 1405هـ 1985م 120/1- 121، الفوائد الضيائية 1314/1.

([6]) سورة الإنسان، الآية 4.

([7]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية 383.

([8]) الكافية في النحو 38/1.

1/ إطراد الظاهرة النحوية: (شيوع القاعدة النحوية)

وهو القسم الأكبر بحيث يأتي بالشاهد ليوضح أن هذه الظاهرة كثيرة الانتشار، فيكون الشاهد في مقام شرح المسائل، وإتباع لقواعدها، ومن ذلك.

أ- توضيح قاعدة نحوية:

مثل قوله في جواز حذف عامل الفاعل: (وقد يحذف الفعل لقيام قرينة جوازاً في مثل زيد لمن قال من قام؟) ولبيك يزيد ضارع لخصومه[1])[2].

ب- تعدد أوجه الإعراب:

ومن مصادر ذكره الشاهد لتعدد أوجه الإعراب، قوله في كنايات العدد(كم) في إعرابها: (كم عمة لك يا جرير وخالة)[3] ثلاثة أوجه[4]، وهي الجر على أن (كم) خبرية، والنصب على أن (كم) استفهامية، والرفع على أن المميز محذوف، ويكون ارتفاعه عمة بالابتداء[5].

ج- أبطال الرأي المخالف:

كذلك مما استشهد به لإبطال رأي مخالف، بحيث يكون حجة قاطعة على بطلان الرأي المخالف لرأيه، مثل قوله: في أفعال المقاربة (كاد): (وإذا دخل النفي على كاد، فهو كالأفعال على الأصح، وقيل يكون للإثبات مطلقاً، وقيل يكون في الماضي للإثبات وفي المستقبل كالأفعال تمسكاً بقوله: (ما كادوا يفعلون))[6].

د- عدم بشيوع الظاهرة النحوية:

([1]) سبق ذكره.

([2]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية 385.

([3]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية 385.

([4]) المرجع السابق ص 407

([5]) الكافية 98/2.

([6]) سورة البقرة، الآية 71.

مما ذكر مثل قوله في الحال: (... وشرطها أن تكون نكرة وصاحبها معرفة غالباً وأرسلها العراك)[1].

أغراض الاستشهاد بالنثر:

أ- توضيح القاعدة النحوية وشرحها:

مثل قوله في التمييز:(ما يوقع الإبهام المستقر عن ذات مذكورة أو مقدرة فالأول عن مفردة مقدار غالباً إما في العدد نحو: عشرون درهماً، وإما في غيره نحو: رطل زيتاً، ومتوان سمناً، وعلى التمر ممهلا زيداً)[2].

ب- تعدد أوجه الإعراب:

مثل قوله في المنصوب ب(لا) التي لنفي الجنس: (وفي مثل لا حولا ولا قوة إلا بالله خمسة أوجه وفتحها وفتح الأول ونصب الثاني وفتح الأول، ورفع الثاني، ورفعها ورفع الأول على ضعف وفتح الثاني)[3].

ج- أبطال الرأي المخالف: مثل قوله في المندوب: (ولا يندب إلا المعروف، فلا يقال رجلاه، وامتنع وأزيد الطويلاه خلافاً ليونس)[4].

د- عدم شيوع الظاهرة النحوية: مثل قوله في الحال: (كل ما دل على هيئة صح أن يقع حالاً، مثل هذا يسراً أطيب رطباً).

الظواهر اللهجية:

تقطر هذه الظواهر بمثابة شواهد لشذوذ الظاهرة النحوية ومخالفتها للقاعدة، ولهذا فهي تحفظ ولا تقاس عليها، وذكر منها ابن الحاجب في الكافية وكان ينسب هذه اللهجات إلى قبائلها، ومن هذه القبائل:

([1]) سبق ذكره.

([2]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية، 394.

([3]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية)، ص397.

([4]) المرجع السابق، ص394.

1/ تميم:

ذكر لهجة بني في أكثر من موضع مثال ذلك قوه في العلل المانعة للعرف: (العدل: خروج الاسم عن صبغته الأصلية تحقيقاً، كثلاث ومثلث آخر وجمع، أو تقديراً كعمر، وزفر، وباب قطام في بني)[1].

2/ هذيل:

كذلك صور للهجتهم في أكثر من موضع منها: مثل قوله في الإضافة: (إذا أضيف الاسم الصحيح أو الملحق به إلى ياء المتكلم كسر آخره والياء مفتوحة أو ساكنة، فإن كان آخره ألفاً ثبتت وهذيل تقبلها لغير التثنية ياء)[2].

3/ الحجازيين:

أيضاً تعرض للغة أهل الحجاز وذلك في قوله: (وغلاب مبني في الحجاز ومعرب في بني تميم)[3].

([1]) المرجع السابق، ص 353.

([2]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية)، ص 399.

([3]) المرجع السابق، ص 406.

المبحث الثالث

مصادر الكتاب المباشرة وغير المباشرة

المصادر الرئيسية:

واقصد بها التي أخذ منها واعتمد عليها حتى تركت أثراً عاماً فيه، من حيث الشكل، والتبويب، والتقسيم، وطريقة تناول الموضوعات، ومنهج تناول المسائل، وموضوعات من حيث آراء ابن الحاجب حتى وإن لم يصرح بها.

وأهم الكتب هي كتاب سيبويه، وأيضاً كتاب الفارسي، ومفصل الزمخشري.

أولاً: كتاب سيبويه:

ينسب كتاب سيبويه في النحو لأبي عمرو بن عثمان النحوي البصري الحارثي المتوفى سنة ثمانين ومائة للهجرة الملقب بسيبويه، وتعني بالفارسية رائحة التفاح وسبب لقبه بهذا أنه كان يحب شم التفاح.وليس فيه ترتيب ولا خطبة ولا خاتمة[1].

([1]) معجم المؤلفين 822/3، كشف 1426/2– 1427، بغية الوعاة 229/2 معجم الأدباء 114/16، وإرشاد الأديب . تأليف ياقوت الحموي الردمي . تحقيق إحسان عباس (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان الطبعة الأولى 1993، 114/16.

ألف سيبويه كتابه الذي سمي بقرآن النحو، وقبل لم يؤلف في النحو كتاب مثله وهو أول كتاب ألف في النحو، كذلك قيل أن الكتب المصنفة في العلوم مضطرة إلى غيرها، وكتاب سيبويه لا يحتاج إلى غيره، وجميع حكاياته عن الخليل[1].

أطلع العلماء على كتاب سيبويه، وفتنوا به، وأكبوا عليه، يتدارسون مسائله، ويستنتجون أصوله ويديرون البحوث عليه، فكان مبعث نهضة علمية قوية، ومثار جهود فكرية متصلة كان لها في خدمة العربية خاصة، والثقافة الإسلامية عامة ذكر باق. وأثر جليل، ولا يعرف نحوي دارس للنحو إلا تتلمذ له، وأخذ عنه من طريق مباشر أو غير مباشر، بل لا أعرف متكلماً بالعربية أو قارئاً لها إلا وهو مدين له[2].

وعلى كتاب سيبويه شروح وتعليقات كثيرة، وردود نشأت من اعتناء الأئمة واشتغالهم به، وممن شرح له من البصريين ابن الحاجب النحوي، درس ابن الحاجب كتاب سيبويه، وأمعن فيه وشرحه[3]،والذي يؤكد هذا كثرة نقله عن سيبويه وتأثره به، وتأييده لأكثر آرائه، ولا غرابة في ذلك، إذ أن كتاب سيبويه أول كتاب شامل لأبواب النحو، كتب دون منهجية، ولا ترتيب ولا جرم في ذلك، لأنه يمثل المرحلة الأولى في مراحل التأليف النحوي، وكل من صنف بعده يغرق في بحره[4].

ثانياً: كتاب الإيضاح:

ينسب الكتاب الإيضاح في النحو للشيخ الحسن بن احمد بن عبدالغفار بن محمد ابن سلييمان بن أبان الفارسي القسوي (أبو علي) نحوي صرفي، ولد ببلدة قسا سنة 288هـ- 901م، وتوفي سنة 377هـ 987م، وهو كتاب متوسط مشتمل على ستة وتسعين ومائة باب، منها مائة وستة وستين نحو والباقي إلى آخره تصريف، وقد اعتني به جمع من النحاة وصنفوا له شروحاً

([1]) الخليل بن أحمد بن عبدالرحمن أبو عبدالرحمن الفراهيدي الأزدي، نحوي لغوي عروضي ولد سنة مائة هجرية وتوفي سنة خمس وسبعين ومائة، ومراتب النحويين أبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل (دار الفكر العربي، دون تاريخ ،) ص 54، إنباه الرواة 371/1، كشف الظنون، 1427/2.

([2]) سيبويه إمام النحاة على النجدي ناصف (مكتبة نهضة مصر بالفحالة، دون تاريخ، ص186- 187.

([3]) كشف الظنون 147/2، انباه الرواة 273/1، وفيات الأعيان 65/2.

([4]) الفوائد الضيائية 18/1، كشف الظنون 1426/2- 1427.

وعلقوا عليها منهج جمال الدين أبو عمرو بن عمر المعروف بابن الحاجب سماه المكتفي للمبتدئ[1].

اختلف الآراء في صلة متن الكافية بإيضاح أبي علي الفارسي، فمن العلماء من يقطع بعدم وجود صلة بين الإيضاح والكافية، ومنهم من يرجع وجود هذه الصلة، ومن تلك الآراء الرأي القائل: (والدراس لكتاب الكافية يرى أنها سارت على نسق ترتيب أبي علي في كتابه الإيضاح حيث جعل كتابه مقسماً على أربعة أقسام : أسماء وأفعال، وحروف، ومشترك بين أحوالها)[2]، وأيضاً قال النحاة عن كافية ابن الحاجب، (أنها تلخيص للمفصل، وحقيقة الأمر أن ابن الحاجب كان متأثراً في كافيته بالإيضاح والمفصل معاً)[3].

والأرجح أن صلة متن الكافية بإيضاح أبي علي صلة مباشرة وذلك لأن كتاب الإيضاح للفارسي كان بمثابة مدرسة خلفت مدرسة (الجمل) وقد دوى صوت هذه المدرسة في العراق والشام ومصر، ومن المصريين الذين عنوا بالإيضاح ابن بري[4] المصري في القرن الرابع الهجري[5]، وأيضاً ابن الحاجب النحوي في القرن السادس فقد درسه وشرحه[6]، ثم أن تأثر ابن الحاجب بأبي علي تجاوز الناحية الشكلية إلى الناحية الموضوعية، ويظهر ذلك من خلال آراء الآتية:

نذكر منها علي سبيل المثال لا الحصر الآراء التي اتفق فيها ابن الحاجب مع أبي علي الفارسي:

1- ترجيحه تقدير الفعل إذا كان الخبر ظرفاً أو جاراً أو مجروراً[7].

([1]) كشف الظنون 211/1- 212.

([2]) المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن الهجري ص 83.

([3]) المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن الهجري، ص83

([4]) ابن بري عبدالله بن أبي الوحش عبدالجبار، الإمام محمد الشافعي اللغوي، توفي سنة اثنين وثمانين وخمسمائة، انباه الرواة 110/2، وفيات الأعيان 89/3، معجم الأدباء 448/3.

([5]) سيبويه إمام النحاة ص 188.

([6]) كشف الظنون 212/1.

([7]) همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تأليف جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر الصوفي، تحقيق محمد بدرالدين النعماني (دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون تاريخ) 98/1.

2- تجويز العطف مطلقاً في نحو: ما كل سوداء تمرة، ولا كل بيضاء شحمة، لا كما يرى النحاة من أن العامل محذوف والمعمول بقي منصوباً[1].

3- تقاربها في الفكرة إذ يقول ابن الحاجب في مطلب (ربه رجلاً) أن اضمير ليس بنكرة وإنما حكمه حكم النكرات، لذلك لم يوصف[2]، على حين يقول الفارسي إنه معرفة جار مجرى النكرة[3].

تجويزه إلحاق (تاء) التأنيث بالفعل في جمع التصحيح للمؤنث بخلاف سيبويه وجمهور النحاة الذين يوجبونه[4].

تلك الأمثلة آنفاً تدل على أن ابن الحاجب كان يوافق أبا علي الفارسي، وليس في هذا الميل نقصان في شخصية ابن الحاجب، فأبو علي إمام مجتهد في النحو تطور النحو علي يديه، وذلك بما وضعه من مقاييس وتعليلات، فهو صاحب مذهب في النحو، لمع نجمه في القرن الرابع الهجري وظلت قبساً مضيئاً للنحاة الماخرين، إذن فأين الحرج؟ على ابن الحاجب المنطقي الذي يؤمن بالقياس والعلة، والبرهان، والدليل، إذا تأثر بأبي علي في بعض آرائه النحوية، لأنه يشبه إلى حد كبير في نزعته إلى القياس، وميله إلى المنطق، على ان تبعية ابن الحاجب للفارسي ليست تبعية عمياء، وإنما التبعية التي يتضح فيها الدليل ويستقيم فيها المنطق، وتتبين فيها الحجة، وأكبر دليل على ذلك أن ابن الحاجب خالف أبا علي في بعض المسائل النحوية[5].

رغم هذا فإن هناك مآخذ أخذها ابن الحاجب على أبي علي فيما يمنع من الصرف الجمع المشبه مفاعل أو مفاعيل، اتفق العلماء على أن إحدى العلتين هي الجمع واختلفوا في العلة الثانية فقال أبو علي هي خروجه عن صيغ الآحاد، وقال قوم وتبعهم ابن الحاجب: العلة

([1]) شرح التصريح على التوضيح، خالد عبدالله الأزهري على الألفية ابن مالك في النحو، للشيخ جمال الدين أبي محد بن عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري وبها حاشية يس بن زيد الدين العلوي الحمصي(دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلي وشركاء، دون تاريخ) 154/2.

([2]) الكافية في النحو 128/2.

([3]) شرح حاشية الصبان على الأشموني على ألفية بن مالك، محمد بن علي الصبان(دار إحياء الكتب العربية) فيصل عيسى البابي الحلبي، دون تاريخ 207/2.

([4]) شرح التصريح على التوضيح حاشية يس 280/1، حاشية يس 280/1، الكافية في النحو 179/2 وما بعدها

([5]) المدرسة النحوية في مصر والشام ص 85.

الثانية تكرار الجمع تحقيقاً أو تقديراً فالتحقيق نحو أطالب، ومنابر، فإنه وإن كان جمعاً من أول وهلة لكنه يزنه ذلك المبرر، أعني أطالب، وأراهط، فإنه أيضاً جمع واستضعف تعليل أبي علي بأن أفعالاً نحو أضرار وأفلس جمعان، ولا نظير لهما في الآحاد ولا مصروفان.

ثالثاً: كتاب المفصل:

للعلامة محمد بن عمر بن محمد الخوارزمي، الزمخشري خوارزم، وتوفي يجر جانبه خوارزم لليلة عرفة بعد رجوعه من مكة سنة538هـ 1144م، بدأ تأليفه سنة 513هـ أوله (الله أحمد، على ان جعلني من علماء العربية فأنشأت هذا الكتاب أربعة أقسام الأول في الأسماء، والثاني في الأفعال، والثالث في الحروف والرابع في المشترك من أحوالها)[1] (وهو كتاب عظيم القدر كما قيل فيه)[2].

إذا ما أردت النحو هاك محصلاً** عليك من الكتب الحسان مفصلا

وقال آخر:

مفصل جار الله في الحسن غاية ** وألفاظه فيه كدر مفصل

ولولا التقى قلت المفصل معجز ** كابي طوال من طبول المفصل

يمثل كتاب المفصل المرحلة الثانية من مراحل التصنيف في للنحو، حتى عده النقاد ثاني كتاب في النحو بعد كتاب سيبويه، وكتاب المفصل يمثل مرحلة كاملة النمو، وحلقة كاملة الوضع في سلسلة البحوث النحوية، ويرجع ذلك إلى أن المفصل مختلف في منهجه، وتنسيقه عما ألف قبله فجاء مرتباً على فصول، ومن هنا جاء تسميته المفصل[3].

لم تختلف الآراء في صلة متن الكافية بمفصل الزمخشري ولكنها اختلفت في نوعية الصلة، ومن هذه الآراء، الرأي القائل: (درس ابن الحاجب كتاب المفصل دراسة دقيقة جيدة، واستطاع أن يستخرج منه خلاصة نافعة وذلك في مقدمته في النحو المسمى بـ(الكافية، والشافية

([1]) المفصل في علم العربية . أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (دار الجبل، بيروت، دون تاريخ تاريخ)ص5.

([2]) كشف الظنون 1774/2.

([3]) الفوائد الضيائية 19/1

في الصرف)[1]، ومنها أيضاً (اقتضى ابن الحاجب أثر الزمخشري في نواحي عديدة)[2]، كذلك (البحوث تضمها متن الكافية تسير في اصطلاحاتها وفي نهجها العام وفي ترتيبها بطريقة تشبه في كثير من النواحي ما اتبعه الزمخشري في كتابه المفصل)[3].

أيضاً (وله في المقدمة المشهورة في النحو اختصر فيها مفصل الزمخشري)[4]، أي ابن الحاجب ،وقال ابن مالك:(أنه أخذ نحوه من صاحب المفصل، وصاحب المفصل نحوي صغير)[5]، معنى هذه العبارة أن ابن الحاجب تلميذ الزمخشري تأثر به، وسار على نهجه وردد آرائه، ودافع عنها، وليس لابن الحاجب فكر مستقل يستعمله في النحو، يأخذ ما يمليه عليه غيره، من غير نظر أو بحث)[6] والأمر خلاف ذلك في نظر الباحث، تأثر ابن الحاجب بكتاب المفصل للزمخشري، إلا أن لابن الحاجب شخصيته الواضحة التي دعت السيوطي[7]، لأن يقول فيه: ومصنفاته في غاية الحسن، وقد خالف النحاة في مواضع وأورد عليهم إشكالات والتزامات مفحصة يصعب الجواب عليها)[8].

موازنة بين المفصل والكافية:

لكي يكون أهمية الكافية واضحاً جلياً عقدنا موازنة بين كتاب المفصل للزمخشري وكافية ابن الحاجب .

مفصل الزمخشري:

([1]) بغية الوعاة 134/2 – 135.

([2]) الفوائد الضيائية 20/1

([3]) القواعد النحوية مادتها وطريقتها، عبدالحميد حسن (مكتبة الأنجلو المصرية، صبحي وشركاؤه، الطبعة الثانية) ص268.

([4]) البداية والنهاية 176/13.

([5]) بغية الوعاة 134/1.

([6]) المرجع السابق 55/1.

([7]) هو: عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي إمام حافظ مؤرخ أديب، توفي سنة احدى عشرة وتسعمائة، معجم المؤلفين 82/2 – 85. الأعلام 301/3.

([8]) بغية الوعاة 134/2 – 135

1- بدأ الزمخشري كتابه بمقدمة، قال فيها : (الله أحمده على أن جعلني من علماء العربية)[1]، ثم بين سبب تأليف هذا الكتاب ذاكراً اسمه، ثم عرض فيها منهجه، فقال (وأنشأت هذا الكتاب للمترجي بكتاب المفصل في صفة الإعراب مقسوماً أربعة أقسام)[2]:

القسم الأول: الأسماء.

القسم الثاني: في الأفعال.

القسم الثالث: في الحروف.

القسم الرابع: في المشترك من أحوالها.

أما ما جاء في هذه الأقسام من تفصيلات، فبعد أن ذكر الزمخشري فصل في معنى الكلمة والكلام، عرض في قسم الأسماء للاسم وخصائصه، وذكر من أصنافه الاسم المعرب، والمنصرف، وغير المنصرف، ثم وجوب الإعراب[3] ثم المرفوعات وبحث فيها، الفاعل المبتدأ أو خبر إن وأخواتها، وخبر (لا) التي لنفي الجنس اسم (ما) و (لا) المشبهتين بليس[4]، ثم المنصوبات وبحث فيها المفعول المطلق، المفعول به، المنصوب بلام إضماره، منه: المنادي، المنادى المبهم شيئاً هما (أي، اسم الإشارة)، المندوب، الاختصاص، الترخيم، التحذير، الاشتغال، المفعول فيه، المفعول معه، المفعول له، الحال، التمييز، الاستثناء، خبر (ما) و(لا) المشبهتين بـ ليس، الخبر، والاسم في بابي كأن وإن، اسم (لا) التبرئة)[5] ثم المجرورات، وبحث فيه الإضافة اللفظية والمعنوية ،والفصل بين المتضايقين، وحذفها معاً[6] ثم التوابع وبحث فيها: التأكيد، الصفة، والوصف بالجمل، والبدل، وعطف البيان، وعطف النسق[7].

([1]) المفصل، ص6.

([2])المرجع السابق، ص 5

([3]) المفصل، ص 6 – 18.

([4]) المرجع السابق، ص 18 – 30.

([5])ا لمرجع السابق، ص 31 – 82..

([6])المرجع السابق، ص 82 – 110.

([7])المرجع السابق، ص 110 – 124.

ثم ذكر أصناف الاسم المبني سبعة: الإشارة والموصولات وأسماء الأفعال، وأسماء الأصوات، والظروف، والمركبات، وخاز باز سبع لغات، والكنايات[1]، ثم أضاف الاسم وبحث منها المثنى، الجموع، والمعرفة والنكرة، والمذكر والمؤنث، والمصغر، والمنسوب، والعدد، والمقصور، والممدود، وشبه الفعل المعبر عنه بالأسماء المتصلة بالأفعال، والمصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، وأسماء الزمان والمكان، واسم الآلة، والاسم الثلاثي، والرباعي، والخماسي[2].

القسم الثاني: قسم الأفعال:

وبحث فيه الفعل الماضي والمضارع ووجوه إعرابه (المرفوع والمنصوب والمجزوم، والفعل الأمر، والفعل المتعدي، وغير المتعدي، والمبني للمجهول، وأفعال القلوب، والأفعال الناقصة، وأفعال المقاربة، فعلي المد والذم، فعلي التعجب، الفعل الثلاثي، أبنية المزيد، الفعال الرباعي.

القسم الثالث: قسم الحروف:

تناول فيه: حروف الإضافة، والحروف المشبهة بالفعل، وحروف العطف، وحروف النفي، وحروف التنبيه، وحروف النداء، وحروف التصريف، وحروف الإيجاب، وحرفي الخطب، وحروف الصلة، وحرفي التفسير، والحرفين المصدرين، وحروف التحقيق، حروف التقريب، وحروف الاستقبال، والاستفهام، وحرفي الشرط، (إن – لو) وحروف التعليل، وحرف الردع واللامات، وتاء التأنيث الساكنة، التنوين، والنون المؤكد، وهاء السكت وشين الوقف، وحرف الإنكار وحروف التذكير[3].

القسم الرابع: المشترك:

([1]) المرجع السابق، ص 124 – 183.

([2]) المرجع السابق، ص 183 – 243.

([3]) المفصل، ص 283 – 335.

بحث فيه: الإمالة والوقف، القسم وتخفيف الهمزة والتقاء الساكنين، حكم أوائل الكلم وزيادة الحروف، وإبداء الحروف والاعتلال، والقول في الواو والباء فاءين، القول فيهما عينين والقول فيهما لامين، والإدغام.

كافية ابن الحاجب:

كافية ابن الحاجب خالية من المقدمة، وخالية من الحمد، أما من ناحية التقسيم والترتيب، فقد حذا ابن الحاجب حذو الزمخشري في المفصل ما عدا بعض الاختلافات منها:

- أخرج ابن الحاج المندوب من حد المنادى، وأفرد أحكامه بعد كلامه عن الترخيم، وذلك بقوله: (وقد استعملوا صيغة النداء في المندوب، وهو التفجيع عليه (بيا) أو (وا) واختص بـ(وا) وحكمه في الإعراب والبناء حكم المنادى)[1]، أما قول الزمخشري : (ولابد لك في المندوب من أن تلحق قبله (يا) أو (وا) وأنت في إلحاق الألف ي آخره مخير)[2].
- قدم ابن الحاجب :

1- ما أضمر عامله على شريطة التفسير[3]على موضوع التحذير[4].

2- المفعول له علي المفعول معه[5].

3- العطف على التأكيد[6].

4- الكنايات على الظروف[7].

5- موضوع المذكر والمؤنث على المثنى والمجموع[8].

([1]) مجموع مهمات المتون متن الكافية، ص 391.
([2]) المفصل، ص 44.
([3]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية)، ص391.
([4]) المرجع السابق، ص392
([5]) المرجع السابق، ص 393.
([6]) المرجع السابق ص400 – 401.
([7]) المرجع السابق، ص407.
([8]) المرجع السابق، ص410.

- ترك ابن الحاجب في قسم الأسماء الحديث عن الاختصاص وفي قسم الحروف ترك الحديث عن حرفي الخطاب وحروف الإشارة، وحروف التعليل، واللامات التذكير[1].

- أما القسم المشترك لم يحتج ابن الحاجب إلى ذكره في الكافية لأنه يمثل الموضوعات الصرفية، وابن الحاجب افرد للموضوعات الصرفية كتاباً خاصاً بها سماه (الشافية) وبهذا امتازت الكافية على المفصل لأنها تحتوي على الموضوعات النحوية فقط، وبفضل النحو عن الصرف يكون ابن الحاجب قد نهج نهجاً يقوم على التخصيص التأليفي.

المصادر الفرعية:

أي المصادر التي نص ابن الحاجب على استخدامها صراحة أثناء مناقشته لمسائل الكتاب وعرضه للآراء المختلفة سواء تمثلت هذه المصادر في أسماء علماء أم أسماء جماعات أو لهجات بعض القبائل.

آراء النحاة:

ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن الحاجب لم يهمل جهود سابقيه من النحاة، ومذاهب مختلفة وهم وإن قل عدد مرات الأخذ عنهم، إلا أن ذلك يصور لنا مدى اهتمام ابن الحاجب بالأخذ من الموروث النحوي وتحرره ومرونته في التعامل مع جهود سابقيه، وقد ينسب الرأي إلى البصريين أو الكوفيين . وجملة ما روي ابن الحاجب عن سابقيه ثلاثة وثلاثين مرة.

وهذا جدول يبين من أخذ عنهم ابن الحاجب في الكافية مع بيان مرات الأخذ:

الرقم	اسم العالم	تاريخ الوفاة	عدد مرات الأخذ	رقم الصفحة
1.	أبو عمرو بن العلاء[2]	154هـ	1	389

(1) المرجع السابق، ص422- 429.

(2) أبو عمر بن العلاء بن عمار بن العريان، بغية الوعاة، 231/2، معجم الأدباء 1316/3.

الرقم	اسم العالم	تاريخ الوفاة	عدد مرات الأخذ	رقم الصفحة
.2	الخليل بن احمد	175هـ	2	389 ،404
.3	سيبويه	180هـ	5	392 ،384 397،401،423
.4	يونس بن حبيب[1]	183هـ	2	412،385
.5	الكسائي[2]	197هـ	4	412،385 418 ،425
.6	الفراء[3]	207هـ	4	398 ،385 425 ،401
.7	الأخفش[4]	215هـ	3	422 ،383
.8	الجرمي[5]	225هـ	1	395
.9	المازني[6]	248هـ	2	422 ،395
10	المبرد[7]	285هـ	6	392 ،389 425 ،395 425 ،423
11	ابن كيسان[8]	299هـ	1	421
12	الزجاج[9]	311هـ	2	408 ،393

([1]) يونس بن حبيب الضيء يكنى أبا عبدالرحمن، كان النحو أغلب عليه، مراتب النحويين لأبي الطيب النحوي، تحقيق محمد أبو الفضل (دار الفكر العربي دون تاريخ)ص44، إشارة التعيين ص 396.

([2]) الكسائي: أبوالحسن علي بن حمزة بن عبدالله أحد القراء السبعة، كان إماماً في النحو واللغة والقراءات . إنباه الرواة 256/2، وفيات الأعيان 258/3، بغية الوعاة 162/2

([3])الفراء: أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، أخذ علمه عن الكسائي، مراتب النحويين، ص139.

([4]) الأخفش: سعيد بن مسعدة المجاشعي، أخذ النحو عن سيبويه وصحب الخليل أولاً، إنباه الرواة 36/2، وفيات الأعيان 208/1، معجم الأدباء1374/3.

([5]) الجرمي: أبوعمر صالح بن اسحق النحوي كان فقيهاً عالماً بالنحو واللغة العربية لقب بيونس بن حبيب. انباه الرواة 80/2، وفيات الأعيان 399/2، معجم الأدباء 418/3

([6]) المازني: أبوعثمان بكر بن محمد بن عثمان بن حبيب المازني البصري النحوي، انباه الرواة 281/1، وفيات الأعيان 274/2، معجم البلدان 757/2.

([7]) المبرد: أبوالعباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، نزل بغداد وكان إماماً في النحو واللغة، انباه الرواة 241/3، وفيات الأعيان 129/4، مراتب النحويين ص 135.

([8]) ابن كيسان: أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان، أحد المذكورين بالعلم المصوفين بالفهم، كيسان لقب أبيه . انباه الرواة 57/3، مراتب النحويين 138. إشارة التعيين ص 289.

([9]) الزجاج: أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن السرى بن شهل الزجاج الحوي، وفيان الأعيان 74/1، بغية الوعاة 411/1.

هذا بالإضافة إلى ذكر البصريين والكوفيين، وأيضاً لهجات بعض القبائل مثل الحجازيين وبين تميم.

المبحث الرابع

مذهبه واصطلاحاته

الإيجاز وتجنب التكرار:

تعريفاته:

أبرز ما يميز تعريفات ابن الحاجب الإيجاز والوضوح، كذلك الشمول في أداء المعنى .

جاءت تعريفات تحمل طابعين: الإيجاز والوضوح حيث وفق فيه إلى اكبر حد.

ومثال ذلك: (فالمعرب: المركب الذي لم يشبه مبني الأصل)[1] قال ابن الحاجب: هذا أولى من حد النحويين لأمرين[2]:

([1]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية) 381.

([2]) الأمالي النحوية لأبن الحاجب، ص35.

1- أن اختلاف آخره فرع على معرفة كونه معرباً فيلزم على حد النحويين إذاً الدور لأنه لا يختلف آخره حتى يعرف كونه معرباً، ولا يكون معرباً حتى يختلف آخره.

2- إن هذا فيه تنبيه على السبب والمانع، أما السبب فقولنا مركب، وهو سبب الإعراب، والمانع قولنا : لم يشبه مبني الأصل، احترازاً من قولك: جاءني هؤلاء، فإن التركيب موجود إلا أنه مبني لكونه أشبه مبني الأصل.

عباراته:

كانت عبارات ابن الحاجب موجزة وواضحة في كتابه الكافية، وحاول ألا يؤثر الإيجاز في وضوح عباراته، وقد نجح في ذلك لدرجة ما، حيث أنه يحيط بأساسيات القواعد ويبرزها في أسلوب سهل موجز.

مثال ذلك: قوله في التنازع: (وإذا تنازع الفعلان ظاهراً بعدها ...)[1].

عندما قال ظاهراً احترز من مثل قولهم: (جاءني وضربته) فإن كل واحد من الفعلين أخذ مفعول، وشرط هذا الباب أن يكون الفعلان يصح عمل كل واحد منهما في ذلك المعمول.

مثل: (طربني وأكرمني زيد) أو (طربت وأكرمت وأكرمت زيد أو بالعكس)[2] هناك بعض العبارات التي اعتراها شيء من المخالفات النحوية وُصِفَت بأنها ركيكة، وهي قليلة جداً.

مثل: قوله في ما يجمع جمع مذكر سالم: (وشرطة أن يكون اسماً فمذكر علم يعقل، وإن كان صفة فمذكر يعقل، وأن لا يكون أفعل فعلاء، مثل: أحمد حمراء، وفعلان فعلى، مثل: سكران سكرى، ولا مستوياً فيه المؤنث مثل: جريح وجسرو)[3].

([1]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية) 385.

([2]) الأمالي النحوية لابن الحاجب ص18.

([3]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية) 385.

مما أخذ عليه في عبارة (شرطة أن يكون اسماً فمذكر علم يعقل) أن هذه العبارة بها مخالفات منها[1]:

1- دخول الفاء في خبر المبتدأ مع خلوه من معنى الشرط.

2- إن الشرط التذكير، أبي كونه مذكراً، وليس في الخبر ما يجعله بمعنى المصدر.

3- إن إلغاء الشرط المتوسط بين المبتدأ والخبر ضرورة.

يرى بعض العلماء أن ابن الحاجب كان ينبغي أن يستبدل كلمة (يعقل) بكلمة (يعلم) ليشمل قوله تعالى:(ئې ئى)[2]

تعليلاته:

تناول ابن الحاجب في كتابه الكافية القضايا والأحكام النحوية بطريقة مختصرة، حيث تخلي عن التعليلات العقلية والمنطقية، التي غصت كثير من أبواب النحو، وفصله حتى جعلتها تختفي.

وتذكر مثالاً لتعليلاته فقد نجده يقول في أعراب المستثنى بـ(ألا) (... وإذا تعذر البدل على اللفظ فعلى الموقع، مثل: ما جاء في من أحد إلا زيد، ولا أحد فيها إلا عمرو، وما زيد شيئاً إلا شيء لا يعبأ به، لأن من لا تزاد بعد الإثبات، و(ما ولا) لا تقدران عالمتين بعده لأنهما عملتا للنفي وقد انتقض النفي بالا، بخلاف ليس زيد مشياً إلا شيئاً، لأنها عملت للفعلية، فلا أثر لنقض معنى لبقاء الأمر العاملة هي لأجله، ومن ثم جاز ليس زيد إلا قائماً، وامتنع، ما زيد إلا قائماً)[3].

([1]) الكافية في النحو 180/2 - 181

([2]) سورة الذاريات آية 48.

([3]) مجموع مهمات المتون (متن الكافية، 396.

حيث علل لعدم انتقاض النفي بليس، عمل (ليس) للفعلية لا لنفي، وعمل (ما، ولا) بالعكس أي النفي.

يرى الباحث أن الإيجاز والعمل في التعليل الذي انتهجه ابن الحاجب لا غبار عليه، وخاصة أنه أدى المعنى المراد، أما الإدلاء بآراء دون عللها، فهذا غير محمود، لأنه يؤدي إلى الغموض أو الالتباس، وهذا يتلافى والغرش الذي من اجهل وضع ابن الحاجب هذه المقدمة، وهو تقديم مادة النحو بطريقة سهلة واضحة تعي الدارس على فهم هذا العلم.

عدم ذكر الخلافات النحوية:

تجنب ابن الحاجب في الكافية أن يتعرض إلى ذكر الخلافات النحوية بل كان يشير إليها إشارة فكان هذا النهج في كل أبواب الكتاب وفي كل موضوعاته . حيث كان يذكر بعض الآراء المتباينة ليغني بها موضوعه النحوي، ثم يبين أوجه أحكامه دون أن يتعمق الخلافات .

كان ابن الحاجب مرناً في التعامل مع قضايا النحو، وتقبل الآراء المخالفة لرأيه، مثال ذلك: قوله في الممنوع من الصرف: (وسراويل إذا لم يصرف وهو الأكثر، فقد قيل أنه أعجمي حمل على وازنه، وقيل عربي جمع سراولة تقديراً، وإذا صرف فلا إشكال)[1].

يلاحظ الباحث أنه لا يجود في الكافية نحو: لا يجوز، وهذا قبيح، رديء) وهكذا من العبارات التي تدل على اعتراض قبول الآراء الأخرى واستنكارها، بل من الملاحظ أنه يرد ما اقتنع به، ويشير إلى ما خالفه.

منهجه في كتابه:

منهج الزمخشري مبني على الإيجاز في تناوله للموضوعات، أما ابن الحاجب فمنهجه قائم على الإيجاز أيضاً، غير أنه يختلف عنه بشدة ميله إلى الاختصار والاقتصاد في التعبير مع قصد الإحاطة والشمول، والدليل على ذلك:

تعريف عطف البيان عند:

([1]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية، ص383.

الزمخشري: (هو اسم غير صفة يكشف عن المراد كشفها وينزل من المتبوع منزلة الكلمة المستعملة الغريبة، إذا ترجمت بها وذلك نحو قوله : أقسم بالله أبو حنيفة عمر ما مسها من نقب ولا دير أراد ابن الحاجب رضي الله عنه، فهو جار مجرى الترجمة فقد كشف عن الكنية لقيامه بالشهرة دونها[1].

ابن الحاجب: تباع غير صفة يوضح متبوعة. مثل : أقسم بالله أبو حفص عمر)[2].

منهجه في الاستشهاد:

أما من حيث الاستشهاد* بأنواعه، فغالبية شواهد الكافية هي شواهد المفصل، والتشابه في الشواهد النحوية وأداء في عموم مصنفات النحو، وهي قليلة في الكافية لشدة الاختصار والإيجاز فيها.

فمثلا عدد الشواهد الشعرية في الكافية ثلاثة عشر شاهداً شعرياً، على حين عددها في المفصل أربعمائة وأربعة وعشرون شاهداً شعرياً[3].

الاختلاف:

وتكمن مواضع الاختلاف بين كتاب الكافية والمفضل في الآتي:

1- أخرج ابن الحاجب المندوب من حد المنادى، وأفرد كلامه بعد كلامه عن التخريم، كما سيق ذكره.

([1]) المفصل ص 122 -123.

([2]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية)، 402.

*الفرق بين الاستشهاد والاستدلال

([3]) الفوائد الضيائية 25/1.

2- تحقيقه على الزمخشري حينما قال الزمخشري: (المبني هو الذي يكون آخره وحركته لا بعامل)[1].

قال ابن الحاجب هذا الحد ليس بمستقيم لأنه أتي في الحد بواو العطف فإن قصد الجمع لم يستقيم إذ ليس لشيء سكون وحركة في آخره، وإن قصد معنى أو كان فيه تزود لفظي في استعمال الواو بمعنى أو في الحد الواحد[2].

وليس معنى مخالفة ابن الحاجب للزمخشري أنه متعصب ضده ينتقده في كل رأي، ويهدمه في كل فكرة، لا لم يكن كذلك لأن ابن الحاجب كان رائده الحق، والحق وحده، أتى وجده أخذه بغض النظر عن مصدره ومنبعه[3].

المسائل التي وافق ابن الحاجب الزمخشري:

وافق ابن الحاجب الزمخشري في بعض المسائل التي وضع فيها الدليل، وليس معنى هذه الموافقة أنه أخذ نحوه منه، أن ابن الحاجب لا يوافق على رأي إلا بعد مناقشة وبحث، موافقة مصدرها الاجتهاد والعمق لا الاتباع والتقليد[4].

ومن المسائل التي وافق فيها ابن الحاجب الزمخشري:

1- السماوات في قوله تعالى: (ﮪ ے ۓ)[5] مفعول مطلق لبيان النوع عند الزمخشري وابن الحاجب، والمفعول المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعل إيجاده، وإن كان ذاتاً، لأن الله سبحانه وتعالى موجود للأفعال وللذوات جميعاً، لأن المفعول به ما كان موجوداً قبل الفعل الذي عمل فيه، ثم أوقع الفاعل به فعلاً[6].

([1]) المفصل 125.

([2]) الأمالي النحوية في مصر والشام ص 88.

([3]) المرجع السابق ص 88

([4]) المدرسة النحوية في مصر والشام، ص88.

([5]) سورة العنكبوت، الآية 44.

([6]) شرح التصريح على التوضيح، 80/1 – 81.

2- مثل الزمخشري لتقديم الخبر[1] بالآية (ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ)[2] وافقه ابن الحاجب في ذلك بقوله: (فإن سواء خبر مقدم)[3].

3- جميع الأوزان من غير الثلاثي اسم فاعل مطلقاً عند الزمخشري وابن الحاجب، لأن الصفة المشبهة عندها لا تكون مجازية للمضارع وإن لم يقصد بها الحدوث[4].

مما سبق يتضح للباحث أن ابن جني لم يكن نسخة طبق الأصل من الزمخشري يردد آراءه ويتمسك بأقواله، ويأخذ لوجهة نظره كما أدعى ابن مالك، والحقيقة أن ابن الحاجب له شخصية المستقلة في توجيهاته في آرائه وهو وإن تأثر بسيبويه أو بأبي علي الفارسي أو بالزمخشري فهو التأثر الذي لا يذيب شخصيته ولا يغني تفكيره ولا يميت عقله[5].

مصطلحات ابن الحاجب:

المصطلح لغة: مأخوذ من أصل المادة (صلح) والاصطلاح مصدر اصطلح أي وقع بينهم الصلح[6]، والاصطلاح : اتفاق صائغة على شيء مخصوص ولكل علم مصطلحاته[7].

المصطلح النحوي هو: اتفاق بين النحاة على استعمال ألفاظ فنية معينة في التعبير عن الأفكار والمعاني النحوية[8].

وذكر تعريف آخر فقال: "الاصطلاح: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل: الاصطلاح: اتفاق صائغه على وضع اللفظ بإيذاء المعنى. وقيل: الاصطلاح: إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد وقيل: الاصطلاح: لفظ مُعيّن بين قوم معينين".

([1]) المفصل، ص24.

([2]) سورة البقرة الآية 6.

([3]) الأمالي النحوية لابن الحاجب، ص267.

([4]) شرح التصريح على التوضيح (حاشية) ص 78.

([5]) المدرسة النحوية في مصر والشام ص 87.

([6]) معجم متن اللغة، أحمد رضا كحالة (دار مكتبة الحياة، بيروت) 1378هـ 1959م/478.

([7]) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، إبراهيم أنيس وآخرون (دار إحياء التراث الإسلامي، قطر) 520/1.

([8]) المصطلح النحوي نشأته وتطوره، عوض أحمد القوزي (الناشر، عمادة شئون المكتبات، جامعة الرياض، المملكة العربية والسعودية ص22-23.

وقال الكفوي بعد أن ذكر تعريفات تشبه ما سبق عند الجرجاني: "الاصطلاح: يقابل الشرع في عرف الفقهاء، ولعل وجه ذلك أن الاصطلاح (افتعال) من الصُلح للمشاركة كالاقتسام، والأمور الشرعية موضوعات الشارع وحده لا يتصالح عليها بين الأقوام، وتواضع منهم، ويستعمل الاصطلاح غالباً في العلم الذي تُحصل معلوماته بالنظر والاستدلال، وأما الصناعة: فإنها تُستعمل في العلم الذي تُحصل معلوماته بتتبع كلام العرب"[1].

ويتضح مما سبق أنه ينبغي للمصطلح أن تكون العلاقة بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي لألفاظ قائمة، بل قوية في غالبها، ولا يتبادر إلى الذهن عن سماع الألفاظ إلا معانيها الاصطلاحية، غير أنه بالبحث والتحري يُدرك المعنى اللغوي[2]، وتتضح العلاقة بينهما.

ومن سمات المصطلح التي ينبغي أن يتسم بها: أن يكون لفظاً أو تركيباً، ولا يكون عبارة طويلة تصف الشيء وتوحي به، وليس من الضروري أن يحمل المصطلح كل صفات المفهوم الذي يدل عليه، بل يكفي أن يشر إلى أقلها[3]، وإنما الذي يدل على كل صفات المفهوم هو الحدُّ أو الرسم.

ومما ينبغي عمله في المصطلح الجديد أن يكون جارياً على وزن من الأوزان العربية، ولهذا فإن الاشتقاق هو الوسيلة الغالبة في إثباته[4].

ومن شروطه أيضاً عمله في المصطلح مضطرباً، بحيث يمكن استخدامه لمفهوم له مصطلح آخر؛ إذ ينبغي أن يكون المصطلح محدداً، ومعلومة أطرافه، وحدوده، وفروقه مع غيره.

ومما لا ينكر وجوده هو اختلاف المفهوم في مصطلح بعض الألفاظ كالهمز مثلاً، فإن البدوي يستخدمه مصطلحاً على الضغط بشدة، وغيره على ما هو مشهور ومعلوم[5]، أو الاشتراك في المصطلح بين أكثر من معنى نحو: مصطلح المفرد الذي يطلق على نقيض المثنى والجمع، ونقيض الجملة وشبهها، ونقيض المضاف وشبهه.

([1]) الكليات: 129، 130.

([2]) المصطلح النحوي: 22.

([3]) الأسس اللغوية لعلم المصطلح : 15.

([4]) المرجع السابق: 35.

([5]) المصطلح النحوي: 21، 23.

وليس الاشتراك في المصطلح عيباً في ذلك المصطلح؛ إنما العيب هو الاستخدام المطلق لهذا المصطلح المشترك دون تقييد، وقد يقيد المصطلح المشترك استخدامه في باب معين.

غير أنه ينبغي لمستخدم مصطلح مخصوص لمفهوم مخصوص أن يطرد له ذلك في كل كتاباته، ويحسن أن يشير إلى دلالة المصطلح إذا شَعَر أنه مُلبس.

وكان ابن الحاجب دقيقاً في استخدام المصطلحات النحوية والصرفية، ولم يكن ثمة مسائل كثيرة اعترض فيها الرضي على ابن الحاجب في المصطلحات، غير مسألتين سعى الرضي فيهما إلى تحديد أوضح للمصطلح لم يكن هذا التحديد من قبل.

المسألة الأولى:

قال ابن الحاجب في الوقف: "وإبدال تاء التأنيث الاسمية هاء في نحو رحمة على الأكثر، وتشبيه تاء هيهات به قليل، وفي الضاربات ضعيفٌ وعِرقاتٌ إن فتحت تاؤُه في النصب فبالهاء، وإلا فبالتاء، وأما ثلاثة أربعة فن حرَّك فلأنه نقل حركة همزة القطع لمّا وصل، بخلاف (أ * ب)، فإنه لما وُصل التقى ساكنان"[1].

يقول الرضي: "قوله ثلاثة أربعة فيمن حرك" يعني من لم يحرك الهاء وقال ثلاثة أربعة فإن ثلاثة موقوف عليه غير موصول بأربعة؛ فلا اعتراض عليه بأنه كيف قلب التاء هاء في الوصل، وهو أيضاً وهم؛ لأن من لم ينقل حركة الهمزة إلى الهاء أيضاً لا يسكت على الهاء، بل يصله بأربعة مع إسكان الهاء، وليس كل إسكان وقفاً؛ لأنه لابد للوقف من سكنه بعد الإسكان ولو كانت خفيفة، وإلا لم بعد المُسكن واقفاً[2].

([1]) الشافية، 63، 64؛ وشرح الشافية للرضي: 288/2.

([2]) شرح الشافية: 294/2.

ربما تكون إشارة الرضي هذه هي أول إشارة إلى التفريق بين الوقف والسكت؛ إذ أن الوقف والسكت والقطع في عبارات المتقدمين يراد بها الوقف غالباً، أما عند المتأخرين ففرقوا بين الثلاثة عل النحو التالي[1]:

الوقف: عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف في القراءة.

والسكت: عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمناً من غير تنفس.

والقطع: عبارة عن قطع القراءة رأساً؛ والانتقال إلى حالة أخرى.

ولا حاجة لقول ابن الحاجب (فيمن حرك)؛ إذ أنه ولو لم يحرك فليس موقوفاً عليه؛ لأنها يكنه خفيفة، لا ترقى إلى أن تكون وقفاً، ومع هذا فإن التاء تقطب ماء، يقول سيبويه: (وزعم من يوثق به: أنه سمع من العرب من يقول: ثلاثة أربعة، طرح همزة أربعة على الهاء ففتحها، ولم يحولها تاءً؛ لأنه جعلها ساكنة والساكن لا يتغير في الإدراج، تقول: أضرب، ثم تقول: اضربْ زيداً"[2].

وهو بهذا يدل على أن التاء بقيت هاءً حتى وهي ساكنة.

وأبو علي الفارسي لا يرى طرح حركة الهمزة على ما قبلها إذ يقول: "ومن قال: إن حركة الهمزة ألقيت على الدال فهو خطأ، وذلك أن الهمزة لا تثبت هذا الموضوع فكذلك حركتها"[3].

المسألة الثانية:

قال ابن الحاجب في ذي الزيادة: "والميم كذلك، ومُطرِدة في الجاري على الفعل"[4] يقول الرضي: "ولو قال في موضع (الجاري على الفعل): المتصل بالفعل، لكان أعمَّ؛ إذ لا يقال للموضع والزمان هما جاريان على الفعل"[5].

([1]) النشر في القراءات العشر: 239/1، 240.

([2]) الكتاب: 265/3. و المنصف: 10/1؛ والخصائص 305/1؛ وشرح المفصل لابن يعيش 82/9، 83.

([3]) المسائل المنشورة: 257.

([4]) الشافية: 76، وشرح الشافية للرضي: 372/2.

([5]) شرح الشافية: 374/2.

مصطلح الجاري على الفعل: مصطلحٌ لم يكن منضبطاً عند الصرفيين، فبعضهم يستخدمه مراداً به اسم الفاعل والمفعول فقط[1]، وهو عند آخرين يسري على كل مشتق[2].

وتعريفه عند جمهور الصرفيين[3]: الموافق للفعل المضارع لفظاً ومعنىً. والمقصود باللفظ: هو الحركات والسكنات والحروف. والمعنى: هو اشتماله على معنى الفعل. فمن قصر التعريف على اللفظ فقط أدخل أسماء الزمان والمكان المشتقة؛ ومن قصر التعريف على اللفظ فقط أدخل أسماء الزمان والمكان والصفة المشبهة، ويبقى: اسم الفاعل والمفعول، وابن الحاجب يرى أن الجاري على الفعل هو المشتق منه[4]، وهذا يكفي. ولهذا فإن له مدخلاً في قوله (الجاري على الفعل) لأنه عنده يشمل المشتقات. والجاري عنده في الإعلال هو الموافق للفعل (حركة وسكوناً مع مخالفة: بزيادة أو بنية مخصوصتين)[5].

ولم يكن ابن الحاجب أولاً في قوله هذا، فابن السراج يقول: (والزيادات لا تلحق بنات الأربعة أولاً إلا الأسماء الجارية على أفعالها نحو مدحرج)[6].

وكذلك يقول: ابن عصفور: (فإن كان بعدها أربعة أحرف مقطوعاً بأصالتها قضي على الميم بالأصالة، إلا في الأفعال والأسماء الجارية عليها[7].

إلا أن سيبويه كان دقيقاً وهو يقول: (ولا نعلم شيئاً من هذه الزوائد لحقت بنات الأربعة أولُ سوى الميم التي في الأسماء من أفعالهنَّ"[8]، والمقصود المتصلة بالأفعال.

وعلى هذا فابن الحاجب لم يكن مخطئاً وهو يقول (الجاري على الفعل) لاختلاف مدلوله عنده عن غيره؛ إذ يدخل فيه أسماء الزمان والمكان كما أشار إلى ذلك في الإيضاح[9].

([1]) المفصل: 218/ 226، 229، 230؛ وشرحه لابن يعيش: 68/6، 80، 109.

([2]) الإيضاح 627/1، 638؛ وشرح الشافية لركن الدين: 993/2؛ والجار بردي: 610/2.

([3]) المفصل: 218–230؛ وشرحه لابن يعيش: 68/6، 80، 81، 109؛ وشرح ابن معط 979/2؛ وحاشية الصبان: 292/2.

([4]) الإيضاح:638/1.

([5]) الشافية: 104.

([6])الأصول: 237/3.

([7]) الممتع: 247/1. وقوله: (في الأفعال) لعلة سهو من الناسخ أو المؤلف؛ إذ لم يثبت أن زيدت الميم أولاً في القول الرباعي.

([8]) الكتاب: 293/4.

([9]) الأصول 638/1.

ولم يكن الرضي مخطئاً وهو يعترض، ويرى أن التعبير بـ (المتصل بالفعل) أولى؛ إذ أنَّ هذا التعبير أدقُّ وأضبط، وينتفي به اللبس من كون أسماء الزمان والمكان لا تدخل في زيادة الميم أولاً، كما أنه عُرْف أكثر الصرفيين.

ومن المصطلحات التي استخدمها ابن الحاجب في الكافية:

1- أنواع الإعراب : رفع ونصب، وجر، وجزم[1].

2- استخدام المصطلح البصري: المفعول المطلق[2] ... أما الكوفيون فلا مفعول عندهم إلا المفعول به، ويسمون باقي المفعولات شبه المفعول[3].

3- الظرف: قال ابن الحاجب المفعول فيه: هو ما فعل فيه فعل مذكور من زمان أو مكان، وشرط نصيه تقدير (في) وظروف الزمان كلها تقبل ذلك وظروف المكان إن كان مبهماً قبل ذلك، وإلا فلا)[4] فقد استعمل ابن الحاجب هذا المصطلح أما الكوفيون فعند الكسائي (صفة) وعند الفراء (محل)[5].

4- البدل: (هو التابع المقصود بالحكم ومن أنواعه، والبدل المطابق وبدل الجزء من الكل وبدل الاستمال وغيرها)[6].

قال بن الحاجب (البدل تابع بما نسب إلى المتبوع دونه، وهو بدل الكل والبعض والاشتمال والغلط)[7] استخدم ابن الحاجب مصطلح (البدل) وهو بصري أما الكوفيون قيمونه: الترجمة التبين، التكرير، المردود[1].

([1]) شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مصر – القاهرة – مطبعة السعادة ط1 1952، ص45.

([2]) مجموع مهمات المتنون (متن الكافية)، ص388- 393، المصطلح النحوي ص162.

([3]) معجم النحو العربي، حسن قطر، ط1994م دمشق، ص 527.

([4]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية)، ص392.

([5]) المصطلح النحوي، ص162.

([6]) معجم النحو العربي حسن قطر، ص527.

([7]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية)، ص 402.

5- ما ينصرف ما لا ينصرف: وعند الكوفيين يسمى ما يجري وما لا يجري[2].

6- (لا) النافية للجنس[3]، والكوفيون يسمونه (لا) التبرئة[4].

7- النعت[5] وهو مصطلح مشترك بين البصريين[6] والكوفيين (الصفة أو الوصف).

8- الفعل[7]، وعند الكوفيون العماد[8].

9- الخفض[9]: هو كوفي أما عند البصريين الجر.

10- حروف الجر[10]: وعند الكوفيين (حروف الصفات) وكلا المذهبين تسميها (حروف الإضافة).

([1]) المصطلح النحوي ص 162، المدارس النحوية (اسطورة واقع) ط1 1917، ص135.

([2]) المصطلح النحوي ص162.

([3]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص397.

([4]) المصطلح النحوي ص 162.

([5]) مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص399.

([6]) المصطلح النحوي ص162، الخلاف بين النحويين ص24.

([7])مجموع مهمات المتون(متن الكافية)، ص404.

([8]) المصطلح النحوي، 162.

([9]) ينظرمجموع مهمات المتون (متن الكافية)، ص396-401.

([10]) المرجع السابق، ص421.

الفصل الثالث

إسهامات ابن الحاجب في النحو

المبحث الأول: جهوده في النحو

المبحث الثاني: آراؤه واتجاهاته النحوية

المبحث الثالث: التأثر والأصالة والتأثير

المبحث الرابع: قيمة الكافية العلمية والمآخذ التي عليها وأثره في كتب المتأخرين

المبحث الأول

جهوده في النحو

يُعد ابن الحاجب من أعظم النحاة العرب وأوسعهم شهرة في القرن السابع الهجري وحتى يومنا هذا وذلك يرجع لشهرته الواسعة التي نالها.

فإن ظهور ابن الحاجب يعد بداية لمرحلة جديدة في النحو العربي وكما أن تاريخ النحو العربي انقسم إلى مرحلتين منذ نشأته المبكرة في القرن الثاني للهجرة إلى يومنا هذا حيث كان سيبويه يقف على قمة المرحلة الأولى فإننا نجد إمام النحاة ابن الحاجب يقف على قمة المرحلة الثانية.

فقد كانت أهمية سيبويه ترجع إلى أنه خط بمهارة فائقة قواعد النحو العربي، تلك الخطوة التي حددت معالمه ورسمت اتجاهاته.

فإن أهمية ابن الحاجب يعود إلى أنه قام بأهم وأكبر عملية تصفية وتنقية لقواعد النحو العربي. التي شهدها تاريخه، وهي الخطوة الأخيرة والتي استبدل بعدها النحو العربي في صورته الثانية إلى يومنا هذا ونحن نعيش على هذا التراث الذي خلفه لنا ابن الحاجب فهو ميراث يشهد على سعة الاطلاع الواسعة التي يقوم بها ذلك الشيخ الجليل وإمام العربية ابن الحاجب، فقد صنف في النحو والصرف واللغة والقراءات وغيرها فإن أهمية ابن الحاجب ترجع لتلك المصنفات بل ترجع أيضاً إلى المذهب النحوي البالغ الأثر الذي أقام دعائمه ورفع قواعده وأتم بنيانه.

ومن حسن حظ النحو العربي أن ابن الحاجب قد ظهر بعد أن نضجت دراساته واكتملت مذاهبه، ويقوم هذا المذهب في جوهره على أساس المزج والاختصار من المذاهب السابقة بصرية أو كوفية أو بغدادية أو أندلسية مع ميله للحياد وتوخي السهولة والتيسير وجنوح إلى الاجتهاد والتجديد.

فمن هذه المقدمة السابقة نلمس أن ابن الحاجب كانت له جهود جبارة قام بها حتى وصل إلينا هذا العلم[1] والذي نحن الآن نجني ثمراته ونتائجه.

فجهود ابن الحاجب في النحو العربي لا يمكن حصرها في هذا البحث ولكن يمكن أن نكتفي بجهوده داخل كتابه المسمى "الكافية" والذي نحن الآن بصدد البحث فيه، ويمكن حصر مجهودات ابن الحاجب في الآتي:

أ- تأليفه للكافية.

ب- المذهب الذي اتبعه واستعان به في "شرح الكافية".

أولاً: تأليفه "للكافية وشرحه":

قدم ابن الحاجب خدمة جليلة للنحو العربي بتأليفه لهذا الكتاب القيم والذي يضم أبواباً مهمة من أبواب النحو، وقد كان هذا الكتاب عصارة جهده بعد أن نضج النحو واستوى عند ابن الحاجب وقد أنعم عليه الله بعمر طويل قضاه في خدمة العلم ولهذه كان من حسن حظ النحو العربي أن يكون "شرح الكافية" من ضمن مؤلفاته احتوى على زبدة أفكاره وآرائه التي قضى فيها جل عمره.

وكما أسلفنا فإن هذا الكتاب يعد صغيراً بالنسبة لكتب ابن الحاجب الأخرى لكنه يضم موضوعات تعتبر في غاية الأهمية وقد بدأ بباب الكلمة والكلام وحد كل منهما وختمه بباب نونا التوكيد[2].

وقد استعان في شرحه بالآتي:

- القرآن الكريم.
- الحديث الشريف.
- الشعر العربي.
- القراءات.

([1]) أعني بالعلم علم النحو العربي.

([2]) الكافية في علم النحو، ص56

1- القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم فهو كتاب ختم الله به الكتب وأنزله على نبيّ ختم به الأنبياء وبدين خالد ختم به الأديان.

فهو دستور الخالق وإصلاح الخلق وقانون السماء لهداية الناس أجمعين، فهو حجة الرسول صلَّ الله عليه وسلم وآيته الكبرى شاهداً برسالته وناطقاً بنبوته.

وهو ملاذ الدين الأعلى يستند الإسلام إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه ومعارفه[1]، وقد حفظ ابن الحاجب القرآن في سن مبكرة من عمره كما مرَّ بنا من قبل وقد كان إماماً في القراءة وعللها واللغة[2].

إذاً فقد حفظ ابن الحاجب القرآن مبكراً واهتم باللغة والأدب وغير ذلك من العلوم والتي سوف نتعرض لها فيما بعد.

لذلك استعان بالقرآن في شرح هذا الكتاب المسمى بـ "الكافية" وقد استشهد بعدد وافر من آيات القرآن الكريم. وقد بلغ عددها مائة واثنان آية.

مثلاً في باب الممنوع من الصرف أشار ابن الحاجب إلى قوله تعالى: (ﺋ ﺋ ه ﺍ)[3]

وفي ثنايا هذا الكتاب نلمح بين الحين والآخر آية أو حديثاً أو بيتاً من الشعر أو قولاً مأثوراً وهذا مرده إلى تشبع ابن الحاجب من هذه المصادر وهي مصادر جديدة بالاهتمام وأصدق هذه المصادر كتاب الله تعالى وهو القرآن الكريم وها نحن ندلل على حديثنا بنماذج من كتاب الله.

([1]) محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرءان، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات 10/1، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م

([2]) الفصل الأول، حياة ابن الحاجب.

([3]) سورة الإنسان: الآية (15-16).

2- الحديث النبوي الشريف:

تباينت آراء العلماء حول الاستشهاد بالحديث النبوي، والمشهور أن النحاة الأوائل من بصريين وكوفيين لم يستشهدوا بالحديث على قضايا النحو واللغة.

وقد انقسم العلماء إزاء ذلك إلى ثلاث فرق. الفريق الأول: يرى المنع ويمثله ابن الصائغ ت "686هـ" وتلميذه أبو حيان الأندلسي ت "745هـ". الفريق الثاني: يرى الجواز ويمثله ابن خروف[1] والفريق الثالث ويرى التوسط ويمثله الشاطبي[2] أستاذ وشيخ ابن الحاجب.

موقف ابن الحاجب من الاستشهاد بالحديث النبوي قد وقف شيخنا موقف المعتدل المتوسط حيث لم يرفض ولم يسهب منها وقد بلغ ما استشهد به من الحديث النبوي ستة أحاديث. وبهذا الفهم نجد أن ابن الحاجب قد وضع الحديث النبوي في الموضع الذي يليق به، وهذا يدل على اعتداده بأقوال الرسول صلَّ الله عليه وسلم، ولا بد من أن نسوق الأمثلة التي تدل استشهاده بالحديث النبوي الشريف.

فمثلاً جاء في باب الممنوع من الصرف: جاء في حديث (بهيمة جمعاء)[3] أي سالمة لا عاهة فيها (بيّنه هي يحسن فيها من جدعاء)، أي: مقطوع الأذن، فثبت ما ذكره من العدول عن اللفظ والمعنى جميعاً، والعدول التقديري، نحو: عمر حيث سُمِعَ في كلامهم غير معروف، وليس فيه علة ظاهرة غير العلمية، فوجب تقدير علة أخرى، وما أمكن تقدير علة من العلل سوى العدل، وجب تقديره إذا صار الأمر متردداً بين خَرمْ قاعدة معلومة، وهو منع الصرف بمجرد العلمية، وبين تقدير العدل على استبعاد، فوجب تقدير المستبعد، كأنهم قصدوا به التسمية بعامر ثم عدلوا إلى عمر، وعدلوا في المعنى من اسم الجنس إلى العلمية[4].

([1]) ابن خروف: هو علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي، من أهل أشبيلية، أمام في النحو واللغة مصنفاته عديدة منها شرح كتاب سيبويه توفي سنة 609هـ "إشارة التعيين"، ص228.

([2]) الشاطبي: هو القاسم بن ميزة بن أبي القاسم خلف بن أحمد بن الرعيني الشاطبي كان إمام في النحو والقراءات، ولد سنة 538هـ، وتوفي سنة 590هـ، "بغية الوعاة، 260/2".

([3]) الحديث ورد في صحيح مسلم 2047/4، وفي مسند ابن حنبل 233/2، 375، 292.

([4]) شرح الوافية نظم الكافية، لأبي عمرو عثمان بن الحاجب، تحقيق: دكتور موسى بناي علوان العليلي، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، 1400هـ-1980م، ص140.

وهكذا كان استشهاد ابن الحاجب بالحديث النبوي الشريف وقد جعل الطريق ممهد الطلبة العلم والباحثين لمن أراد أن يستشهد بأحاديث الرسول صلَّ الله عليه وسلم.

3- الشعر العربي:

فالشعر عمدة الأدب وعلم العرب الذي اختصت به عن سائر الأمم، وبلسانهم جاء كتاب الله المنزل على النبي محمد صلَّ الله عليه وسلم.

وقد علمنا في السابق أن ابن الحاجب له اتجاهات أدبية والدليل على ذلك نظمه "للكافية" وشرحه لها، التي ألفها في علم النحو، وقد استفاد منها جميع علماء النحو العربي إلى يومنا هذا، لذلك نجد أن ابن الحاجب قد جعل الشعر العربي من استشهاداته وقد استشهد به في المرتبة الثالثة بعد الحديث النبوي الشريف، ومن استشهاده بالشعر العربي.

فقد بلغ عدد الشواهد الشعرية في شرح الوافية اثنان وأربعون شاهداً.

مثال ذلك في باب نائب الفاعل:

لقد وَلَدَتْ فقيرة جِروَ كلب فسُب بذلك الجرو الكلابا[1]

فإنه أقام الجار والمجرور مقام الفاعل، ونصب الكلاب، وهو مفعول صريح، وجوابهم أنه خارج عن القياس واستعمال الفصحاء فكان مردوداً[2].

كان استشهاده ابن الحاجب بقول الشعر العربي وقد كان ترتيبه بعد الحديث النبوي الشريف وذلك يرجع إلى أن الشعر له مكانة خاصة عند ابن الحاجب لأنه بتذوق هذا الفن.

4- الاستشهاد بالقراءات:

وقد استشهد ابن الحاجب بالقراءات من ذلك:

قراءة نافع وهشام وأبوبكر والكسائي وأبو جعفر ورويس (سلاسلاً) بالتنوين للتناسب؛ لأن ما قبله منون منصوب، وقال الكسائي وغيره من الكوفيين: إن بعض العرب يصرفون جمع ما لا

([1]) البيت لجرير في خزانة الأدب 337/1.

([2]) شرح الوافية نظم الكافية، ص 170.

ينصرف إلا أفعل التفضيل، وعن الأخفش يصرفون مطلقاً، وقرأ أبو عمرو: بغير تنوين بالوقف على الألف، وقرأ ابن عامر وحمزة "سلاسلَ" بغير تنوين، ووقف حمزة بغير ألف.

والياقوت بالمنع من الصرف على الأصل، لأنه كمساجد، وهي رواية زيد عن الدجوني، وقد وافق ابن الحاجب الرأي الأول، وهو الصرف للتناسب[1].

5- استشهاده بما ورد على لسان العرب الفصحاء، ومن ذلك:

ومما تقدم نستنتج أن ابن الحاجب قد نوَّع في شواهده من القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلَّ الله عليه وسلم وبعد ذلك الشعر، ثم ورد على لسان العرب المشهود لهم بالفصاحة وأظن أنه استوفى الشواهد لتدعيم آرائه، فقد رتب هذه الشواهد من حيث الأهمية حيث بدأها بالقرآن وختمها بما ورد على ألسنة العرب المشهود لهم بالفصاحة. وبهذا يكون ابن الحاجب قد أكمل تأليف هذا الكتاب على الصورة التي يلغيها.

ثانياً: المذهب الذي اتبعه واستعان به في "شرح الكافية" وحتى تكتمل صورة هذا الكتاب كان لا بد لابن الحاجب أن يتبع منهجاً وهذا المنهج قد تميز بالآتي:

1- التجديد في منهج التأليف: ويتمثل التجديد في تقسيمه إلى أبواب ومواضيع وهذا المنهج يعد مذهباً علمياً حديثاً، وكذلك نلحظ الطرافة والتجديد والابتكار وهو منهج تعليمي يعتمد كثيراً على المناسبة والاستطراد وارتباط اللاحق بالسابق.

2- النظم العلمي للفنون:

يعد ابن الحاجب ناظماً دون منازع فقد نظم "الكافية" بمنتهى البراعة والإبداع خاصة وكان ذلك ظلم من الملك.

لذلك نجد هذا النظم في كتاب "الكافية وشرحه" من حيث التنظيم والمتن بطرق علمية.

3- التيسير والتسهيل والتلخيص في عرض قضايا النحو:

([1]) شرح الوافية نظم الكافية، ص 138، وكتاب السبع في القراءات ص 663، والحجة في القراءات السبع، ص330، التسيير في القراءات السبع، ص217، غريب إعراب القرءان 480/2، إتحاف فضلاء البشر، ص428..

ويظهر ذلك في اختياره للأسهل والتبسيط والبعد عن التكلف من الخلافات والآراء والاتجاهات، فقد كان رحمه الله يفهم وظيفة النحو وهي تقويم الألسن وصرفها، ووظيفة الخط تقويم البنان ومدار هذين الوظيفتين تقويم الجنان. لأن الكلام لا يفهم ولا يتحقق ذلك إلا إذا خلت قواعده من التعقيد والتكلف وسلمت رسمها.

فإذا نظرنا إلى "شرح الكافية" نجده ينطبق مع هذا المسلك السهل الخالي من التعقيد.

4- المزج والاختيار بين مذاهب النحاة: ويظهر ذلك جلياً في الآتي:

أ- مزجه بين مذاهب النحاة على اختلافهم فقد كان ابن الحاجب جريئاً على المزج بين مذاهب النحاة، من بصريين وكوفيين وبغداديين دون ميل أو انحياز؛ فهو بعرض الآراء أو لا في دقة متناهية "وأمانة فائقة" ثم يرجع ويتخير من بين هذه المذاهب والآراء وتارة يتخذ موقفاً خاصاً وفق ما يمليه عليه اجتهاده الحق.

وهو أسهل المذهبين وأحق بالاطراد.

ب- مزجه بين مصادر الاستشهاد من القرآن والحديث وكلام العرب شعراً أو نثراً وقد تعرضنا لهذا سابقاً في الفصل الثاني عند الحديث عن المصادر.

هذا هو مذهب ابن الحاجب النحوي وقد لمحنا هذا المذهب واضحاً وجلياً لابن الحاجب في هذا الكتاب من حيث التأليف والشرح ومذهبه النحوي الذي أضاف إليه بعداً آخراً فجاء هذا الكتاب وخرج ناضجاً وقوياً وشاملاً.

أهمية كتاب الكافية العلمية:

يعتبر كتاب الكافية دستور الفن العربي وثقافته، وهي مختصرة غنية عن التعريف[1]، اشتهر كتاب كافية ابن الحاجب، ومختصره في الأصول في كل أرجاء بلاد العرب والعجم واهتم بها دراسة وتحليلاً إلى يومنا هذا[2].

([1]) كشف الظنون، 1370/2.

([2]) المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن للهجرة، ص60.

تأليف ابن الحاجب كتاب الكافية تعتبر محاولة منه لتيسير النحو لطلابه، ولعل اسمها يشير إلى الغرض الحقيقي من تأليفه، فالكتب التي سبقت كتابه في التأليف كانت معقدة والذي يطلع عليها اليوم يلحظ ذلك جلياً[1].

يمتاز هذه المقدمة بصغر الحجم مع ذلك كثر انتفاع الناس منها، قد عمل ابن الحاجب في هذه المقدمة الآتي: التلخيص والإيجاز غير المخل بالمعنى، وهذا يدل على مدى إلمامه وتمكنه من ناحية اللغة، ومعرفته بسير أغوارها. قال عنه أبو الفتح محمد بن علي القشيري: "هذا الرجل تيسرت له البلاغة فتفيأ ظللها الظليل، وتفجرت له ينابيع الحكمة فكان خاطره ببطن المسيل، وقرب المرمى فخف الحمل، وقام بوظيفة الإيجاز، فناداه لسان الإنصاف ما على المحسنين من سبيل"[2]

لقي كتاب الكافية إقبالاً وإعجاباً من العلماء واعتزوا به اعتزازاً بالغاً، ومظاهر ذلك الإعجاب ما قيل في حقها من شعر حيث قال بعضهم:[3]

ما أبصرت عيني بمثل الكافية مجموعة تدري المآرب شافية
يا طالباً للنحو ألزم حفظها واعلم يقينا أنها لك كافية

وقال آخر[4]:

صاغ الإمام الفاضل ابن الحاجب درراً فأخفاها كغمز الحاجب
لما تواتر حسنها بين الورى قالت: أنا السحر الحلال فحاج بي

شروح الكافية ومنظوماتها:

بلغ الاهتمام البالغ من قبل العلماء حد التسابق لأجل شرحها، ويرجع ذلك لملائمتها للدرس النحوي من حيث الإيجاز مع اشتمال الأسرار والمقاصد النحوية، وإذا لم تكن للكتاب

([1]) المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن للهجرة، ص60.
([2]) الطالع السعيد، ص353-354.
([3]) الفوائد الضيائية، 30/1.
([4]) كشف الظنون، 1370/2؛ والفوائد الضيائية، 30/1.

مميزات لما وصل أهليته لذلك، قد بلغ بعض النحاة من ولع واهتمام شديداً حتى نسب إليها فاشتهر بالكافيجي[1].

بلغ شروح الكافية مائة ونيف نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1- شرح إبراهيم بعروش، اسمه "الوافية شرح الكافية"[2].

2- شرح أحمد بن محمد الرصاص، ت658هـ واسمه "منهج الطالب"[3].

3- شرح أحمد بن محمد بن يوسف الخالدي الصفدي "ت 1034هـ"[4].

وأشهر هذه الشروح، وأحسنها جمعاً، وشمولاً وتحقيقاً شرح الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي المتوفى سنة 686هـ وقد طبع عدة مرات، ومما قيل عنه: لم يؤلف على الكافية ولا على غائب كتب النحو مثله فتداوله الناس واعتمدوا عليه، وله فيه أبحاث كثيرة ومباحث ينفرد بها[5].

منظومات الكافية:

قد دل على أهمية هذا الكتاب "الكافية" قيام العلماء بنظمها؛ وذلك لأجل تسهيل حفظها، ومن منظوماتها[6]:

1- نظم ابن الحاجب نفسه.
2- نظمها الملك الناصر داود الملك المعظم.
3- نظم إبراهيم النقشبندي.
4- نظم إبراهيم ششتري.
5- نظم أمير مصطفى الشيرازي.

([1]) الكافيجي: هو أبو عبدالله محمد بن سليمان المتوفى بالقاهرة سنة 879هـ. الفوائد الضيائية، 30/1.

([2]) الفوائد الضيائية، 31/1.

([3]) المرجع السابق نفسه، 31/1، بروكلمان، 310/5.

([4]) بروكلمان 321/5

([5]) المدرسة النحوية في مصر والشام، ص60-62؛ وخزانة الأدب 12/1.

([6]) شرح الوافية نظم الكافية، ص51-52.

6- نظم حسام الدين إسماعيل بن إبراهيم.

7- نظم شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عمر.

8- نظم محمد الشيخ معروف النودهي.

9- نظم لم يعرف صاحبه. نظم سنة 752هـ.

هذا أن دلّ إنما يدل على مكانة الكافية بين جمهرة النحاة المعاصرين لابن الحاجب والمتأخرين عنه، فهي تحتل المرتبة الأولى بكرة الشروح والتعليقات والنظم، حيث لم يصل أي مصنف من مصنفات النحاة إلى ما وصلت إلى الكافية، إذ بلغ عدد شروحها مئة وخمسين شرحاً، وإذا أضفنا إلى هذا العدد النظم وشرح النظم، والحواشي على الشروح، لزاد العدد على المئتين.

وبهذا يمكن القول بأن الكافية أبرز كتاب أكتب شهرة واسعة عند النحاة، وما كان ذلك إلا أنه جديد في منهجه جديد في اتجاهه التعليمي، مشوق في مادته[1].

([1]) شرح الوافية نظم الكافية، ص53-54.

المبحث الثاني

آراؤه واتجاهاته النحوية

تمهيد:

لقدُ شِغل النحاة واللغويون بالبحث عن الصحيح الذي يقّومون به ألسنة المتكلمين، وصولاً إلى الغاية العظمى، وهي صون كتاب الله من الزلل، فكان القرآن الكريم هو الباعث لظهور النحو، وكان لازماً عليهم أن يتفّكروا ويتدّبروا عند وضع القواعد الأولى، وصولاً إلى الرأي الأمثل الذي يتفق مع النظام اللغوي السليم، ونتيجة لذلك، شهد الدرس النحوي ظهور اتجاهات مختلفة في النحو العربي عبر صوره الطويلة، فتنوعت الآراء وكثرت الاجتهادات العلمية تبعا لذلك بين من يقبل بهذا الاحتمال أو يرّده؛ ليبعدوا عن سبيله كل ما يعتوره من لحن، أو فساد في مستويات اللغة الأربعة.

ورد الاحتمال في الاصطلاح بأنه (ما لا يكون تصور طرفيه كافًيا، بل يتردد الذهن في النسبة بينهما، ويراد به الإمكان الذهني)[1]، فيكون للمفردة في تركيب ما أو للتركيب كله، إمكان القيام بوظيفتين نحويتين أو أكثر ضمن النص اللغوي الواحد[2]، ولدلالة سياق النص اللغوي الأثر الكبير في توجيه النص فَتتفاوت التوجيهات قوة بحسب قدرتها على استعمال القرائن وهو ما يفرق بين الاحتمال واللبس.

فاللبس هو تعدد احتمالات المعنى دون مرجح[3]، فلا (ينكر أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها[4]، فيكون المعنى الناتج من التراكيب محتملاً، (وما يكسُبها القطعَ هو ما يحيطُ بها من ظروف سياقية وإذا تمّكن التركيب

([1]) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: 12.

([2]) الاحتمال النحوي في خطب الإمام علي عليه السلام، دراسة في شروح (نهج البلاغة) حتى نهاية القرن السابع الهجري، مقداد علي مسلم العميدي (رسالة ماجستير)، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2011: 7.

([3]) اجتهادات لغوية: تمام حسان: 185.

([4]) النحو والدلالة: محمد حماسة عبداللطيف: 144.

من أن يحفظ أكثر من وجه في ظل سياق عام نشأ الاحتمال)[1]. وبهذا يكون الاحتمال الأرجح هو الذي يكشف عن مدى قرب السياق اللغوي من صحة النص أو صوابه، فالمستوى الصوابي معيار لغوي يرضى عن الصواب ويرفض الخطأ في الاستعمال[2].

وفي هذا البحث سأعرض للاحتمالات الواردة في مبحث حروف الجّر في شرح كافية ابن الحاجب وهي:

1. دلالة (مِن) على ابتداء الغاية:

تأتي (مِن) للابتداء، وهو معنى متفق عليه، ولكن تباينت آراء النحويين في دلالتها على ابتداء الغاية في المكان، أو فيهما معا، وعلى النحو الآتي:

أولاً: ذهب سيبويه (ت 180هـ) إلى أن (من) لابتداء الغاية في المكان، إذ يقول (وأما من فتكون لابتداء الغاية في الأماكن، وذلك قولك: من مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا)[3]، نحو:(سرُتِ من البصرةِ إلى الكوفةِ)، والمعنى حسبما يفسّره ابن حاجي عوض، (أن ابتداء سيريِ من البصرة، وذلك بأن يكون للفعل المتعدي بها امتداد ويكون ابتداء ذلك الفعل من مجرورها...، أو يكون ذلك الفعل أصلاً لشيء ممتد كما في قولك: خرجت من الدار، فإن الخروج وان لم يكن له امتداد لكنه أصل لما له الامتداد)[4].

فـ (من) لابتداء الغاية في الأمكنة، فحسب على رأي سيبويه، وتابعه البصريون وابن السراج (ت 316هـ)[5] وعندهم أن (من) نظيرة (مُذ) في الزمان؛ قال سيبويه: (أّماُ مذ فتكون ابتداء غاية الأيام والأحيان كما كانت (من) فيما ذكرت لك، ولا تدخل واحدةٌ منهما على صاحبتها. وذلك قولك: ما لقيت مُذَ يْوم الجُمعة إلى اليوم، ومذ غدوة إلى الساعة، وما لقيتُه مذ اليوم إلى ساعتك

([1]) دواعي احتمالية الدلالة النحوية في القرءان الكريم، شعلان عبد علي سلطان (أطروحة دكتوراه) جامعة بابل، كلية التربية، 2009م، 81.

([2]) اجتهادات لغوية: 72.

([3]) الكتاب، سيبويه: 224/4.

([4]) شرح كافية ابن الحاجب (عوض): 1098، و شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الاستربادي: 264/4.

([5]) الأصول في النحو، ابن السراج: 409/1.

هذه، فجعلت اليوم أول غايتك فأجريت في بابها كما جرت من حيث قلت: من مكان كذا إلى مكان كذا).

و((لا يجوز أن تقول: (ما سرتُ مُذ بغداد)، فكذلك لا يجوز أْن تقول: ما أَريته منَ يْوم الجُمعة)[1]. واحتج البصريون بما أجمع عليه نحويوهم في هذا الرأي، فقد ذكر الأنباري أن البصريين أجمعوا: (على أن ِ(من) في المكان نظير ُ(مُذ) في الزمان، لأن (من) وضعت لتدل على ابتداء الغاية في المكان، كما أّن ُ مُذ وضعت لتدل على ابتداء الغاية في الزمان)[2].

أمّا ما ورد من الذكر المبارك كقوله تعالى :(ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ)[3] فقد تأوله البصريون بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، والتقدير عندهم: من تأسيس أول يوم[4].

وقد ردّ ابن مالك (ت 672هـ) هذا الرأي متهَما البصريين بأّنهم يقلدون سيبويه، وذلك في قوله: (فمنعوه تقليًدا لسيبويه في قوله (وأّما ِ(من) فتكون لابتداء الغاية في الأماكن... وأّما (مذ) فتكون لابتداء غاية الأيام والأحيان... ولا تدخل واحدة منهما على صاحبتها)، يعني أّ ن (مذ) لا تدخل على الأمكنة، ولا (من) على الأزمنة، فالأول مسلّم بإجماع، والثاني ممنوع، لمخالفته النقل الصحيح والاستعمال الفصيح)[5]، ووصف رأي سيبويه بالتعسف[6].

ثانياً:

أجاز الكوفيون استعمال (من) في الزمان، فضلاً على استعمالها في المكان، فهي لابتداء الغاية في المكان والزمان[7]، مستدلين في ذلك بالسماع، حسبما يذكر الفراء (ت 207هـ)

([1]) الكتاب: 226/4، و رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبدالنور المالقي، 322.

([2]) الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري: مسألة (54): 307/1.

([3]) التوبة، الآية (108).

([4]) المرجع السابق نفسه.

([5]) الإنصاف مسألة (54): 307/1، الجنى الداني في حروف المعاني، ابن قاسم المرادي: 309.

([6]) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح الكتاب، ابن مالك، 189، و شرح التسهيل، ابن مالك، 131/3.

([7]) الجنى الداني، 309.

في قوله: (سمعت العرب تقول: من شب إلى دب بالفتح، ومن شب إلى دب يقول: مذَ كان صغيرًا إلى أن دب)[1]، أي استعمل (من) للابتداء الغاية في الزمان بمعنى (مذ).

ووافقهم من البصريين، الأخفش(ت 215هـ)[2]، والمبرد (ت 285هـ)[3]، وابن درستويه (ت 347هـ)[4]، وصححه ابن مالك إذ قال: (وقول من أجاز ذلك هو الصحيح الموافق لاستعمال العرب)[5]، وأيّده الرضي (ت 686هـ)، فقال: (والظاهر مذهب الكوفيين)[6]، واختاره ابن عقيل (ت 769هـ) قائلاً: (وهو كثير في لسان العرب، نثراً أو نظماً، فالوجه اقتياسه)[7]، فكثرة استعمال (من) في الزمان هو ما استدل به المجّوزون على أريهم، فقد ورد في القرآن الكريم وسمع في كلام العرب، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: (ﯣ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ)[8] **وقوله تعالى:** (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ)[9].

ومن الشعر قول زهير بن أبي سلمى[10]:

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر.

وقول النابغة الذبياني[11]:

تُورثَّن من أزمان يومِ حليمةٍ إلى اليومِ قدُ جّرْبن كّل التجارِب

وغيرها من الشواهد التي استدل بها النحاة على استعمال (من) في الزمان[12].

([1]) الموفي في النحو الكوفي، للسيد صدر الدين الكنغراوي: القسم السابع: 214.

([2]) معاني القرءان، أبو زكريا يحيى الفراء، 469/1.

([3]) معاني القرءان، أبو الحسن الأخفش الأوسط، 366/1.

([4]) شرح المفصل: 459/4.

([5]) شرح التسهيل: 130/3، وشواهد التوضيح والتصحيح: 189.

([6]) شرح الرضي: 264/4.

([7]) المساعد في شرح التسهيل: 246/2.

([8]) سورة التوبة، الآية (108).

([9]) سورة الجمعة، الآية (9).

([10]) شعر زهير بن أبي سلمى، الاعلم الشمنتري: 114.

([11]) ديوان النابغة الذبياني، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم: 45.

([12]) الإنصاف مسألة (54): 307/1، وشرح المفصل: 459/4، وشواهد التوضيح: 190، شرح التسهيل: 132/3، وشرح الرضي: 264/4، وشرح ابن عقيل: 16/3.

وقد رد البصريون هذه الشواهد، وقّدروا ما جاء فيها على حذف المضاف وقيام المضاف إليه مقامه، قال السيرافي (ت368هـ)(إن قوله: من أول يوم، يجوز أن يكون معناها: من تأسيس أول يوم، وحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. وقول زهير: من حجج، أي من مر حجج)[1].

أّما ابن حاجي عوض، فقد صوب أري الكوفيين بقوله: (والكوفيون أجازوا كونها لابتداء الغاية في الزمان أيضاً، وقد أصابوا في ذلك؛ لأنه هو الموافق لاستعمال العرب حيث لا مانع عن مثل قولك: نمت من أول الليل إلى آخره، وصمت من أول الشهر إلى آخره)[2].

ويمكن القول إن الصواب فيما ذهب إليه الكوفيون، فقد استدل الكوفيون بما سمعوا من فصحاء العرب، وبما ورد في القرآن الكريم من دون تأويل أو تقدير.

على خلاف ما هو الأمر في مذهب البصريين الذين خضعوا لمعيار التأويل، وكأّنهم يصرون على جعل (من) لابتداء الغاية في المكان فحسب، ويظهر ذلك في قول ابن مالك: (ومنها قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً، فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى، صلاة العصر على قيراط قيراط. ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكم أجركم مرتين)[3] قلت: تضمن هذا الحديث استعمال (من) في ابتداء غاية الزمان أربع مرات، وهو مّما خفى على أكثر النحويين فمنعوه تقليًدا لسيبويه)[4]. فضلاً على ذلك فـ (إن ورود (من) في الزمان استعمال صحيح، ولا يوجد فيه ما يؤثر على معنى أو يخل بتركيب)[5]، وبناء على ذلك، فكلام الكوفيين هو الراجح؛

([1]) شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي: 92/1، و الإنصاف مسألة (54): 307/1.

([2]) شرح كافية ابن الحاجب (عوض): 1098.

([3]) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: 90/3.

([4]) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: 189.

([5]) آراء الكوفيين اللغوية في شرح السيرافي، حسن هادي عبدالنبي: 291.

لأن له ما يعضده من الكلام الفصيح نظماً ونثراً، ولخلوه من التأويل والتقدير، وترك التقدير أولى من التقدير، مادام المعنى مستقيماً وخالياً من اللبس.

كل عالم من علماء النحو واللغة، في الغالب يكون منتمياً لمدرسة معينة يعتنق مذهبها وينتهج منهجاً وهذه المدارس قد تكون بصرية أو كوفية أو بغدادية أو غير ذلك والسؤال الذي يفرض نفسه الآن، هل اعتنق ابن الحاجب هذه المدرسة في بداية حياته العلمية؟ وما هذه المدرسة التي تأثر بها أولاً؟ وهل هذه المدارس ساعدت ابن الحاجب في الاستقلال بآرائه الخاصة؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة لا بد من سوق الأدلة حتى نتعرف ونتأكد منها ليكون بعدها الحكم الموثق والبينة الواضحة.

وكما ذكرنا سالفاً فإن مذهب ابن الحاجب يقوم على المزج والاختيار بين المذاهب السابقة كلها والتيسير وجنوح شديد إلى الاجتهاد والتجديد.

وبعد البحث والتنقيب لم نجد ما يشير صراحة إل أن ابن الحاجب قد اعتنق مدرسة بعينها لكننا نلمح أن بعض الكتب أشارت إلى أن ابن الحاجب ينقل من البصريين أو من العلماء الذين ينتمون لمدرسة البصرة أو ينقل من الكوفيين أو من العلماء الذين ينتمون إلى مدرسة الكوفة.

فمثلاً جاء في الوافية شرح منظومة الكافية في باب الفعل المضارع عند قوله:

فـــارفع إذا لـــم ينتصـــب أو ينجـــزم وانصـــب بـــأن وكـــن وكـــي إذا وعـــم

أخذ يذكر عوامل الأفعال، فقال: يرفع الفعل إذا جرد عن عوامل النصب وعوامل الجزم، وهذا تعريف الكوفيين، وهو أقرب من تعريف البصريين، وقولهم: يرتفع الفعل المضارع إذا وقع موقع الاسم[1].

رجح المصنف رأي الكوفيين لأنه بعيد عن التكلف، وذلك لأن الفعل المضارع إذا لم يكن منصوباً ولا مجزوماً فهو مرفوع. أما مذهب أهل البصرة فقد يرد عليه اختلاف مقام الاسم في النصب والجر بحرف الجر الزائد.

([1]) ابن الحاجب، شرح الوافية، ص343.

ومما يلاحظ أن ابن الحاجب له آراء انفرد بها دون غيره من علماء النحو مثال ذلك عند حديثه عن أفعال القلوب.

أخذ يذكر المتعدي من الأفعال، وحدّه بأنه الذي لا يعقل إلا بمتعلق كضرب وقتل وأكل وشرب، فإنك إذا قطعت النظر عن التعلق لم يفهم، ثم إن كان المتعلق واحداً وكان متعدياً إلى واحد، وإن كان المتعلق اثنين كان متعدياً إلى اثنين، مثل (كسوتُ، وأعطيت وعلمت وظننت)، وليس في المعاني ما تتوقف عقليته على ثلاث متعلقات إلا أعلمت ورأيت، وزاد الأخفش أظننت وأحسبت وأخلت وأزعمت، وأما أخبر وخبَّر وأنبأ ونبَّأ وحدَّث فقد أجريت مجرى أعلمت لموافقتها لها في أن ما علمته ففي النفس حديث عنه، وإن كان المفعولان في معنى المصدر لأنه الحديث والنبأ والخبر فليس هو في التحقيق متعلقاً، وإنما هو من الأفعال التي تسمى أفعال القلوب[1].

لقد انفرد ابن الحاجب في جعل هذه الأفعال: (أخبر وخبَّر وأنبأ ونبَّأ وحدَّث) متعدية إلى مفعول به واحد وهو المفعول الأول، أما المفعول الثاني والثالث فهما في معنى المصدر لدلالته على الحدث والنبأ والخبر.

ومن هذه المسألة نلحظ أن ابن الحاجب له نزعة كوفية لكن إذا أردنا أن نحصر المسائل التي وافق فيها البصريين والكوفيين وبعض المدارس[2] ممكن لكن الحديث سيطول لذا سنحاول الاختصار قدر الإمكان في هذا السياق.

ومما أخذ ابن الحاجب بأقوال البصريين:

في قولك (أسلمتُ كي أدخل الجنة)، متفق على أنها (كي) وقوله: إضمار أن من بعد حتى والفاء يقول:إنَّ (أنْ) تنصب مقدرة بعد هذه الحروف.

([1]) ابن الحاجب، شرح الوافية نظم الكافية، ص361-362.

([2]) أعني ببعض المدارس، المدرسة البغدادية والأندلسية.

فهذا قول المبرد[1]، وابن السراج[2]، والفارسي[3]، أي هذا رأي البصريين وسيبويه أما بقية النحاة فرأيهم أن هذه الحروف إما تعمل بالخلاف نقله ابن الحاجب عن البصريين أو مباشرة[4].

فنرى في هذه المسألة أن ابن الحاجب أخذ بمذهب البصريين.

موقفه من الأصول النحوية:

السماع: وهو ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فولاه كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم، ثم كلام نبيه صلَّ الله عليه وسلم، ثم كلام العرب قبل البعثة، وفي زمنه، وبعده إلى زمن فسدت الألسنة فيه بكثرة الموالدين، نظماً ونثراً[5].

وابن الحاجب – كغيره من النحاة – اعتمد على السماع في إثبات الأحكام النحوية، ففي المضارع وأبوابه قال: ...

القياس: وهو تقدير الفرع بحكم الأصل[6]. أو: هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه. وهو من أصول النحو المعتبرة، بل هو معظم أدلة النحو، والمعول عليه في غالب مسائله[7].

ولازم القياس نشأة النحو العربي، وهو أمر طبيعي؛ لأن القياس هو الأساس الذي يقوم عليه وضع القواعد النحوية واطرادها، وكان قياس النحاة في أول أمرهم فطرياً لغوياً تبنى على الكثرة المطردة في كلام العرب، ثم بدأت الصفة والعقل يدخلان أقيسة النحاة منذ أن تُرجم منطق أرسطو، فوجد ما يسمى بالقياس العقلي أو المعنوي أو الصناعي، وكان أساس هذا النوع من القياس المشابهة المعنوية لا المشابهة اللفظية.

([1]) صاحب المبرد أخذ عنه أبو القاسم الزجاجي وأبو سعيد السيرافي من تلاميذه عثمان بن جني توفي سنة 377هـ "سير أعلام النبلاء"، 483/14.

([2]) ابن السراج: إمام النحو، أبوبكر محمد بن السري البغدادي النحوي.

([3]) الفارسي: الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي، ولد بفارس، قدم بغداد من تلاميذه عثمان بن جني، توفي سنة 377هـ "غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري"، 900/1.

([4]) ابن الحاجب، شرح الوافية نظم الكافية، والكتاب 417/1، والانصاف 555/2، 557.

([5]) السيوطي، الاقتراح، ص24.

([6]) الأنباري، لمع الأدلة في أصول النحو، ص93.

([7]) الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب، ص45، والاقتراح ص59.

وقد أكثر ابن الحاجب من القياس، ويجد في كتابه نوعاه القياس اللغوي والقياس العقلي أو المعنوي، ولا غرابة في ذلك، فابن الحاجب مالكي المذهب والمعتقد بلا شك قد اعتمد ابن الحاجب القياس بقسميه اللغوي والعقلي، فمن أقيسته اللغوية التي اعتمد عليها في تقرير كثير من المسائل النحوية.

وربما حكم على الرواية بالشذوذ إذا ابتعدت عن هذا النوع من القياس، وربما قام بتأويل بعض ما جاء حتى ينسجم مع القياس، وهو بذلك يقتضي أكثر البصريين

ومما يتصل بمباحث القياس التعليل، لأن العلة تدور مع الحكم إثباتاً وعدماً وهي ركن من أركان القياس. وابن الحاجب يبين لعلة في الأحكام التي يتطرق لها، ويتضح اهتمامه بالعلة من خلال كثرة إيراده لهذه العلل.

وطبيعي أن تؤثر ثقافته الفقهية على علله؛ ولذا وجدته يسوق بعض العلل الفقهية في آرائه.

ثالثاً: الإجماع: والمراد به إجماع نحاة البلدين: البصرة والكوفة[1].وهو أصل من أصول النحو، ومن الأدلة المعتبرة، لكنه دون رتبة السماع والقياس.

وقد اعتمده ابن الحاجب في تقرير كثير من الأحكام النحوية .

رابعاً: الاستقراء: وهو الكم على كلي بوجوده في أكثر جزئياته، فلو كان في كلها لم يكن استقراء، بل قياساً مقسماً، ويسمى هذا استقراء لأن مقدماته لا تحصل إلا بتتبع الجزئيات، وهو استقراء ناقص لا يفيد اليقين لجواز وجود جزئي لم يستقرا، ويكون حكمه مخالفاً لما استقرئ[2].

خامساً: استصحاب الحال: وهو من أدلة النحو المقررة إذا لم يوجد دليل آخر ينقل عن الأصل، والمراد به "إبقاء حال اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل"[3] وقد اعتمده ابن الحاجب فهو يرى، إن بقاء الشيء على أصله أولى إلى أن دل السماع على نقله من ذلك الأصل فيعمل به، فإن لم يدل سماع على ذلك تمسك بالأصل حتى يرد ما ينقل عنه.

([1]) السيوطي، الاقتراح، ص505.

([2]) الجرجاني، التعريفات، ص18، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، ص49.

([3]) الأغراب في جدل الإعراب، ص63، لمع الأدلة، ص11، الاقتراح، ص101.

المبحث الثالث

التأثر والأصالة والتأثير

مفهوم التأثر:

إن التأثر في اللغة يدور في فلك التتبع والتعقب، والملاحقة، فتأثر الشاعر بمن سبقه إذا سار على نهجه أو تطبَّع بطبعه، فالتأثر هو علاقة ذات ارتباط سببي بين عنصرين يكون الأول فيهما فاعل والثاني مفعول به، والتاريخ عن هذه العملية هو فعل التأثير أو الأثر، فالتأثير هو إبقاء الأثر في الشيء[1] وأثر في الشيء: ترك فيه أثراً[2] يقول عنترة:[3]

أشكو من الهجر في سرٍّ وفي علنٍ شكوى تؤثر في صلد من الحجر

فالأثر هو نتيجة التأثير[4]. إذن فعملية التأثير تقوم على ثلاثة عناصر:

1/ المؤثر: أو فاعل التأثير، وهو الطرف الأول أو المتغير الثابت، وهو العنصر الأقوى؛ لأن عملية التأثير هي عملية تبادل ناتجة عن احتكاك عنصرين أو أكثر توقف على قابلية العنصر الأضعف على تقبل ما ينتقل إليه من العنصر الأقوى أو ما يتركه فيه العنصر الأقوى من أثر، فإذا احتكت لغتان مثلاً، فإنهما – ولا شك – تتبادلان التأثير والتأثر، ولكن أثر اللغة الأقوى منهما سيكون أكبر في الأخرى، وإذا كان فارق القوة بينهما كبيراً فسينتهي الأمر بموت اللغة الضعيفة وذوبانها في اللغة الأقوى؛ ومن هنا كان المؤثر هو العنصر الأقوى، وهو في دراستنا الحالية الزمخشري وقوته بالنسبة لابن الحاجب والتي تتجلى في احتوائه لأفكار منهجية.

2/ المآثر: أو المفعول به فعل التأثر، وهو الطرف الثاني، أو المتغير المتحول، وهو العنصر الأضعف في معادلة، التأثير، وعليه يقع فعل المؤثر، وصفة الضعف هنا ليست صفة لازمة أو صفة مطلقة، فكما ذكرنا فقد يكون التأثير متبادلاً، فتبدو العملية وكأنها عملية تواصل لا تخلو

([1]) ابن منظور، لسان العرب، ت: عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، ج1، ص25.

([2]) الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، 1377هـ– 1958م، ص143.

([3]) مجمع اللغة العربية، الخرطوم، معجم الإحسان، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم ط1، 1431هـ – 2010م، ص29.

([4]) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين)، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط1، 1971م، ص53.

من التغذية المرتدة فابن الحاجب أعاد تصدير النحو، بل وجميع الدراسات اللغوية في أسلوب جديد.

3/ الأثر: وهو الفعل الناتج عن التأثير وهو يحمل مضامين إصلاحية كثيرة جداً تختلف باختلاف مجال الدراسة وطبيعة العنصرين الآخرين المؤثر والمتأثر، فالأثر هو ما بقى من رسم الشيء أو ضربة السيف[1].

فهو بهذا يدل على الناحية المادية كبقايا الديار التي يترك القوم بعد رحيلهم، والآثار المتبقية للحضارات البائدة، وكذلك ما يتركه السف من بقايا الجروح والندوب على الجسد.

ويدل الأثر كذا وكذا، أي في السنة وجمعه آثار[2] ويطلق أحياناً على الخير نفسه كما في قوله تعالى: (ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ)[3]. ويتجلى في دراستنا الحالية فتلك الأفكار التي نقلها ابن مالك عن ابن الحاجب والتي ستوضحها هذه الدراسة بالتفصيل إن شاء الله.

تعريف التأثير: هو بقاء الأثر في الشيء وأثره وجئتك على أثره والجمع آثار، وأثر فيه تأثيراً ترك فيه أثراً[4].

ومن هذا المعنى الذي أوردناه لمعنى التأثير نلحظ أن الإمام جمال الدين ابن الحاجب قد تأثر بمن سبقه سواء من أساتذته الذين تتلمذ عليهم، كأمثال الشاطبي أو ما قرأه عن علماء البصرة أو علماء الكوفة وغيرهم من المدارس الأخرى.

وقد كان لهذا التأثير فوائد جمة لابن الحاجب والنحو العربي، والتأثير سنة حميدة وكل عالم من علماء النحو يبدأ متأثراً بمن سبقه من علماء مشهود لهم بالكفاءة وطول الباع وهذا ما فعله ابن الحاجب عليه رحمة الله.

ولولا التأثير لما وصل إلينا هذا العلم الذي بين أيدينا الآن ونحن نرفل بين جوانحه.

([1]) إسماعيل بن حماد الجوهري، (الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ت: أحمد عبدالغفور عطار، ط3، 1402هـ – 1982م، ج3، ص575.

([2]) محمد فريد وجدي، مرجع سابق، ص53.

([3]) سورة يس، الآية 12.

([4]) تاج العروس، مادة أثر.

ومما سبق نستنتج أن التأثير يعني السير على درب السابقين من نحاة العربية والذين سطروا أسماءهم بأحرف من نور في علم النحو العربي.

ولكن هناك أسئلة ملحة، هل كان ابن الحاجب متأثراً بالآخرين؟ وهل هذا التأثير يحمد له؟ أم يحسب عليه؟

فالتأثير حقاً مشروع لكل طالب وباحث، خاصة في بداية حياته العلمية، وهذا ما حدث لإمامنا وشيخنا ابن الحاجب. فقد استفاد ابن الحاجب كثيراً من تراث الذين سبقوه، فقد أخذ من هذا التراث الضخم مما أثبته من أقوال النحاة المتقدمين مما كفاه الرجوع إلى كتبهم.

وللإجابة عن سؤالنا الأول، هل كان ابن الحاجب متأثراً بالآخرين؟ نسوق الشواهد الآتية:

1- تأثر ابن الحاجب بإمام النحاة سيبويه.

2- تأثر ابن الحاجب ببعض علماء النحو والصرف:

لم يقف ويقتصر تأثر ابن الحاجب بسيبويه فقط وإنما تأثر ببعض علماء النحو والصرف فذكر منهم:

أ- الأخفش، فقد وافقه في مواقف عديدة وكذلك الزمخشري وأبو علي الفارسي.

ثم يضيف قائلاً على مذهب البصريين"

تأثر ابن الحاجب بالزمخشري في المفصل وتتمثل في بعض المواضيع:

أولاً: من حيث التقسيم والترتيب والأسلوب لكن أسلوب ابن الحاجب كان أكثر إيجازا من شيخه الزمخشري.

ثانياً: آراءه المستقلة: تظهر اتجاه ابن الحاجب من خلال موقفه من الخلاف بين النحاة على النحو التالي:

- رفض الرأي الذي ترفضه الدليل.

- قبول الرأي الذي تؤيده أحداث النظريات اللغوية والأحكام التي تثبت بالقياس والنقل ثم بعلله.

أبرز ملامح شخصية ابن الحاجب:

1- ميله للمدرسة البصرية في أكثر آرائه وقليلاً للكوفية.

2- احترامه وتقديره للأصول النحوية "السماع – والقياس".

3- له آراء مخالفة للنحاة مثال ذلك قول:

حمامة في غصون *********

الشاهد فيه بناء "غير" على الفتح لإضافته إلى مبني، وهو المصدر، والأصل فيه أن يكون معرباً مرفوعاً لأنه فاعلٌ للفعل يمنع.

وانفرد ابن الحاجب برأي هو جواز بناء الظرف إذا أضيف إلى مبني[1].

من الشواهد السابقة، السالفة الذكر نجد أن ابن الحاجب قد كان تأثره واضحاً بإمام النحاة سيبويه وقد وافقه في كثير من المسائل كما أن خالفه في بعض منها وهذا الموقف يدل على أن ابن الحاجب لم يكن تابعاً فقط وإنما كان يرجح هذا ويترك ذاك بأمانة وتجرد بعد أن يعمل فيه عقله الوقادة وبصرة النقادة، ثم أنه لم يقف على إمام النحاة سيبويه فقط، وإنما تأثر بآخرين ومنهم أبو علي الفارسي والزمخشري وغيرهم من علماء النحو والصرف.

وهذا التأثير الذي أثبتناه بحيث لا يدع مجالاً للشك يحمد لابن الحاجب ولولا هذا التأثير لما وصل إلينا هذا العلم الذين بين ظهرانينا وبين أيدينا فكل عالم يبدأ متأثراً بمدرسة معينة أو علماء ثم بعد ذلك يستقل برأيه وهذا ما يعرف أو نسميه الأصالة.

([1]) ابن الحاجب، شرح الوافية، ص306. وسيبويه، الكتاب 368/1، وشرح شواهد الكتاب لابن النحاس، ص167، الإنصاف 287/1، المغنى 159، الخزانة 45/2.

الأصالة: "أصل" الأصل أسفل كل شيء وجمعه أصول، ورجل أصل له أصل، ورجل أصيل ثابت الرأي عاقل، وقد أُصل أصالة مثل ضُخم ضخامة، وفلان أصيل الرأي وقد أصل رأيه أصالة[1].

فلأصالة تعني الإنفراد بالرأي والاستقلال به، فقد بدأ ابن الحاجب متأثراً ثم استقل برأيه، بعد أن نضج فكره وصقل نفسه وقوي عوده وتفتح زهره وهذه تعد ثمرة كل مجتهد وباحث.

وقد بينا في الفصول السابقة أماكن هذه الشواهد ومثلنا لها بأمثلة في ثنايا هذه الدراسة.

لكن هذه الشواهد ذكرتها حتى أوضح استقلال ابن الحاجب برأيه والانفراد به. وبذلك نكون قد أدلينا بقدر قليل من حق هذا الشيخ الجليل.

يمكن أن نجمل القول بأن ابن الحاجب قد تأثر بالذين سبقوه من علماء النحو والصرف – كأمثال سيبويه والزمخشري – وقد استفاد من هؤلاء كثيراً حتى نضج هذا العلم، ثم بعد ذلك استقل برأيه وأصبح له مذهبه الخاص به والذي انفرد به عمن سواه من علماء النحو والصرف ثم بعدها أصبح عالماً مرموقاً، بين علماء العربية.

وكما علمنا فابن الحاجب متعدد المواهب، من نظم للشعر ومعرفة تامة بأسرار العربية هذا بخلاف حفظه لكتاب الله، وقد استقل نظمه للشعر في تلخيص وترتيب وتبويب قواعد النحو والصرف، لذلك عمت الفائدة من هذا العالم والشيخ الجليل.

([1]) لسان العرب، 16/11، باب "أصل".

المبحث الرابع

قيمة الكافية العلمية والمآخذ التي عليها

تكمن قيمة "الكافية" لمؤلفه ابن الحاجب في أنه حوى كثيراً من القضايا النحوية، ويكفى أنه أخرجه في ثوب جديد، وعالجها بأسلوب علمي، حيث بسط مسائل النحو، وأقام لها الأمثلة، واستشهد لها بالقرآن الكريم، ولم يستشهد ابن الحاجب في كتابه الكافية بالحديث، ويرجع ذلك إلى أن علماء النحو القدامى لا يحتجون بالحديث باعتباره روي بالمعنى ويحتمل أن يكون دخل فيه اللحن لأن أغلب الذين رووا الحديث من غير العرب، وأقول إذا حضر أولئك العلماء هذا العصر ونظروا الجهد الذي بذلوه علماء الجرح والتعديل في ضبط الحديث سنداً ومتناً لاحتجوا به وتركوا الشعر الذي يكثر رواته وكم من بيت لا يعلم حتى قائله فكيف يحتج به دون الخبر المتواتر.

واستشهد بسائر ما أثر عن العرب من أشعار وأقوال وأمثال، وطلب لها العلل، وذكر خلاف المدرستين الكوفية والبصرية، والبغدادية وأفراد علمائها، وبسط أدلة كل فريق، واختار ما رآه راجحاً، وضعف ما رآه مرجوحاً دون تعصب ولا أن يتجنى على أحد، أو يطعن في رواية ولكن رفض بعض القراءات الشاذة. وراعى الأمانة العلمية في النقل، ونسب ما نقل إلى أهله.

وتبرز القيمة العلمية لكتاب "الكافية" في كونه اعتنى بأهم كتب النحو العربي وهو"المفصل" فاهتم بمصطلحاته وتعريفاته، فذكر احترازاتها، وقوَّم ما رأى فيها من خلل، كما سبق وذكرت موقف ابن الحاجب مع الزمخشري، وجبر نقصها مستفيداً ممن سبقه من النحاة، فلخص آراءهم، واقتضى أثرهم في العرض والتقسيم والتمثيل، والتدليل والتعليل.

وهذا الكتاب – الكافية – شاهد حي على ازدهار الحركة العلمية عامة والدرس النحوي خاصة في بلاد مصر والشام في القرن السابع الهجري، فهو يعطى صورة واضحة عن معالم الدراسات النحوية في تلك البلاد، واتجاهات النحو في تلك المرحلة، فقد كان ابن الحاجب تلميذاً لجهابذة النحو المصريين والشاميين مثل: القاسم بن فيرة، ابن خلف الشاطبي المقري الشهير المتوفى بمصر سنة 599هـ، وأبو القاسم هبة الدين علي بن مسعود البوصيري الكاتب الأديب

المحدث المتوفى سنة 600هـ، وغيرهم[1]. فلا شك أنه قد تأثر بهم وسار على منوالهم في التدريس والتأليف، ولكن ابن الحاجب مدرسة جديدة قائمة بذاتها وانطبع بذلك طلابه فمضوا على منواله، بذلك ازدهر الدرس النحوي.

ولما كان ابن الحاجب بشراً يعتريه ما يعتري البشر من نقص، ويجري عليه ما يجري عليهم من الزلل كان أمراً طبيعياً أن يقف الباحث على بعض الملاحظات في كتابه قيد الدراسة، وهي لا تنقص من قيمة الكتاب العلمية، ولا تمس من مكانة الإمام ابن الحاجب.

اسم الكتاب وزمن ومكان تأليفه:

اسم الكتاب:

اسمها كامل (كافية ذوي الأرب في معرفة كلام العرب) وهي مقدمة شاملة في علم النحو، تكفي الدارس ليحيط علماً بالموضوعات الأصول في علم النحو بعيداً عن التفاصيل والخلافات وهو ما قصد إليه ابن الحاجب[2].

كذلك ورد الكتاب بتسميات متعددة، المترجمون لابن الحاجب، والمفهرسون لشروح الكافية، هذه التسميات:

1- مقدمة الكافية لابن الحاجب.

2- شرح على كافية ابن الحاجب[3].

3- مقدمة الكافية تحقيق الدكتور طارق نجم 32.

زمن ومكان تأليف الكتاب:

لم تختلف النسخ على زمن ومكان تأليف ابن الحاجب لكتابه هذا حيث نعت جميعها على أنه ألف ببلاد مصر في أيام الملك الناصر كما لم يذكر المؤلف ولا حتى الذين تناولوا

([1]) ابن كلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص50، سير أعلام النبلاء، ج23، 265، الديباج المذهب، ج2، ص87.

([2]) الكافية في علم النحو، ص4.

([3]) طبقات الزيدية الكبرى، 204/1، وملحق البدر الطالع، ص43، ومعجم المؤلفين، 100/2.

الكتيبات بالشرح والتعليق تاريخ محدداً لبداية التأليف والفراغ منه. ولا أرى ذلك كان من أهداف المؤلف لذلك ركز على هدفه المنشود.

توثيق نسبته لابن الحاجب:

هذا الكتاب الذي بين أيدينا لا مجال للشك في نسبته للإمام الشيخ ابن الحاجب المتوفى سنة 646هـ، والذي يجعلني أجزم بنسبته إليه ما يأتي:

1- معظم من ترجم لابن الحاجب نص على أن له شرحاً على مقدمته الكافية.

2- جميع فهارس المخطوطات التي ذكرت شروح الكافية نصت على أن المقدمة لابن الحاجب.

3- اتفاق جميع نسخ الشروح التي وقفت عليها على نسبة الكتاب لابن الحاجب.

موقفه من الشواهد "الاستشهاد":

أولاً: القرآن الكريم: وهو الحجة البالغة لمن أراد أن يثبت رأياً أو يبرهن على حكم، وهو اللغة العالية التي لم تتطاول يد البشر على تغييره أو تحريفه، لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه، ولذا أجمع العلماء على الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أم شاذاً[1].

وقد مضى ابن الحاجب على منوالهم في الاستشهاد به، يتضح اهتمامه بالقرآن الكريم حتى لا تكاد تمر عليه قضية نحوية إلا واستشهد لها بآية قرآنية ولا غرو في ذلك كيف لا وهو قد حفظ القرآن منذ نعومة أظافره وبواكير عمره وزهرة شبابه.

1- وكانت أغراض الاستشهاد عنده بالقرآن إما لتثبيت القاعدة النحوية وإيضاحها وتطبيق الآية القرآنية عليها، وهو هنا يقرن المثال الذي يأتي به بنظيره من القرآن الكريم دون التزام بمنهج معين في التقديم أو التأخير.

2- ومن أغراض الاستشهاد عنده بالقرآن الكريم مناقشة بعض القضايا النحوية كقوله عند تعريف المبتدأ: "هو الاسم المجرَّدُ" "ولا يرد على قوله الاسم" "تسمع بالمعيدي لا أن تراه" ويُروى: "خير

([1]) السيوطي، الاقتراح، ص24.

من أن تراه" وقوله تعالى: (ه ~ ﻫ) عن من قال: " ﻫ" مبتدأ؛ لتأويلها بالاسم، أي: سماعك بالمعيدي، وسواء عليهم إنذارك وتركه، وكذلك نظائرهما[1].

3- ومن أغراض الاستشهاد بالقرآن الكريم عنده إيضاح الاحتجاج به لطريق على فريق آخر.

4- وقد يكون غرضه الاحتجاج لترجيح قول على آخر.

5- ومن مظاهر اهتمامه بالقرآن الكريم تفسيره لبعض آياته.

6- تأويل بعض آياته حتى تنسجم مع القاعدة.

والذي يدعو إلى هذا التأويل هو أن القرآن أفصح الكلام، ولا يمكن أن يأتي إلا على أكمل الوجوه وأحسنها عند العرب.

2- القياس أصل من أصول الفلسفة وركن كبير من أركان الأصول كان ابن الحاجب يستخدمه في كثير من آرائه النحوية، فإذا خرج شيء عن القياس، وشذ عنه فإن هذا لا يقنع ابن الحاجب، بل يحاول أن يبحث ويدقق حتى يجد له نظيراً فيلحقه به.

يقول في كتاب الأمالي في مطلب ربه رجال: الضمير في قوله، ربه رجلاً ليس بنكرة وإنما كان حكمه حكم النكرات باعتبار كونه مبهماً أطلق عليه النكرة، لذلك لم يوصف لأنه ضمير بخلاف، والضمائر لا توصف، ثم قال أنه مفرد على كل حال لأنه مضمر على خلاف القياس أتى به لغرض الإبهام وجوب أن يكون مفرداً قياساً على نعم. انتهى[2].

3- وتراه يعقب على الزمخشري تعقيباً فلسفياً منطقياً حينما قال – محلياً على قوله في المفصل – المبني هو الذي سكون آخره وحركته لا يعامل – قال ابن الحاجب هذا الحد ليس بمستقيم لأنه أتى في الحد بواو العطف فإن قصد الجمع لم يستقم إذ ليس شيء فيه تزود لفظي في استعماله الواو بمعنى أو، واستعماله لفظ أو في الحد الواحد[3].

([1]) تخريج هذه القراءة.

([2]) ابن الحاجب، الأمالي ، نسخة رقم 1034 نحو دار الكتب، ص63.

([3]) المصدر السابق.

4- ابن الحاجب وتبصره بفلسفة الكلمات ولمس المعاني الخفية التي تتحملها والتي لا يبصرها كثير من الناس وذلك لأن دقته في الأصول كشفت له عن كثير من جوانب اللغة والمعاني التي ترمز إليها الكلمات فقد أملى بدمشق سنة أربع وعشرين وستمائة – على قوله في المفصل في حروف التحضيض "إن قبل أن حروف التحضيض إذا وقع بعدها الماضي فيستعمل فيها معنى الطلب لاستحالة طلب الفعل بعد مضي وقته وإن لم يكن فيها معنى الطلب تعذر النصب بعدها بالفاء، والجزم بغير فاء".

وهذا اعتراض في ظاهره وجيه، لأنه اعتراض واقعي، فما دامت حروف التخصيص ليس فيها معنى الطلب لاستحالة طلب الفعل بعد مضي وقته، فلا يصح حينئذ أن ينصب بعدها الفعل أو يجزم بغير فاء.

ولكن ابن الحاجب تعسفه فلسفته في هذا المقام فيجب عن هذا الاعتراض بما يقنع به نفسك، أو يجعلها قريبة من الإقناع حينما يقول:

"فالجواب أنها لا تنفك عن إفادة معنى الطلب في الوقت الذي كان صالحاً له، وإنما واقع بعدها الماضي تنبيهاً على أن المطلوب منه ذلك، قوته حتى انقض وقته، فصار كالتوبيخ واللوم على ترك المطلوب فباعتبار ما فيه من معنى الطلب المقدر في وقته نصب جوابه بعد الفاء، وحزم بغير فاء[1].

هذا الاتجاه الفلسفي أو الأصول في نحو ابن الحاجب ظاهر في معظم آرائه وتوجيهاته النحوية، مما يدل على أن الرجل كان بصرياً في اتجاهاته منطقياً في آرائه فلسفياً في تحقيقاته أصولياً في تعبيراته وتخريجاته".

فظاهر مذهب سيبويه: أن لها إعرابين تقديري بالحركات، ولفظي بالحروف، وهو مذهب حقيق لحصول الكفاية بأحد الإعرابين.

قال الكوفيون: أنها معربة بالحركات على ما قبل الحروف وبالحروف أيضاً وهو ضعيف لمثل ما ضعف له ما تأول المصنف من كلام سيبويه.

([1]) ابن الحاجب، الأمالي، ص67، مخطوط نسخة مج اللسان 172.

ويرى ابن الحاجب: أن اللام في أربعة منها وهي أبوك، وأخوك، وحموك، وهنوك، إعلام للمعاني المتناوبة كالحركات، وكذا العين في الباقيين منها أعنى فوك، وذو مال، فهي في حال الرفع لام الكلمة أو عينها، وعلم العمدة وفي النصب والجر علم الفضلة، والمضاف إليه فهي مع كونها بدلاً من لام الكلمة وعينها حرف إعراب.

ويؤيد ابن الحاجب في هذا الرأي بقوله: إن دليل الإعراب لا يكون من نسخ الكلمة، فهي بدل يفيد ما لم يفده البدل منه، وهو الإعراب كالتاء في بنت تفيد التأنيث بخلاف الواو التي هي أصلها، ولا يبقى ذو، وفوك على حرف لقيام البدل مقام المبدل منه[1].

2- الحال من المضاف إليه: لا يثبته ابن الحاجب وأتباعه[2].

3- الاستفهام المسوغ للابتداء عنده: "هو الهمزة المعادلة بأم مثل أرجل في الدار أم إمرأة"[3].

خامساً: ابن الحاجب وأبو علي الفارسي:

تطورت الدراسات النحوية في القرن الرابع الهجري على يد أبي علي الفارسي تطوراً كبيراً، وقد عمل على هذا التطور تلك المناظرات التي كان يعقدها سيف الدولة الحمداني بين كبار النحويين فضلاً عن المحاورات والمناقشات التي كانت تدور بين النحويين في مناسبات مختلفة.

فقد كانت هناك مناقشة بين أبي علي الفارسي وبين أبي سعيد السيرافي، ولقد قارن التوحيدي بين هذين النحويين الكبيرين، وكان تحيزه لشيخه الفارسي ظاهراً[4]. وكانت هناك أيضاً خصومة عنيفة بين أبي علي، وبين ابن خالويه تلميذ أبي سعيد السيرافي.

ويرى الباحث في هذه المناقشات التي بين هؤلاء العلماء أنها قدمت للنحو ثروة كبيرة، لأنها أذكت نار البحث والنقد "وجعلت علماء العالم ينقسمون إلى قسمين فقسم يميل إلى القياس والتعليل والتعمق، وتعقيد القواعد في النحو والصرف، وعلى رأس هذا القسم أبو علي الفارسي،

([1]) الرضي، شرح الكافية، ج1، ص26.

([2]) الحلبي، حاشية ياسين، ج1، ص366.

([3]) الحلبي، التصريح، ج1، ص169.

([4]) معجم الأدباء، ج6، ص253.

وتلميذه ابن جني، وقسم يميل إلى ترك النحو ممزوجاً بالأدب والشعر والرواية بعيداً عن حقائق المنطق والتعليلات والتقسيمات وعلى رأس هؤلاء أبو سعيد، وتلميذه ابن خالوية[1].

وإذا كان أبو علي الفارسي صاحب مدرسة في النحو لمع نجمها في القرن الرابع الهجري، وظلت قبساً مضيئاً للنحاة المتأخرين فعل أخذ ابن الحاجب هذا القبس؟ وهل تأثر بهذه المدرسة؟

ذكر الرواة أن كتاب "الجمل" للزجاجي وهو كتاب المصريين وأهل المغرب وأهل الحجاز واليمن والشام إلى أن اشتغل الناس باللمع لابن جني والإيضاح لأبي علي الفارسي[2].

ومن العلماء المصريين الذين اهتموا بالإيضاح في القرن السابع الهجري ابن الحاجب فقد درسه وشرحه[3]. ومن هنا نستطيع أن ندرك مدى قيمة نحو الفارسي الممثل في كتاب الإيضاح في الدراسات النحوية، ونستطيع أن نلمح أيضاً أثر الفارسي على ابن الحاجب، فدراسته لكتاب الإيضاح وشرحه له يبين لنا أثر الفارسي في ابن الحاجب. والدارس لكتاب الكافية يرى أنها سارت على نسق ترتيب أبي علي في الإيضاح وذلك لأن الزمخشري في كتاب المفصل نظر إلى ترتيب أبي علي في كتاب الإيضاح حيث جعل كتابه مقسوماً على ربعة أقسام: أسماء وأفعال وحروف ومشترك بين أحوالها[4].

وقد قال النحاة عن كافية ابن الحاجب: أنها تلخيص للمفصل وحقيقة الأمر أن ابن الحاجب كان متأثراً في كافيته بالإيضاح وبالمفصل معاً.

أمثلة توضح أثر الفارسي في ابن الحاجب:

1- إذا كان الخبر ظرفاً، أو جاراً أو مجروراً رجَّح ابن الحاجب تبعاً للزمخشري والفارسي تقدير الفعل، لأنه الأصل في العمل ولتعيينه في الصلة[5].

([1]) مجلة المجمع العلمي العربي، مجلة 25 من مقال أبي الفتح ابن جني لأسعد أطلس.

([2]) الانباه، ج2، ترجمة الزجاجي، ص165.

([3]) حاجي خليفة، كشف الظنون، مجلد1، نهر212.

([4]) شرح المفصل، ج1، ص17، المنيرية.

([5]) الجمع، ج1، ص98-99.

2- اختلف النحاة في إلحاق تاء التأنيث بالفعل في جمعي التصحيح المذكر والمؤنث، فسيبويه وجمهور البصريين يوجبون التذكير في الفعل نحو قام الزيدون والتأنيث في الفعل في نحو قامت المدمرات، خلافاً للكوفيين فيهما، فإنهم أجازوا في الفعل مع كل جمعي التصحيح التذكير والتأنيث.

وقد انفرد الفارسي مع أنه بصري فإنه انفرد عن أصحابه بجواز الأمرين ووافق أصحابه في وجوب تذكير الفعل مع تصحيح المذكر قال ياسين في حاشيته: إن ابن الحاجب مشى على مذهب الفارسي[1].

3- الضمير إذا اتصل برب مثل ربه فتى أو ربه رجلاً.

ذهب جماعة كابن عصفور والزمخشري أن الضمير نكرة عائدة على واجب التفكير وقال جماعة كالفارسي معرفة جار مجرى الفكرة[2].

وابن الحاجب يقرُ في أماليه في مطلب "ربه رجلاً" أن الضمير في قوله: ربه رجلاً ليس بنكرة، وإنما كان حكمه حكم النكرات باعتبار كونه مبهماً أطلق عليه النكرة، ولذلك لم يوصف، لأنه ضمير بلا خلاف والضمائر لا توصف[3].

وإذا قارنا بين قول أبي علي وبين قول ابن الحاجب في هذا الضمير لرأينا الفكرة واحدة هذه أمثلة تدل على أن ابن الحاجب كان يميل أحياناً إلى آراء أبي علي الفارسي في كثير من المسائل النحوية، وليس في هذا الميل نقصان لشخصية ابن الحاجب فأبو على إمام مجتهد في النحو تطور النحو على يديه بفضل تعليلاته، مع ذلك كانت له نزعة بصرية توجهه وجهتهم في كثير من المسائل النحوية، فلا حرج إذن على ابن الحاجب المنطقي الذي يؤمن بالقياس والعلة، والبرهان والجدل، شأنه شأن البصريين لا حرج ولا تثريب عليه أن يتأثر بأبي علي في بعض المسائل النحو، لأن يشبهه إلى حد كبير في نزعته إلى القياس وميله إلى المنطق.

([1]) ياسين، حاشية التصريح، ج1، ص280.

([2]) الحلبي، الحاشية الصبان علي الأشموني، ص207.

([3]) ابن الحاجب، الأمالي ، "مخطوطة 1034، نحو دار الكتب"، ص63.

على أن تبعية ابن الحاجب للفارسي ليست تبعية عمياء، وإنما التبعية التي يتضح فيها الدليل، ويستقيم المنطق، وتتبين فيها الحجة ولا أدل على ذلك من أن ابن الحاجب خالف أبا علي في بعض المسائل، خالفه لأنه لم ير في رأيه القوة التي تحمله على التبعية وبلا شك إن هذه المخالف إن دلت على شيء فإنما تدل على شخصية ابن الحاجب النحوية تلك الشخصية التي لا تقبل رأياً إلا بعد تمحيص وتدقيق وبحث ومناقشة، لا تقبل رأياً إلا بعد أن تسلط عليه أضواء عقلها، وأشعة فكرها لتتبين وجه الحق فيه، فإذا ما صح هذا الرأي في نظره أخذه من غير مبالاة أياً كان مصدره وأياً كان منيعة بصرياً أو كوفياً أو بغدادياً.

وإذا لم يصح في رأيه رفضه، ومع الرفض الأسباب المنطقية التي دعت إلى إذن فإن ابن الحاجب لا يتقيد بمذهب معين ولا بتوجيه معين، لا يتعصب للبصريين أو الكوفيين من نظر وروية، لا يؤمن بقداسة كبار النحاة ولا الآراء التي تصدر عنهم فكما قدمت رأينا كيف ناقش البصريين والكوفيين مع رفض بعض مسائلهم، وقد تقدمت الأمثلة التي يؤيد الذي قلته، ولا أستطيع في هذا المجال الضيق أن أعدد المأخذ التي أخذها ابن الحاجب على الفارسي، إلا أنني أكتفي بسرد بعضها كدليل على أن ابن الحاجب كان له شخصيته المستقلة تؤمن بالاستقلال إلى حد كبير.

قال الأشموني شارحاً قول ابن مالك في الممنوع من الصرف:

وكــن لجمــع مشــبه مفــاعلا أو المفاعيــل بمنــع كــافعلا

يعني أنه مما يمنع من الصرف الجمع المشبه مفاعل أو مفاعيل، أي في كونه أوله مفتوحاً، وثالثها ألفاً غير عوض، يليها كسر غير عارض ملفوظ أو مقدر على أول حرفيه بعدها، أو ثلاثة أوسطها ساكن غير مستوي به ربما بعده الانفصال، فإن الجمع متى كان بهذه الصفة كان فيه فرعية اللفظ بخروجه عن صيغ الآحاد العربية وفرعية المعنى بالدلالة على الجمعية فاستحق منع الصرف. ثم قال في التنبيهات: اتفقوا على إحدى العلتين هي الجمع واختلفوا في العلة الثانية.

فقال أبو علي الفارسي: هي خروجه عن صيغ الآحاد، وهذا الرأي هو الراجح. وقال قوم: العلة الثانية تكرار الجمع تحقيقاً أو تقديراً فالتحقيق نحو: أكالب، وأراهط، إذ هما جمع أكلب

وأرهط والتقديري نحو: مساجد ومنابر فإنه وإن كان جمعاً في أول وهلة لكنه بزنة ذلك المكرر أعني أكالب وأراهط فكأنه جمع جمع، وهذا اختيار ابن الحاجب، واستضعف تعليل أبي علي بأن أفعالاً وأفعلا نحو أفراس وأفلس جمعان، ولا نظير لهما في الآحاد، وهما معروفان[1].

ابن الحاجب والزمخشري:

كان ابن مالك قول عن ابن الحاجب: أنه أخذ نحوه من صاحبه المفصل وصاحب المفصل نحوي صغير[2].

ومعنى هذه العبارة أن ابن الحاجب تلميذ للزمخشري تأثر به وسار على نهجه وردد آراءه ودافع عنها، وليس له فكرٌ مستقل يستعمله في العويص من المشكلات النحوية وبعبارة أخرى، ليس ابن الحاجب إماماً مجتهداً في النحو يأخذ ما يمليه عليه غيره من غير نظر أو بحث.

وحقيقة الأمر إن صح مقاله ابن مالك، فإن هذا تقليل من مكانة الرجل من غير دليل، وتضعيف لشخصيته من غير حجة.

والحقيقة التي لا شك فيها أن ابن الحاجب كما قلت أكثر من مرة – له شخصيته المستقلة في توجيهاته وفي آرائه وهو وإن تأثر بالبصريين أو بأبي علي في بعض المواطن فهو التأثر الذي لا يذيب شخصيته ولا يغني تفكيره ولا يميت عقله.

والدليل الأوضح على أن ابن الحاجب لم يكن نسخه طبق الأصل من الزمخشري يردد آرائه ويعتد بأقواله، ويأخذ بوجهة نظره كما ادعى ابن مالك هو إملاؤه على المفصل للزمخشري، ونقده له في كثير من المسائل وفي كتاب: الأمالي: جعل قسماً خاصاً لإملائه على المفصل ناقداً وموجهاً، شارحاً وممحصاً مما يدل على أن ابن الحاجب صاحب قريحة وقادة من الصعب عليها أن تسير في ركب أي اتجاه نحوي من غير أن تبصر الهدف وتتعرف على الطريق.

([1]) الأشموني، ج3، ص243.

([2]) بغية الوعاة، ص55.

1- قال رضي الله عنه مملياً على قوله تعالى: (پ ث ث)[1] من قرأ بالخفض عطفاً على قوله برؤوسكم، والمراد أغسلوا أرجلكم وليس الخفض على المجاورة وإنما على الاستغناء بأحد الفعلين.

والعرب إذا اجتمع فعلان متقاربان في المعنى ولكل واحد متعلق جوزت ذكر أحد الفعلين وعطف متعلق المحذوف على المذكور على حسب ما يقتضيه لفظه حتى كأنه شريكه في أصل الفعل إجراء لأحد المتقاربين مجرى الآخر كقولهم تقدت بالسيف والرمح، وعلفتها بالتبن والماء.

وقال الإمام الزمخشري – أنه مخفوض على الجوار – وليس يحيد إذ لم يأت الخفض على الجوار في القرآن الكريم، ولا في الكلام الفصيح، وإنما هو شاذ في كلام من يؤوله له من العرب فتحمل الآية على ما ذكر[2].

وهذا الرد من ابن الحاجب ينبهنا إلى أمر آخر خالف فيه الزمخشري كل المخالفة وذلك لأن الزمخشري كان يؤيد مذهب أبي علي الفارسي في القياس، فقد كان يرى الاحتجاج بأقوال المولدين، والقياس عليها[3].

أما ابن الحاجب فلم يتبع هذا ولا ذلك، بل يقرر أن الاستشهاد النحوي يبحث عنه في القرآن الكريم، ثم الكلام الفصيح، أما ما عدا ذلك فهو كلام من يؤوله لها من العرب ممن لا يصح في مذهبه أن يستشهد بقوله أو يؤخذ بكلامه.

2- تعقيبه على الزمخشري حينما قال: المبني هو الذي سيكون آخره وحركته لا يعامل.

وليس معنى مخالفة ابن الحاجب للزمخشري أنه كان متعصباً ضده ينتقده في كل رأي ويهدمه في كل فكرة، لا ولم يكن هذا من شيمة ابن الحاجب لأنه كان رائده الحق، والحق وحده، أنى وجده أخذه بغض النظر عن مصدره ومنبعه، لهذا فقد وافق الزمخشري في بعض المسائل التي وضح فيها الدليل وليس معنى هذه الموافقة أنه أخذ نحوه منه، لأن ابن الحاجب لا يوافق على رأي إلا بعد مناقشة وبحث، موافقة مصدرها الاجتهاد والعمق لا الإتباع والتقليد.

([1]) سورة المائدة 6.

([2]) ابن الحاجب، الأمالي، ص55.

([3]) د. إبراهيم أنيس، أسرار اللغة، ص20.

مواقفه ضد الظلم:

في سنة ثمان وثلاثين وستمائة عند ما سلَّم الصالح إسماعيل قلعة الشقيف، وصفد إلى الفرنج ليعضدوه، ويكونوا معه على ابن أخيه الصالح أيوب، اشتد الإنكار عليه بسبب ذلك من الشيخ عز الدين بن عبدالسلام خطيب البلد، والشيخ أبي عمرو بن الحاجب شيخ المالكية، فاعتقلهما مدة، ثم أطلقهما وألزمهما منازلهما، ثم خرج الشيخان من دمشق، فسار عز الدين بن عبدالسلام إلى مصر وتولى بها القضاء كرهاً، وسار جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب إلى الكرك، وأقام عند الملك الناصر داود صاحب الكرك، ونظم له مقدمته الكافية في النحو، ثم بعد ذلك سافر ابن الحاجب إلى الديار المصرية[1].

رابعاً: ابن الحاجب والقراءات:

القرآن الكريم أفضل ما يحتج به في تقرير أصول اللغة، فإنه نزل بلسان عربي مبين. ولا يمتري أحد في أنه بلغ من الفصاحة وحسن البيان الذروة التي ليس بعدها مرتقي، فيجب أن يأخذ بالقياس على ما ورد عليه، كلماته وآياته، من أحكام لفظية[2].

وقال الرازي في تفسيره عند قوله: (ٹ ٹ ٹ)، وإذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول، فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى وكثير ما نرى النحويين متحيزين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن الكريم فإذا استشهدوا في تقريها ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلاً على صحتها فلأن يجعلون ورود القرآن دليلاً على صحتها كان أولى[3].

وابن الحاجب لم يكن كما كان غيره من النحاة البصريين ينظرون إلى القراءات نظرة الريبة والشك، بل كان يؤمن بتواتر القراءات السبع وأن الاستشهاد بها أحرى من الاستشهاد بغيرها وأقوى، وقد قلت سابقاً: أنه رد الخفض على الجوار وبيّن أنه غير جيد إذ لم يأت في

([1]) ابن كثير، البداية والنهاية، ط1، 1997 "251/17"، غاية النهاية في طبقات القراء، 509/1، المختصر في أخبار البشر، 426/1.

([2]) عبدالوهاب حمودة، القراءات واللهجات، ص129.

([3]) نفس المصدر، ص130.

القرآن الكريم بقراءاته المشهورة، ثم الكلام الفصيح قال ابن الحاجب في مختصر المنتهى إن القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبل الأداء، كالمد والإمالة ويخفف الهمزة ونحوها[1].

ومع هذا لم يسلم ابن الحاجب من النقد فقد تعرض ابن الجزري بقوله: ليت شعري من الذي تقدم ابن الحاجب بهذا القوول فقص أثره! فلو فكر الشيخ فيما قاله لما أقدم عليه، وليت الإمام ابن الحاجب أخلى كتابه من ذكر القراءات وأثرها كما أخفى غيره كتبهم منها، بل ليته سكت عن التمثيل[2].

هذا وإذا قارنا بين ما قاله ابن الحاجب عن القراءات وتواترها بما قاله الزمخشري عنها لوجدنا أن ابن الحاجب يختلف تمام الاختلاف عن الزمخشري فالقراءات عند الزمخشري غير متواترة وينبني على هذا أن الزمخشري يسقط القراءات من حسابه فيسقط أصلاً من أصول الاستشهاد في اللغة كبير.

قيمة آرائه النحوية:

عندما نتحدث عن قيمة آراء ابن الحاجب النحوية، إنما نتحدث عن الفائدة التي جناها النحو العربي من آراء ذلك العالم والشيخ الجليل رحمه الله.

وقد رزق ابن الحاجب عمراً طويلاً وقد قضى هذا العمر بين صفحات الكتب منقباً ومفنداً وباحثاً ومصوباً ومؤلفاً. هذا يعني أننا أما أسئلة ملحة:

- هل هذه الآراء ذات قيمة؟
- وهل هذه الآراء أضافت جديداً للنحو العربي؟
- وهل هذه الآراء جديرة بالاهتمام؟

ونحن أمام هذه الأسئلة لابد لنا من البحث عن إجابات مقنعة لهذه الأسئلة ونسوق شواهد تثبت صحة هذه الفوائد وقيمتها للنحو والصرف.

([1]) ابن الحاجب، مختصر المنتهى الأصولي ، مطبعة كردستان العلمية، ص49.

([2]) القراءات واللهجات، ص70.

كل عالم من علماء النحو والصرف قد يكون له رأي، ولكن هذا الرأي قد لا يكون له قيمة.

فما هي المعايير التي نقيس بها هذه القيمة؟ عندما قام الشيخ ابن الحاجب بتأليف كتابه "الكافية" وأودع فيه كل آرائه ومجهوداته الخاصة به، ثم بدأ في شرحه وقد ستعان في هذا بأدلة وآراء من سبقوه وشواهد من كتاب الله، وسنة رسوله صل الله عليه وسلم، والشعر العربي وأقوال العرب الفصحاء.

فكل هذه المجهودات تعد إضافة حقيقية للنحو العربي. وقد تخللت في ثنايا هذا الكتاب آراء لها قيمة عظيمة للنحو والصرف وكما علمنا فإن ابن الحاجب انفرد براء خاصة به في هذا الكتاب "الكافية" وقد ساهمت هذه الآراء في خروج كتاب "الكافية" في حلة زاهية وعلى أن يكون في صورة حسنة.

يرى الباحث أنه يمكن الإشارة لهذه الآراء وقد أقام لها الحجج الدامغة والبراهين الواضحة، ولو رجعنا لتلك المسائل السابقة التي انفرد بها، تؤكد لنا جهوده واتجاهاته ومواقفه تجاه لغتنا الحبيبة، أعنى (اللغة العربية).

أثر كتاب "الكافية" في كتب المتأخرين:

نعني بأثره أي الأثر الذي تركه هذا الكتاب في كتب الذين أتوا من بعده، ومدى الاستفادة التي استفادوها بفضل هذا الكتاب.

فقد عد هذا مصدراً رئيساً في كتب النحو والصرف وذلك لأهميته وللأبواب المهمة التي طرقها والمواضيع التي ناقشها والمسائل التي تعرض لها.

يرى الباحث أن هذه الآثار تتحدث عن عظمة ابن الحاجب وكتابه "الكافية" وقد أسهمت آراؤه في إثراء الروح العلمية التي تتعاقبها الأجيال.

وقد احتج عدد كبير من أصحاب الكتب الضخمة بما ورد في "الكافية"، كما لم يقتصر الاستشهاد على كتب النحو والصرف فقط، بل شمل كتب التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، والأدب، والفتاوى، والتراجم وغيرها من الكتب الأخرى.

وحتى نبين الأثر الذي أحدثه هذا الكتاب لا بد من ذكر هذه الكتب والمواضيع التي تعرض لها في الآتي:

1- تناول الشراح البالغ عددهم 140 بالدراسة والتعليق.

2- عدم مخالفة التابعين والذين جاءوا من بعد ابن الحاجب لآرائه والسير على نهجه.

3- متابعة بعضهم كابن مالك في المنهج وتسمية مؤلفاته.

رأي الباحث:

يمكن تلخيص هذا الفصل بالقول "بأن ابن الحاجب كانت له جهود مقدرة في النحو والصرف واللغة عامة وخاصة في هذا الكتاب "الكافية" وقد كان لها أثر بارز، وتمثلت في آرائه والتي استقاها من الذين سبقوه، بعد تخمرت في ذهنه وتشبعت ونضجت ثم بعدها تحولت لمنفعة انتفع بها الباحثين، والدارسين من طلبة العلم وخاصة "النحو والصرف"، فكانت لها قيمة على الجميع داخل حقل النحو والصرف والحقول الأخرى مثل: الفقه والتفسير وغيره، فاستفاد منها هؤلاء فكانت خير دليل داعم لهم وخير معين وهذا ما تمثل لنا في أثر كتاب "الكافية" في كتب المتأخرين وقد زودت بأداء هذا الشيخ الجليل والعالم النحرير كتبهم ومقالاتهم ومقترحاتهم وانتقلت من جيل لجيل عبر سبع قرون حتى وصلت إلينا في أبهى صورة وأزهى حلة وأنفع فائدة.

وبهذا المجهود الطيب يكون ابن الحاجب رحمه الله قد أضاف وساهم مساهمة فعالة في حركة النهضة العلمية والتي تحمل بداخلها هذا العلم والذي ارتبط بعلوم الدين والقرآن الكريم وقد كانت الأمة الإسلامية والعربية في أمس الحاجة لهذه المجهودات والتي مثلها ابن الحاجب في كتابه "الكافية".

فهذا الكتاب الذي هو عنوان بحثنا كان له أثر كبير وواضح وتأثر به هؤلاء العلماء الذين ذكرتهم في سالف حديثي وقد عدوا هذا الكتاب مصدراً مهماً من مصادر النحو والصرف وزينوا به فهارس كتبهم.

لذلك انتقل هذا العلم من جيل إلى جيل عبر القرون إلى يومنا هذا وحتى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الكافية أثره ومصادره:

درس ابن الحاجب كتاب سيبويه، وأمعن فيه بل شرحه[1]، والذي يؤيد هذا كثرة نقله عن سيبويه وتأثره به، وتأييده لأكثر آرائه[2].

نلاحظ هنا مدى تأثر ابن الحاجب بإمام النحاة سيبويه وهذا أمر ليس فيه غرابة لأن كتاب سيبويه هو أول كتاب شامل لأبواب النحو، ولسعته وشموله أطلق عليه اسم (البحر) حتى قيل لمن يقرؤه: هل ركبت البحر؟ فكان سيبويه من هذه الناحية لا يضاهيه كتاب في علمه، وكل من صنف من بعده يقرف من بحره.

ومن ناحية أخرى لم يكن سيبويه في كتابه ينظر إلى المنهجية والترتيب، لذلك جاء خالياً منها، فكانت أبوابه وموضوعاته متداخلة مرتبكة، ولا جرم أن يكون كذلك، لأنه لم يكن مبنياً على الاختيار من مادة نحوية مجموعة، حيث تأليفه يمثل المرحلة الأولى في التأليف النحوي.

ثم درس ابن الحاجب كتاب "المفصل" للزمخشري وبالغ في اهتمامه به، وشرحه، وكتاب المفصل هو يمثل المرحلة الثانية من مراحل التصنيف في النحو حتى اعتبره لنقاد (ثاني كتاب في النحو بعد كتاب سيبويه)[3]، فيس كتاب من الكتب التي بينه وبين كتاب سيبويه مما وصل إلينا كتاب عالج المباحث النحوية علاجاً شاملاً.

فكتاب المفصل يعتبر مرحلة تامة النمو، وحلقة كاملة الوضع في سلسلة البحوث النحوية[4]. ولا ننسى الدور الذي قام به ابن السراج في كتابه (أصول النحو)، ولكن سبب شهرة المفصل هو منهجه والتنسيق الدقيق عما سبقه في التأليف – ومن هنا جاءت تسميته بالمفصل – حيث جعل هذه الفصول تحت أضاف والأصناف تحت أقسام، وقد عرض كل هذا في خطة دراسة جعلها في خطبة الكتاب وهو – أيضاً – من الأمور الجديدة التي خالف فيها من سبقه[5].

([1]) كشف الظنون، 1427/2.

([2]) الجامي، الفوائد الضيائية، ص18.

([3]) عبدالله درويس، المعاجم العربية، ص126.

([4]) عبدالحميد حسن،القواعد النحوية، ص267.

([5]) الزمخشري، الدراسات النحوية واللغوية، ص110.

وبناء على ما ذكرنا عن كتابي سيبويه والزمخشري، فقد يعتبر أن المصادر المباشرة، وهناك كتب أخرى في العربية استفاد منها ابن الحاجب في دراسته للعربية، وحديثه في بعض آرائه وترجيحاته مثل المقدمة الجزولية والإيضاح لابن علي الفارسي، يضاف إلى ذلك ما لابن الحاجب من دراية وتمرس في هذا العلم، أصبحت أدوات التأليف ميسرة عنده فالمادة النحوية غزيرة ثرة في كتاب سيبويه، والتنسيق والتبويب والترتيب على أدق ما وصلت إليه في كتاب المفصل، ولكن لا بد له في تأليفه من أن يراعي حاجة طلاب هذا العلم الملحة إلى تجميع مادة النحو بأخصر أسلوب ليحيطوا به من أقصر طريق.

فقد ألف كتابه (ألكافية) بصياغة جديدة أهلته بأن يمثل مرحلة جديدة من مراحل التأليف النحوي، تتميز بالمنهجية والاختصاص، وتتسم بالميل الشديد إلى الاختصار مع قصد الإحاطة والشمول، أضف إلى ذلك فصل الصرف عن النحو، وذلك ما يتطلبه الاتجاه التعليمي للنحو في هذه المرحلة، وما يهدف إلى تحقيقه المصنف، على أن ابن الحاجب لم يبتعد كثيراً عن المفصل فقد اقتفى أثر الزمخشري فيه في نواحي عديدة.

نلاحظ تأثر ابن الحاجب بالمفصل ويزيد أن نجد تأثير ابن الحاجب على المتأخرين، وهذا يقتضي أن نعقد موازنة بين (كافية) ابن الحاجب و(الكافية الشافية) لابن مالك وهو ما سنذكره في الفصل القادم إن شاء الله.

الفصل الرابع

موازنة ما بين كتاب الكافية لابن الحاجب وكافية ابن مالك

المبحث الأول: المحتوى.

المبحث الثاني: السمات البارزة.

المبحث الثالث: أهم الموضوعات المتشابه.

المبحث الرابع: أهم نقاط الخلاف وأهم نتائج الموازنة.

المبحث الأول

المحتوى

من محتوى هذين الكتابين سيتضح لنا أهم المواضيع المختلفة والمتشابهة بعدها تسهل لنا الموازنة التي توصلنا إلى ما نصبو إليه وهذا هو الذي سوف نجنيه من محتويات هذين المؤلفين.

أولاً: كتاب "الكافية" لابن الحاجب، وقد تعرضنا لمحتوياته في الفصل الثاني[1].

ثانياً: كتاب "الكافية الشافية" لابن مالك وهي منظومة طويلة تقرب من ثلاثة آلاف بيت من مزدوج الرجز، تضم أهم أبواب النحو والصرف.

قم قام الشيخ ابن مالك بشرحها وقد تضمنت قواعد النحو والصرف وقد بدأها بمقدمة طويلة يقول في مطلعها:

قـــال ابـــن مالـــك محمـــد وقـــد نـــوى إفـــادة لمـــا فيـــه اجتهـــد
الحمـــد لله الـــذي مـــن رفـــده توفيـــق مـــن وفقـــه لحمـــده
تبـــارك اســـمه وتمـــت كلمـــة وعـــم حكمـــه، وجمعـــت حكمـــه

ثم قسمها إلى أبواب وتحت كل باب وضع عناوين ثم مسائل، وقد كان هذا الكتاب تحفة في التنظيم والدقة.

وقد بدأ هذا الكتاب بـ:

- باب "شرح الكلام وما يتألف منه"، يقول في ذلك:

قـــول مفيـــد: طالبـــاً أو خبـــراً هـو الكـلام كـ "اسـتمع وسـترى"[2]

ثم شرح ذلك مع التمثيل من عنده حتى تكتمل الفائدة وتعم المنفعة. فمثلاً يقول: (ش) "الكلام" عند النحويين: "عبارة عن كل لفظ مفيد" ثم ينتقل إلى:

- باب الإعراب والبناء وما يتعلق بذلك:

([1]) البحث، الفصل الثاني، محتويات كتاب "الكافية".

([2]) شرح الكافية الشافية، 55/1.

وتحت هذا، تعرض لجميع أنواع الإعراب، إعراب المثنى والمجموع على حده[1]، وإعراب المجموع بالألف والتاء وما جرى مجراه، وإعراب ما اتصل به من الفعل ألف اثنين أو واو جمع أو ياء مخاطبة، إعراب المعتل من الأسماء والأفعال[2].

– باب النكرة والمعرفة، وتحت هذا الباب يعقد عدة فصول، في المضمر، ضمير الشأن والعلم، الموصول، أسماء الإشارة والمعرف بالأداة[3].

– باب الابتداء بقول ابن مالك في هذا الباب:

المبتـــدأ مرفـــوع معنـــى ذو خبـــر أو وصـف اسـتغنى بفاعـل ظهـر

ويشرح ذلك، بـ "ش" المبتدأ على ضربين:

أحدهما: مبتدأ ذو خبر في اللفظ ولا التقدير.

كقولك: "زيد قائم"، و "لولا عمرو لقعدت".

والثاني: مبتدأ لا خبر له في اللفظ ولا في التقدير، بل له فاعل يحصل بذكره من الفائدة، وذلك كقولك: "أقائم الزيدان"؟

فـ "قائم" مبتدأ لا خبر له؛ لأنه قصد به ما بقصد بالفعل إذا قيل:

"أيقوم الزيدان"؟ فاستغنى بما ارتفع به عن شيء آخر، كما يستغنى الفعل[4] ثم عرج على النواسخ وقد سماها: الأفعال الرافعة الاسم الناصبة الخبر، بدأ المصنف هذا الباب بأبيات من الأرجوزة:

كـــان بهـــا المبتـــدأ أرف ناصـــبا خبـــره كـــ "كـــان زيـــد صـــاحبا"
ومثـل "كـان" "ظـل" "بـات" "أضـحى" "أصـبح" "أمسـى" "صـار بشـر سـمحاً"
وهكـــذا "لـــيس" و "زال" و "بـــرح" "فتـــئ" و "أنفـــك" وكـــل متضـــح
وألـــــزم الأربعـــــة الأواخـــــر نفيـاً كـ "مـا زال ابـن عـوف شـاكراً

([1]) شرح الكافية الشافية، 175/1.
([2]) نفس المصدر، 185/1.
([3]) نفس المصدر، 212/1.
([4]) نفس المصدر، 222/1.

ومثـــل "كـــان" "دام" بعـــدما لـــدى إفهـــام مـــدة كقـــول مـــن شـــرا
قـــول مفيـــد: طالبـــاً أو خبـــراً هـــو الكـــلام كـــ "اســـتمع وســـترى"

وهي في هذه الأرجوزة ثلاثة عشر فعلاً متساوية في دخولهن على المبتدأ أو الخبر فترفع الأول ويسمى اسمها وتنصب الثاني ويسمى خبرها.

كل هذه الأفعال تعمل بلا شرط إلا "زال" و "برح" و "فتئ" و "انفك" تعمله بشرط مصاحبة نفي و"دام" تعمله بشرط مصاحبها "ما" المصدرية النائبة عن ظرف زمان[1]، ثم يواصل ابن مالك شارحاً: وقد يحذف النافي لـ "زال" وأخواتها للعلم به كقوله تعالى: (ئا ئه ئه ئو ئو)[2] أي: لا تفتأ تذكر يوسف.

وكقول الشاعر خليفة بن براز:

تنفـــك تســـمع مـــا حييـــت بهـــا لـــك حتـــى تكونـــه[3]

هنا ملاحظة:

أن هذه الآية "تالله ..." وبيت الشعر (تنفك تسمع ...) قد وردا في مؤلف آخر لابن مالك "شرح العمدة"[4].

وهذا يدل على أن بعض هذه الموضوعات مأخوذة من "شرح الكافية الشافية" أي بمعنى أن المؤلف قد يذكر موضوعات بعينها في أكثر من مؤلف.

إذا أمعنا النظر نستنتج أن ابن مالك يسير على وتيرة واحدة في أغلب موضوعاته وهل سالك ابن الحاجب من قبل نفس المسلك؟ هذا ما نجيب عليه لاحقاً. وهذا السير لا ينقص من قدر شيخنا الجليل إمام العربية وصاحب المؤلفات بل يزيد من قدره وذلك للأسباب الآتية:

([1])شرح الكافية الشافية، 163/1.
([2]) سورة يوسف الآية 85.
([3]) خزانة الأدب البغدادي، 348/3.
([4]) شرح العمدة، 101 – 102.

1- هنالك تشابه واضح بين جميع موضوعات النحو من عصر سيبويه إلى يومنا هذا، فالفاعل هو الفاعل والمبتدأ هو المبتدأ.

2- حساسية علم النحو وارتباطه بالقرآن الكريم.

3- يعد ابن مالك من جيل المحافظين لذلك أراد أن يسير على هذه الوتيرة؛ هذا لا يعني أنه لم يضف جديداً بل أضاف والدليل على ذلك سهولة في الأسلوب ورفق في تناول ووضوح في العبارة. علماً بأنه ألف الكافية ثم لخصها في الألفية "الخلاصة". ومهما يكن من أمر فالرجل اجتهد وحاول وترك لنا ثروة علمية عظيمة ينهل منها كل طالب علم وباحث مجتهد.

نرى هنا أن ابن مالك يعتمد تدعيم أمثلة من خارج الأرجوزة وهذه الشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي، ثم أخذ ببعض الآراء ويدعم رأيه بهذه الشواهد.

- باب أفعال المقاربة[1].

- باب الحروف الناصبة الاسم الرافعة الخبر[2]؛

وهي عكس كان وأخواتها كما مر بنا من قبل وهي ستة إذا ذكرت "أنَّ" وخمسة إذا لم تذكر ومعانيها مختلفة:

"أنَّ" للتوكيد و"كأنَّ" للتشبيه و "لكنَّ" للاستدراك و "ليت" للتمني و "لعل" للترجي فيما يحب، وللإشفاق فيما يكره[3] كقوله تعالى: (ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ)[4] ثم ذكر بأن "ما" تكف عمل هذه الحروف وقد ذكر ذلك في هذه الأبيات:

و"مـــا" تكـــف العمـــل الموصـــوف زائـــدة أن تـــلِ ذي الحروفـــا
لا (إنمـــا الله الـــه) وأتـــى فـــي ليتمـــا الوجهـــان فيمـــا أثبتـــا
وغيـــر "ليـــت" لاحـــق بـــه لـــدى قـــوم قياســـاً، وبنقـــل عضـــداً

([1]) شرح الكافية الشافية، 163/1.
([2]) نفس المصدر السابق، 209/1.
([3]) شرح العمدة، 209/1.
([4]) سورة هود آية "12".

ثـــــــم يواصـــــــــل شـــــــــارحاً: لمـــا كـــان عمـــل هـــذا الحـــروف

العمل المخصوص، لأجل شبهها بـ "كان" في الاختصاص بالمبتدأ والخبر، وكان الاختصاص مفقوداً بتركيبها مع "ما" فتصير جائزة الدخول على الفعل والاسم بطل عملها لشبهها حينئذ بالحروف المهملة لعدم اختصاصها إلا "ليتما" فإن اختصاصها بالمبتدأ والخبر باق فأعملت[1] وأهملت في بيت النابغة الذبياني: قالت:

ألا ليتمـــا هـــذا الحمـــام لنـــا إلـــى حمامتنـــا أو نصـــفه فقـــد[2]

بنصب الحمام ورفعه أي يجوز الاثنين الرفع والنصب.

- باب الأفعال التي تنصب المبتدأ والخبر مفعولين[3].

- باب الفاعل[4].

يقول ابن مالك في أرجوزته:

مـــا تـــم مســـند لـــه خلـــو لـــزم سـبقاً بصـوغ الأصـل فـاعلا وسـم
فارفعـه بالمسـند نحـو "جـا أبـو زيـد" و "عنـى هجـر خـل صـاحب
وربمـــا جـــر بببـــاء أو بـــ "مـــن" فقـــدر الرفـــع وأن يتبـــع يـــبن

ثم يشرح المصنف قائلاً: الفاعل هو المسند إليه، مسبوق بفعل تام، والتقيد بالتام يخرج اسم "كان" خلافاً لسيبويه.

ثم يقول: ولم أصدر حد الفاعل بـ "الاسم، لأن الفاعل قد يكون غير اسم؛ نحو: "يلقى أنك ذاهب". وقد يأتي الفاعل مرفوع مثل: جاء أبو زيد، أو قد يجر بباء مثل: قوله تعالى: (ﭙ ﭚ ﭛ)[5] لكنه في محل رفع.

([1]) شرح الكافية الشافية، 213.
([2]) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح البستاني، بيروت للطباعة، 1406هـ - 1986م، ص24.
([3]) شرح الكافية، 230/1.
([4]) المصدر السابق، 257/1.
([5]) سورة الرعد، آية 43.

وقد يجر الفاعل بـ "من" لكن بشرط أن يكون نكرة بعد نفي، أو شبهه نحو: "ما جاءني من أحد".

ثم يذكر المصنف نقطة مهمة وهي أن الفاعل المجرور إذا اتبعه وصف أو عطف – جاز رفع ما تبعه منهما حملاً على الموضع، وجره حملاً على اللفظ؛ نحو: "ما جاء من أحد كريم" وكريم، وما جاء من أحد، ولا امرأة، ولا امرأة، لكن إذا كان المعطوف معرفة تعين رفعه، نحو: "ما جاء من عبد ولا زيد"[1].

– باب النائب عن الفاعل، تحدث ابن مالك عن النائب عن الفاعل وقد أفرد له حيزاً مقدراً شارحاً ومفصلاً، كما علمنا فإن "النائب عن الفاعل" من اصطلاحات ابن مالك الخاصة به[2].

– باب اشتغال العامل عن المعمول.

– باب تعدي الفعل ولزومه.

– باب التنازع في العمل.

– باب المفعول المطلق وهو المصدر يقول:

بمثلـــه أو فرعـــه ينتصـــب كـ "سـيرك السـير الحثيـث متعبـاً"
وعـــدا أو توكيـــد أو تنويعـــاً بـــه أبـــانوا كـــ "اركعـــوا ركوعـــاً"
أو "ركعتـــين أو ركوعـــاً حســـناً وخشـــع خشـــوع التـــاركين للـــونى[3]

ومن هذه الأبيات فقد قسم ابن مالك المفعول المطلق إلى ثلاثة أقسام، المؤكد لفعله، والمبين للعدد، والمبين للنوع.

– باب المفعول له.

– باب المفعول فيه وهو الظرف.

([1]) شرح الكافية الشافية، 1/257–258.

([2]) المصدر نفسه، ص169.

([3]) شرح الكافية الشافية، ص301– 302 – 308.

- باب المفعول معه، وقد شرح المفعول معه وعرَّفه.

وقال: هو الاسم المذكور فضله بعد واو بمعنى "مع" مسبوقة بفعل أو شبهه، وقد ضرب مثالاً للمسبوق بفعل مثل: مررت والطريق[1].

وشبه فعل، قول الشاعر:

فقـــدني وإيـــاهم فـــإن ألـــقِ بعضـــهم يكونـوا كتعجيـل السـنام[2] المسـرهد[3][4]

- باب الاستثناء.

- باب الحال.

- باب التمييز[5].

وهنا ملاحظة: هي أنه قد وضع المنصوبات متتالية، بدأها بالمفعول المطلق وختمها بالتمييز.

- باب حروف الجر[6].

يعدد ابن مالك حروف الجر في هذا الباب قائلاً:

هاك حروف الجر وهي (من) (إلى)

(حتى) (خلا) (حاشا) (عدا) (في) (عن) (على)

(مذ) (منذ)(رب) (اللام والكاف) و(تا)

و(ألواو) و(الباء) (كي) (لعل) و(متى)

ثم تحدث ابن مالك عن "خلا" و"عدا" و"حاشا" أفعال إذا نصبت، وحروف إذا جرّت.

([1]) شرح الكافية، ص301-302-308.

([2]) السنام: كتل من الشحم محربة على ظهر البعير. (لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط2، 212/1، مادة "مسه".

([3]) المسرهد: السمين. (لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط2، 212/1، مادة "مسه".

([4]) البيت لأسيد أبي إياس من الطويل " التمام في تفسير أشعار الهذليين، ابن جني، 6/1.

([5]) شرح الكافية الشافية، 344/1 – 326 – 314.

([6]) شرح الكافية، المصدر السابق، 350.

ثم يفرد حيزاً "لكي" و"لعل" و"متى" ويضرب مثالاً لكل واحدة من هذه الأحرف بالترتيب.

قولهم في الاستفهام عن علة الشيء "كيمه؟" بمعنى "لمه"؟

"لعل" حرف جر في لغة بني عقيل وذلك في قول الشاعر:

لعـــل الله فضـــلكم علينـــا بشـــيء إن أمكـــم شـــريم

و"في" حرف جر في لغة هزيل بمعنى "من" ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

شـربن بمـا البحـر ثـم تـرفض متـى لجـج[1]خضـر لهـن نتـيج[2]

- باب القسم[3].

يتحدث ابن مالك عن القسم ويقول: هو جملة يجاء بها لتوكيد جملة، وترتبط إحداهما بالأخرى ارتباط جملتي الشرط والجزاء وكلتاهما اسمية أو فعلية.

- باب الإضافة[4]:

إذا قصدت إضافة اسم حذف ما فيه من تنوين ظاهر كقولك في "ثوب": "هذا ثوبك" أو مقدر كقولك في "دراهم" هذه دراهمك[5].

وأضاف ابن مالك رحمه الله ما يلي المضاف هو المضاف إليه والغرض بهذا الكلام هو الإعلام بأن المضاف قد يحذف ويقام المضاف مقامه في الإعراب كقوله تعالى: (د د ئا ئا ئه) [6] أي بحب العجل[7].

- باب أعمال المصدر[8].

([1]) اللجة: معظم الماء "مختار الصحاح – لجج".

([2]) شرح الكافية الشافية، المصدر السابق، 350/1.

([3]) نفس المصدر، 376/1.

([4]) الشافية الكافية، المصدر السابق، 404.

([5]) المصدر نفسه، 376/1.

([6]) سورة البقرة، آية 93.

([7]) شرح الكافية الشافية، المصدر السابق، 434/1.

([8]) المصدر نفسه، 452.

يقول ابن مالك عن أعمال المصدر: "يعمل المصدر عمل فعله لا شبهه بالفعل، بل لأنه أصل، والفعل فرع، ولذلك يعمل مراداً به المضي أو الحال أو الاستقبال، بخلاف اسم الفاعل.

وضرب مثالاً لذلك في قوله تعالى: (ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ)[1].

التقدير: لا يحب الله أن يجهر بالسوء من القول إلا من ظلم[2].

- باب أعمال اسم الفاعل:

يقول المصنف في الأرجوزة:

كفعلـه اسـم فاعـل فـي العمـل إن كـان عـن مضـيه بمعـزل
وولـي اسـتفهام أو مـا ينفـي أو سـبق للإخبـار أو للوصـف
أو كـان حـالاً وإذا ولـي "ال" فهـو علـى الإطـلاق أهـل للعمـل

ثم يشرح ذلك بقوله: اسم الفاعل، ما صيغ من مصدر موازنا للمضارع ليدل على فاعله، غير صالح للإضافة إليه كـ "ضارب" و "مكرم" و "مستخرج".

ويعمل عمل فعله إن لم يكن ماضي المعنى وكان بعد استفهام أو نفي نحو: "أمكرم زيد عمرا"؟

و"ما هو تارك برا اليوم أو غداً[3].

- باب الصفة المشبهة باسم الفاعل.

- باب التعجب.

- باب نعم وبئس وما جرى مجراهما[4].

([1]) سورة النساء، آية 148.
([2]) شرح الكافية، مصدر سابق.
([3]) الشافية الكافية، المصدر السابق، 459/1.
([4]) نفس المصدر، 471/1-493.

– باب التوابع[1].

وتحدث في هذا الباب عن النعت، والتوكيد، والعطف والبدل. وختم به الجزء الأول.

نخلص إلى أن هناك ملاحظة لا بد من ذكرها وهي أن النواصب والتوابع مرتبة في الكافية كما هي في الخلاصة أي "الألفية"[2].

أما الجزء الثاني:

فقد بدأها بباب النداء:

يبدأ هذا الباب راجزاً:

وللمنـادى النـاء أو كالنـاء "يـا" وهكـذا "أي" و"هيـا" ثـم "أيـا"
وهمـزة مفتوحـة لمـن دنـا و"وا" بمنـدب خصوصـاً قرنـا

ثم يشرح الحروف التي ينبه بها المنادى عند البصريين خمسة: "يا" و"أيا" و"هيا" و"أيْ" و"الهمزة".

فذهب سيبويه أن الهمزة وحدها للقريب المصغي وغيرها للبعيد مسافة، أو حكماً[3].

لكن المبرد زعم أن "أيا" و"هيا" للبعيد و"أي" و"الهمزة" للقريب و"يا" لهما[4].

ثم يبين أن المنادى إذا لم يجتمع فيه التعريف والإفراد، فحقه النصب وذلك: إما مفرد نكرة، كقول الأعمر: "يا رجلاً خذ بيدي" وأما مضافاً نحو: "يا أبانا" وأما شبيه بالمضاف، لكون ما يليه متمماً له بعمل نحو: "يا لطيف بالعباد" أو يطف نحو قولك لمن سمى بـ "زيد وعمرو": (يا زيدا وعمرا)[5].

([1]) شرح الكافية الشافية، 513/1 – 574.
([2]) ألفية ابن مالك، 158/3، 208.
([3]) ورد عن سيبويه أن الهمزة للقريب، كتاب سيبويه 220/2.
([4]) المقتضي، المبرد، تحقيق: محمد عبدالخالق عقيمة، القاهرة، ط1، 233/4.
([5]) شرح الكافية، 2/2–6.

- باب الاستغاثة:

ثم يتحدث المصنف عن الاستغاثة بالتفصيل.

- باب الترخيم في النداء.

- باب التحذير والإغراء.

- باب أسماء الأفعال والأصوات.

- باب نوني التوكيد.

- باب ما ينصرف وما لا ينصرف[1].

يعرف المصنف الاسم المنصرف بأنه المعرب السالم من العلل.

- باب إعراب الفعل.

أفرد ابن مالك حيزاً كبيراً لإعراب الفعل وقد خصه بخمسين بيتاً من رجزه وقد بداه قائلاً:

تجـــرد مـــن جـــازم وناصـــب رافـــع فعـــل كـــ (أجـــل صـــاحبي)

ويسترسل شارحاً، بأن رافع الفعل (أعني بالفعل الفعل المضارع) إما وقوعه موقع الاسم، وهو قول البصريين وإما لتجرده من الجازم والناصب، وهو قول حذاق الكوفيين[2].

وقد تكلم عن عوامل الجزم والنصب بالتفصيل وقد وردت هذه العوامل في أسرار العربية[3].

- باب العدد:

هذا هو باب العدد وقد تحدث عنه ابن مالك بالتفصيل وأردف شارحاً: "تثبت تاء "ثلاثة" فما فوقها إلى "عشرة" إن كان مؤنثاً، نحو: "عندي من العبيد ثلاثة، ومن الإماء ثلاث" فإن قصدت الإضافة إلى المعدود جيء به جمع قلة نحو: "لي ثلاثة أعبد، وثلاث آم" فإن أهمل جمع

([1]) شرح الكافية الشافية، 3/20-86.

([2]) شرح الكافية الشافية، 105/2، 107.

([3]) أسرار العربية، عبدالرحمن ابن أبي الوفاء محمد بن عبدالله بن أبي سعيد، تحقيق د. فخر صالح قداره، 48/1، 49، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م.

القلة أضيف إلى جمع الكثرة نحو: "صدت ثلاثة ثعالب، وثلاث أرانب" وقد يضاف إلى جمع كثرة مع وجود جمع قلة لقوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ)[1][2].

- باب "كم" و"كأين" و"كذا".

- باب الحكاية.

- باب التذكير والتأنيث.

يقول ابن مالك في هذا الباب:

علامة التأنيث تاء أو ألف وفي أسام قدروا التاء كـ "الكتف"
ويعرف التقدير بالضمير وبإشارة، وبالتصغير
وباطراد أو جمعه مقللا وهو رباعي يوزن "أفعلا"

ثم يشرح هذا بقوله: (لما كان التذكير أصلاً استغنى عن علامته بخلاف التأنيث، فإنه فرع فافتقر إلى علامة، وهي تاء أو ألف مقصورة أو ممدودة والتاء أظهر وأكثر دلالة، لأنها لا تلتبس بغيرها.

بخلاف الألف فإنها قد تلتبس بغيرها فتحتاج إلى تمييزها بما يأتي ذكره.

ولمزية الفاء في الدلالة جعلت ظاهرة كـ "تمرة" ومقدرة ك "كتف" ويدل على التقدير: الإضمار نحو: "الكتف نمشتها" والإشارة نحو: "هذه كتف" والتصغير نحو: "كتيفة"[3]

- باب المقصور والممدود.

- باب الأخبار بالذي وفروعه.

- باب كيفية التثنية وجمعي التصحيح.

- باب جمع التكسير وما يتعلق به.

([1]) سورة البقرة، آية 228.

([2]) شرح الكافية الشافية، 888/2.

([3]) المرجع السابق، 218/1.

- باب التصغير[1].

يشرح المصنف قائلاً:

كل اسم متمكن قصد تصغيره فلا بد من ضمُ أوله، وفتح ثانيه، وزيادة ياء ساكنة بعده فإن كان ثلاثياً لم يغير بأكثر من ذلك.

وإن كان رباعياً فصاعداً كسر ما بعد الياء كـ "جعيفر" و"دريهم". فإن اتصل بما ولى الياء علامة تأنيث فتح كـ "تميرة" و"حبلى" و"حميراء".

وكذا أن اتصل به ألف "أفعال" أو ألف تليها نون زائدة، فيما لم يجمع على "فعالين" كـ "اجيمال" و"سكيران"[2].

- باب النسب.

يتحدث ابن مالك عن النسب ويقول "إذا قصد النسب إلى اسم جعل حرف إعرابه ياء مشددة مكسوراً ما قبلها كقولك في "أحمد" أحمدي ثم يفصل حتى نهاية هذا الباب[3].

- باب الإمالة.

- باب الوقف.

- باب التقاء الساكنين.

لم يقفل ابن مالك رحمه الله هذه الأبواب الثلاثة الإمالة والوقف والتقاء الساكنين وقد أفرد حيزاً مقدراً مفصلاً وشارحاً ومصوباً ومرجحاً.

- باب الإبدال[4].

أفرد ابن مالك مساحة واسعة للصرف، يبدأ الأرجوزة قائلاً:

([1]) الكافية الشافية، 2/186-251.

([2]) المصدر نفسه، 2/287.

([3])المصدر نفسه، 305.

([4]) شرح الكافية الشافية، 1/283-367.

"هادأت مطوى" كلام جمعاً حروف إبدال فشا متبعا

ثم يشرح ذلك بأن حروف الإبدال المبوب عليها في كتب التعريف هي الحروف التي تبدل من غيرها بغير إدغام[1].

وبعد سرد محتويات هذا الكتاب لا بد من توضيح الآتي:

1- يعد هذا الكتاب الضخم مرجعاً مهماً من مراجع النحو والصرف.

2- هذا الكتاب حوى جميع أبواب النحو والصرف.

3- يعد هذا الكتاب أكبر حجماً من بقية مؤلفات ابن مالك.

4- هنالك بعض المواضيع المتشابهة ما بين مؤلفاته النحوية والصرفية.

وهذا ما يؤكد قولنا مؤلفات ابن مالك لها علاقة مع بعضها البعض.

متن الكافية الشافية:

وقد ختم ابن مالك هذا الكتاب العظيم بمتن الكافية مع قواعدها، وهذا ما يميز هذا الكتاب من الكتب الأخرى.

مما تقدم من هذه المحتويات نكون قد وقفنا على حجم هذا الكتاب القيم الذي يعد مصدراً مهماً من مصادر النحو والصرف وقد لاحظنا بعض أوجه الشبه بينه وبين "كافية ابن الحاجب" وهذا يجعلنا بل نكاد نجزم بأن ابن مالك قد تأثر بشيخه ابن الحاجب حتى في طريقة التأليف حيث يسير بنفس منهجه أي منهج ابن الحاجب في جميع مؤلفاته وهذا ما سنوضحه في المباحث القادمة بمشيئة الله وعونه.

([1])شرح الكافية الشافية، 367/2.

المبحث الثاني

السمات البارزة في كتاب ابن مالك "الكافية الشافية"

أولاً: كافية ابن مالك "الكافية الشافية".

ثانياً: "الكافية" لابن الحاجب.

يوجد تقارب كبير ما بين "الكافية" لابن الحاجب و"الكافية الشافية" لابن مالك، وهذا التقارب يجعلنا نكاد نجزم على أن ابن مالك تابعه شيخه وقد تميز كتابه للكافية الشافية بسمات بارزة وهي:

1- هي عبارة عن أرجوزة ظريفة تقارب ثلاث ألف بيت وقد أودع فيها ابن مالك مادة غزيرة وهي من مزدوج الرجز. وفي هذا يقول:

وهـــذه أرجـــوزة مســـتوفية عـــن أكثـــر المصـــنفات مغنيـــة
فمـــن دعاهـــا قاصـــداً بالكافيـــة مصـــدق ولـــو يزيـــد الشـــافية[1]

ثم بعد هذه المقدمة تبدأ الأبواب، فيسرد موضوعات النحو والصرف باباً باباً وقد قسم الأبواب إلى فصول وهكذا إلى آخر الأرجوزة.

2- يحتوي كتاب الكافية الشافية على جُلِّ أبواب النحو والصرف سوي قليلة الدوران في الحديث والخطب والمؤلفات.

3- يبدأ الكافية الشافية لابن مالك بخطبة الكتاب ثم شرح الكلام وما يتألف منه وينتهي بباب تصريف الأفعال والأسماء المشتقة.

4- يبدأ المؤلف راجزاً بقاعدة نحوية ثم يبدأ في شرح تلك القاعدة بعد أن يوضع لها عنواناً، وهنا نورد مثالاً على ذلك:

([1])شرح الكافية الشافية، 20/1.

باب النداء:

وللمنادى النأءِ أو كالناءِ (يا) وهكذا (أي) و (وهيا) ثم (أيا)

وهمزة مفتوحة لمن دنا و(وا) بمندوب خصوصاً قرنا

الحروف التي ينبه بها المنادى عند البصريين خمسة: (يا) و (أيا) و (هيا) و (أي) و(الهمزة) ثم يورد آراء العلماء، فمذهب سيبويه[1] أن الهمزة وحدها للقريب المصغي، وغيرها للبعيد مسافة أو حكماً.

ومذهب المبرد[2] ومن وافقه أن (أيا) و (هيا) للبعيد، وأي والهمزة للقريب، و(يا) لهما.

زعم ابن برهان: أن (أيا) و(هيا) للبعيد، والهمزة للقريب و(أي) للمتوسط و(يا) للجميع. وأجمعوا على جواز نداء القريب بما للبعيد على سبيل التوكيد. ومنعوا العكس. وخصصوا (وا) بالمندوب وأجاز المبرد[3] استعمالها في نداء البعيد[4].

5- التيسير والسهولة ووضوح العبارة في طريق عرض قضايا النحو المختلفة، وهذا ما تميز به ابن مالك جلياً. ثم يشرح ذلك بعبارات سهلة واضحة.

وهكذا إلى نهاية القاعدة والتي كانت سهلة في رجزها وشرحها.

6- غزارة المادة العلمية وتضمنها أغلب أبواب النحو والصرف، يعد هذا الكتاب مصدراً مهماً من مصادر النحو والصرف وذلك لاحتوائه على أهم أبواب النحو والصرف، وقد أبواب الكافية الشافية ستة وستين باباً واثنين ستين فصلاً.

7- التجديد والابتكار وذلك يظهر في ترتيبه في هذا الكتاب لأبواب وفصول، في منهج تعليمي دراسي يعتمد كثيراً على المناسبة والاستطراد، وكما هو معلوم فكل عالم يبدأ مقلداً ثم بعد أن يهضم ما أخذه من شيوخه ينتهي بالابتكار.

([1]) الكتاب 220/2.

([2]) قال المبرد هذا باب الحروف التي تنبه بها المدعو وهي: يا، هيا، وأيا، وأي، وألف الاستفهام، فهذه الحروف سوى الألف تكون لمد الصوت. المقتضب: 223/4.

([3]) قال المبرد: وتقع (وا) في الندبة، وفيما مددت به صوتك، كما تمده بالندبة.

([4])ابن الحاجب، الكافية الشافية، ج2، ص3.

8- المزج في الاختيار بين مذاهب النحاة من بصريين وكوفيين وبغداديين دون ميل أو انحياز فيعرضها في دقدة وأمانة، ثم بعدها يتخذ موقفاً خاصاً وفق ما يمليه عليه اجتهاده الخاص.

المبحث الثالث

أهم الموضوعات المشابهة بين الكتابين

الكافية الشافية لابن مالك والكافية لابن الحاجب

يوجد تشابه كبير بين الكتابين وهذا التشابه بظهر في النقاط التالية:

أولاً: الشكل في مؤلف ابن مالك "الكافية الشافية":

فمن حيث الشكل نجد تشابه كبير ويمكن الإشارة إليه في تجديدهما للمنهج القديم المتبع وقد تحدثنا عنه في الفصول السابقة، فقد تميز ابن مالك رحمه الله بمنهج متجدد متطور وعصري، مبتكر، تعليمي، واهتم رحمه الله بالبراعة في التبويب والتنظيم، فقد قسم هذا الكتاب إلى أبواب وفصول ومسائل وفي كل مسألة نجد عنواناً في الأغلب كذلك النظم العلمي للعلوم وكذلك العذوبة والسلاسة والرقة والصفاء.

وبهذا النظم يسر لنا فهم النحو فيقول:

قـــولٌ مفيـــد: طلبـــاً أو خبـــراً هـــو الكـــلام كـــ "اســـتمع وســـترى"[1]

كذلك نلحظ تشابه كبيراً من حيث الموضوعات ويتمثل ذلك في:

1- التسهيل والتسير والتلخيص في عرض قضايا النحو، فقد اختار ابن مالك الأسهل والأبعد عن التكلف والأمثلة على ذلك كثيرة فمثلاً في شرحه "الكافية الشافية" في إعراب ما اتصل به الفعل من ألف اثنين أو واو جماعة أو ياء مخاطبة يقول:

بنـــــون رفـــــع "تـــــذهبونا" و"تـــــذهبان" ثـــــم "تـــــذهبينا"
واحـــذف إذا جزمـــت أو نصـــبت كـــ "لـــم كونـــا لتـــرو ســـحتا[2]

([1]) شرح الكافية الشافية، 56/1.

([2]) المرجع السابق، 83/1.

ثم يشرح في سهولة ويسر وبلا تعقيد قائلاً: إذا اتصل الفعل المضارع بألف الاثنين أو واو جمع أو ياء مخاطبة، فعلامة رفعه نون مكسورة بعد ألف نحو: "تذهبان" ومفتوحة بعد الواو والياء نحو: "تذهبون" و"تذهبين" وحذف هذه النون علامة للجزم؛ نحو: "لم يذهبا".

2- كذلك المزج والاختيار بين مذاهب النحاة فقد مزج بين مذاهب النحاة بصريين وكوفيين وبغداديين ومغاربة كما مزج بين النحو والتصريف واللغة وكذلك بين مصادر الاستشهاد من القرآن والحديث وكلام العرب شعراً ونثراً وقد بينا ذلك المزج في الفصل السابق.

نخلص إلى أن هناك ثمة تشابه بين هذين الكتابين "الكافية الشافية" و"الكافية" من حيث الشكل والموضوع بصورة عامة ولكننا لا نكتف بذلك بل سنحدد مواضع بعينها حتى نقف على هذا التشابه ونوضحه لفائدة البحث.

أهم المواضيع المتشابهة:

1- في بعض الأبواب:

باب ما ينصرف وما لا ينصرف، وهذا في "شرح الكافية الشافية"[1] يقول في ذلك:

ومنعوا انصراف وصف عدلا إلى "فعال" "أوضاه" "مفعلاً"
في عدد من "واحد" صفا إلى "أربعة" و"مخمسا" زد ناقلاً

ونرى ابن الحاجب يقول:

ثنتان من تسع تزيل الصرف أو ما يجي كالاثنتين عرفا

ويشرح ذلك بقوله: الاسم يمنع من الصرف متى اجتمع فيه اثنان من أسباب تسعة أو واحد منهما يقوم مقامهما[2].

نلحظ تشابهاً كبيراً بين هذين الكتابين من حيث العنوان ومن حيث التقارب بين القاعدة النحوية.

([1]) شرح الكافية الشافية، 68/2.

([2]) ابن الحاجب، شرح الوافية نظم الكافية، ص135.

2- النكرة والمعرفة، فقد عنون لها في "شرح الكافية الشافية" بـ "باب النكرة والمعرفة"[1] يقول:

ما شاع في جنس في كـ "عبد" نكر "وغيره معرفة كـ عنترة"
فمضمر أعرفها ثم العلم واسم إشارة موصول متم
وذو أداة أو منادى عينا أو ذو إضافة بها تبينا

ثم يشرح ذلك ابن مالك رحمه الله هذه القواعد بقوله: جملة المعارف سبع: الضمير والعلم واسم الإشارة والموصول والمعرفة بالأدلة والمعرف بالنداء، والمعرف بالإضافة، بعد أن عرف النكرة حيث يقول: ما كان شائعاً في جنسه كـ "حيوان" أو في نوعه كـ "إنسان".

أما عند ابن الحاجب:

ذو اللام والمضمر ثم العلم مضاف تعريف لمعنى مبهم
معارف أعرفها التكلم والنكرات لا لعين تعلم

أخذ يذكر المعرفة والنكرة، فقال: المعرفة ذو اللام والمضمر والعلم والمضاف إضافة تعريف، لتخرج الإضافة اللفظية، والمبهم يعنى به أسماء الإشارة والموصولات ثم قال: "والنكرات لا لعين تعلم" يقول: والنكرات ما وضع لشيء لا بعينه[2].

نلاحظ أن ابن الحاجب حصر باب النكرة والمعرفة في بيتين فقط وهذا ما يدل على امتلاكه ناصية اللغة.

3- حروف الجر: يقول في "شرح الكافية الشافية":

هاك حروف الجر وهي (من) (إلى)

(حتى) (خلا) (حاشا) (عدا) (في) (عن) (على)

(مذ) (منذ)(رب) (اللام والكاف) و(تا)

و(ألواو) و(الباء) (كي) (لعل) و(متى)

([1]) شرح الكافية الشافية، 90/1.

([2]) ابن الحاجب، شرح الوافية نظم الكافية، ص306.

ويقول ابن الحاجب:

مـــا يفـــض بالأفعـــال معنـــى فـــأدر لمـــــا يليـــــه فهـــــو حـــــرف جـــــر
مـــن وإلـــى وحتـــى وفـــي ثـــم البـــاء ثـــــم علـــــى والـــــلام ثـــــم ربـــــا

وقد ذكرها في ثلاث وعشرين بيتاً، وابتدأ بحرف الجر وحدها بأنه الذي يفض بالفعل أو معناه إلى ما يليه[1].

إذا نلحظ تشابه الكتابين من حيث العناوين المتن والترتيب والشكل والموضوع:

1- كلا الكتابين نعتا باسم الكافية وكلاهما من بحر الرجز.

2- السهولة واليسر والنظم العلمي، وهذا وضح جلياً في المؤلفين، ومرد ذلك يرجع إلى أن كلا العالمين رحمهما الله ابن الحاجب وابن مالك كانا عالمين باللغة والأدب والعلوم الأخرى مما صقل موهبتهما وحسن لسانهما وقريحتهما.

3- تضمنت كلا الكتابين جميع أبواب النحو باستثناء بعض الأبواب كالإعلال والإبدال في الكافية لأن ابن الحاجب فصل الصرف عن النحو.

نخلص إلى أن تشابهاً كبيراً بين هذين الكتابين، بل ارتبطا ارتباطاً وثيقاً في كثير من الأحيان ولعل المتابع لـ "شرح الكافية الشافية".

(1) ابن الحاجب، شرح الوافية، ص380.

المبحث الرابع

ما بين كافية ابن الحاجب وكافية ابن مالك

أولاً: من حيث الأهداف والمسائل النحوية:

قد خطت الدراسات النحوية والصرفية خطوة عظيمة في زمن ابن الحاجب، الذي كان هدفه تطوير الاتجاه التعليمي، حيث أودع في (الكافية) الجمع بين تطوير المنهج وشموله لجميع المقاصد النحوية، لذلك جاءت صغيرة الحجم نتيجة لحذف المناقشات الجانبية التي تجلب الصعوبة والملك للمتعلم لذلك كانت محط أنظار النحاة المعاصرين لابن الحاجب والمتأخرين عنه[1]. وهذا هدف ابن الحاجب من تأليفه "الكافية"، تقديم مؤلف بطريقة جديدة وبأسلوب تعليمي[2].

وقد ذكر ابن مالك الهدف من تأليفه "الكافية الشافية" وهو الهدف الذي قصده ابن الحاجب وهو إفادة المتعلمين إلا أننا نلاحظ الآتي: نجد ابن الحاجب كان أكثر توفيقاً حيث استطاع أن يحصر أفكاره في مؤلف صغير يجذب القراء والمهتمين[3]؛ أما ابن مالك على الرغم من اجتهاده إلا أننا نلاحظ الحجم الهائل من الأبيات البالغة ألفين وسبعمائة ونيف وخمسين، مهما يكن من شيء فإن النفور والملل حاضرتان وخاصة من المتعلم الذي دائماً يميل إلى الاختصار لأنه الأسهل في التحصيل العلمي.

ثانياً: من حيث التأثير والتأثر:

سلك النحاة طريقة سيبويه بتأليف المطولات في النحو إلى زمن الزجاجي والفارسي، حيث مالوا إلى المختصرات تسهيلاً على الدارسين، فإذا وصلنا إلى زمن الزمخشري، وجدناه يخرج عن التقليد القديم ويبدأ بالتجديد في التنظيم المنهجي، فقد قسم المفصل إلى أربعة أقسام: الأسماء، الأفعال، والحروف، والمشترك، وكان مثالاً احتذاه ابن الحاجب في التأليف النحوي لذلك اشتهر

([1]) السيوطي، وفيات الأعيان 494/3، ابن الحاجب، شرح الكافية، ص26.

([2]) متن البحث وصف الكافية.

([3]) ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ص38.

كتابه في زمن السلاطين الأيوبيين، وخاصة في عهد الملك الناصر؛ فتأثر ابن الحاجب بالزمخشري يتمثل في التقسيم وليس في طريقة التأليف والشرح.

أما ابن مالك فلم يكتف بشرح كافية ابن الحاجب فحسب بل تابعه بطريقة التأليف، وسار على منهاجه، وزاد على ذلك في متابعته بأسماء مصنفاته النحوية والصرفية، فقد أطلق على منظومته في النحو والصرف (الكافية الشافية)[1] ثم شرح هذه المنظومة وأسماها (الوافية)[2] ولا يخفى على أحد أن هذه أسماء مصنفات ابن الحاجب، وهو الذي وضعها، ولم يسبقه أحد في ذلك، وبذلك تكون متابعة ابن مالك له واضحة لا تخفى.

ملاحظة مهمة: أن ابن مالك رغم هذا كله لم يعتز بشيخه بل تعدى إلى حد الاستخفاف حيث يقول ابن مالك عن ابن الحاجب وشيخه الزمخشري:

"إنه أخذ علمه عن صاحب المفصل، وصاحب المفصل نحوي صغير)[3].

ثالثاً: من حيث الشروح والحواشي:

شرح ابن الحاجب الكافية (مطبوع) في استانبول سنة (1311هـ) ونسخة فهرس مكتبة بلدية الإسكندرية رقم: (ن، 263، ت23/1) المطبوع نادرة، منه نسخة مخطوطة في مكتبة بلدية الإسكندرية وأخرى في خزانة فيض الله أفندي باستانبول رقم: (1915)[4] وقد ذكر الأستاذ طارق عبدون أكثر من سبعين شرحاً[5].

هذا إن دل إنما يدل على اعتزاز النحاة بأهمية الكافية ولعل أشهر الشروح شرح الرضي.

([1]) مقدمة التسهيل، ص18، 29.

([2]) المرجع السابق، ص19.

([3]) السيوطي، بقية الوعاة، ص555، نفح الطيب 272/7.

([4]) مجلة الورد، المجلد الثامن العدد الأول، ص331.

([5]) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 305/5 ، معجم المطبوعات العربية والمصرية، ص71-72.

ومن حيث المنظومات والحواشي:

نظمها ابن الحاجب للملك الناصر داود بن الملك المعظم وسماها الوافية منها نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية[1] حيث بلغ عدد المنظومات تسع منظومة طلعت بأماكن وأزمان مختلفة.

ومن حيث شروح المنظومات الكافية:

1- شرح ابن الحاجب المنظومة بشرح سماه: (شرح الوافية نظم الكافية) وتابعه العلماء حتى بلغ أربع الذين شرحوا منظومات الكافية. بهذا يتأكد للدارس أن كتاباً بهذا الاهتمام من جمهرة النحاة المعاصرين لصاحبها والمتأخرين عنه، تحتل المرتبة الأولى بكثرة الشروح والتعليقات والنظم، حيث لم يصل أي مصنف من مصنفات النحاة إلى ما وصلت إليه (الكافية لابن الحاجب) التي بلغت شروحها مئة وخمسين شرحاً، وإذا أضفنا إلى هذا العدد النظم وشرح النظم، وصل العدد إلى مئة وستين، وإذا أضفنا إلى هذا العدد الحواشي والشروح على الشروح لزاد العدد على المئتين.

وبذلك يمكنني القول: إن (كافية) ابن الحاجب أبرز كتاب اكتسب شهرة واسعة عند النحاة، وما كانت تلك الشهرة إلا أنه جديد في منهجه، جديد في اتجاهه التعليمي، مشوق في مادته[2].

لم أجد من شرح (الكافية الشافية) لابن مالك غير أن المصنف هو أو من تصدى لشرح مؤلفه قال ابن مالك في مقدمة الشرح:

"أما بعد حمد الله – تعالى – حق حمده، والصلاة والسلام على محمد رسوله وعبده، وعلى آله وصحبه الموفين بعهده فإني استخرت الله في تبيين ما تضمنه تعريف الأرجوزة الموسومة بالكافية الشافية والله بالإعانة كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل".

وظاهر ظهور الشمس حيث التباين الكبير بين الكافيتين لمؤلفيهما ابن الحاجب وابن مالك وكما أسلفت، لم يصل مصنف نحوي ما بلغ الكافية.

([1]) فهرس دار الكتب المصرية، 174/2.

([2])ابن الحاجب، شرح الوافية، 54.

رابعاً: من حيث القبول والذيوع بين الدراستين:

إن حفظ النصوص المنظومة أسهل من حفظ النثر، لذلك اتجه العلماء إلى نظم القواعد النحوية واللغوية، تسهيلاً على الدارسين.

ومنظومة (الوافية)لابن الحاجب من المؤلفات المهمة، لأنها وفت بالمادة النحوية مع المحافظة على المنهج فهي وافية (للكافية) كما قال صاحبها:

وبعـــــد إن هـــــذه أرجـــــوزة فـــي علـم الإعـراب أتـت وجيـزة
مـــن أجلهـــا أســـميتها (بالوافيـــة) لكونهـــا وفـــت بـــنظم (الكافيـــة)

مما يؤكد أن كافية ابن الحاجب أكثر شهرة وانتشاراً بين العلماء تهافت العلماء عليها شرحاً ونظماً وتعليقاً، وذلك مما لم يتوفر لكافية ابن مالك.

ونتج عن هذه الموازنة:

أولاً: أهم نقاط التشابه والاتفاق:

– كل من ابن الحاجب وابن مالك قد هدف إلى تسهيل النحو واللغة عموماً للدارسين عن طريق تقديم دراسة منهجية مبسطة وبأسلوب مختصر وسهل دون إخلال.

– كلاهما قد سمى مؤلفه بالكافية حيث سمى ابن الحاجب كتابه في النحو والشافية في الصرف، بينما سمى ابن مالك كتابه "الكافية الشافية".

– كل من العالمين بدأ كتابه بالحمد ومهد بذكر الهدف الداعي إلى عمله وسمى كتابه بالأرجوزة.

حيث قال ابن الحاجب: الحمد لله على ما انعما * بجوده وفضله وكرَّما

إلى أن قال: ولم تكن أرجوزة من قبلها * جاءت على منوالها كمثلها[1].

([1])ابن الحاجب، شرح الوافية نظم الكافية، ص19 إلى 21.

– كلاهما افتتح كتابه ببيان الكلام وأقسامه:

حيث بدأ ابن الحاجب بالكلمة وعرفها وذكر أقسامها نحو:

اللفظ موضوع لمعنى مفرد كلمة جنس ثلاث تفتدي

اسم وفعل ثم حرف تأتي محصورة بالنفي والإثبات[1].

وقال ابن مالك:

قول مفيد طلباً أو خبراً * هو الكلام كـ (استمع وسترى)

الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مفيد[2].

– كلا العالمين نظم كتابه من بحر الرجز.

وتفعيلاته: مستفعلٌ ستاً.

كلاهما سار على نهج ذكر النظم ثم يشرح المعنى مدعماً ذلك بالأمثلة وذكر آراء العلماء ويستشهد لذلك بالقرآن وكلام العرب.

– كلاهما تلى باب الكلمة وأقسامها بباب الإعراب والبناء؛ حيث قال ابن الحاجب في المعرب بالحرف:

والجمع إن كسرته والمفرد منصرفين بالثلاثة يُسرد[3].

وقال ابن مالك: في باب الإعراب والبناء وما يتعلق بذلك:

من الثلاث معرب منها صنف هو المبني فابحث عنها[4].

([1])شرح الشافية، ص21.

([2])الكافية الشافية، ص157.

([3])ابن الحاجب، الوافية نظم الكافية، ص130.

([4])ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ص174.

ثانياً: أهم نقاط الخلاف:

– قد قسم ابن الحاجب كتابه من حيث الموضوعات إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: الأسماء: وتحتها المرفوعات والمنصوبات والمجرورات.

ثانياً: الأفعال: وذكر أقسام الفعل من حيث التعدي واللزوم.

ثالثاً: الحروف: وذكر أقسامها حروف الجر والنصب والجزم[1].

أما ابن مالك زعم أنه تابع ابن الحاجب في تسمية مؤلفاته إلا أنه خالف شيخه في ترتيب الموضوعات وتقسيم الأبواب.

ومن حيث المحتوى والمادة العلمية:

بلغ عدد أبيات الكافية الشافية سبع وخمسين وسبعمائة وألفين[2] فقد استطاع ابن الحاجب أن يودع مادة كتابه في تسع وأربعين وثمانمائة بيتاً، وموزعة على سبع وثمانين باباً.

ونلاحظ الفارق الكبير بين الشيخ ابن الحاجب وتلميذه ابن مالك ومعلوم أن الذي يستطيع الإتيان بجمل بسيطة متضمنة معاني عديدة هو الذي يمتلك ناصية اللغة.

– ومن حيث الاستشهاد فقد بلغ عدد الآيات القرآنية التي استشهد بها ابن الحاجب 136 آية وسبعة أحاديث واثنا عشر قراءة وأربع وثلاثون بيتاً من الشعر.

ثالثاً: أهم نتائج الموازنة:

1– أن ابن الحاجب كان موفقاً فيما سعى إلى تحقيقه حيث جاء كتابه صغير الحجم وشاملاً كل أبواب النحو؛ أما ابن مالك وإن كان قد جمع خلاصة تجاربه العلمية في كتاب واحد إلا أنه قد خانه الحظ حيث جاء مؤلفه كبير الحجم (أربع مجلدات) وهذا لا يناسب الدارسين.

2– ابن الحاجب لم يدخل المناقشات والاختلافات النحوية بين العلماء في كتابه.

([1]) ابن الحاجب، الكافية في علم النحو، ص11 وما بعدها، 44 وما بعدها 150–157.

([2]) ابن مالك، الكافية الشافية، ص38.

3- ابن مالك أغفل ذكر آراء ابن الحاجب رغم تأثره به ومتابعته في تسمية مؤلفاته النحوية، لكن أسلوبه كان جاذباً وهو ما جعله أكثر شهرة.

أهم ما يميز ابن الحاجب في إسهاماته اللغوية:

خالف ابن الحاجب في مسائل عديدة أكثر النحويين، بل تفرد بآراء جديدة اعترض بها أئمة النحو ومؤسسيه – وإن لم يسهم في بعضها – أمثال سيبويه وأبو علي الفارسي والزمخشري وغيرهم.

من ذلك قضية الإضافة في نحو: (لا أبا لك وغلامي لك)

نقل النحويون عن العرب هذا القول واختلفوا في تخريجه، فذهب سيبويه وجمهور النحويين إلى أن الاسم بعد (لا) يضاف إلى الاسم الذي بعد (اللام) وتكون اللام زائدة مؤكدة للإضافة ويكون لفظ الاسم الأول كلفظ الاسم المضاف، بدليل ثبوت الألف في (أبا)، وحذف النون في (غلامي)، ولا يستعمل أبا تاماً إلا في حال الإضافة[1].

أما ابن الحاجب فقد خالفهم فذهب إلى أن (لا أبا لك) و(لا غلامي لك) مشبه بالمضاف وليس مضاف، علل ذلك بقوله: (وإنما شبه بالمضاف وهذه اللغة قليلة لمشاركة المضاف في أصل معناه؛ لأن معنى قولك (أبوك): أبٌ لك، فقد اشتركا في هذا المعنى ونسبة الأبوة إلى المذكور بعد اللام مثلها في الإضافة، فحُمل على المضاف فأجري مجراه[2] فرد رأي سيبويه ودعم رأيه بقوله: (وإنما غرَّه من ذلك وجود أحكام الإضافة فظن أنه مضاف وليس بمستقيم لأمرين: إحداهما: أنا نجزم بأن قولهم (لا أبا لك) بمعنى: لا أبٌ لك، ولا خلاف في أن (لا أب لك) غير مضاف وجب أن يكون مثله. ثانيهما: أن (لا) هذه لا تدخل إلا على النكرات، ولو كان مضاف لكان معرفة، وحينئذ يمتنع دخول (لا) عليه، وصحة دخولها دليل على أنه غير مضاف[3].

اعتمد ابن الحاجب في أغلب آراءه التي تفرد بها واعترض بها سابقيه من أئمة النحو على المعنى النحوي، فكان المعنى هو الأصل في رد آراء النحويين.

([1]) الكتاب:276/2، والمقتضب: 373/4 – 376، والأصول في النحو: 389/1، الزجاجي: 100.

([2]) شرح المقدّمة الكافية:579/2.

([3]) شرح المقدّمة الكافية: 580/2 -581.

يقول سيبويه: (وأمّا قول العرب في الجواب (إنّهْ)، فهو بمنزلة أجَلْ، وإذا وصلتَ قلت: إنَّ يا فتى، وهي التي بمنزلة أجَلْ) [1].

واستدلّ سيبويه وأكثر النحويين على مجيء (إنَّ) بمعنى (نَعم) بقول الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيّات[2] (من مجزوء الكامل):

ويَقُلْنَ شَيْبٌ قَد عَلَا كَ وَقَد كَبِرْتَ فَقُلْتُ إنَّهْ

واعترض ابن الحاجب على استدلال النحويين بهذا البيت بقوله: (وأمّا استدلالهم على أنّ (إنَّ) بمعنى (نَعم) في قوله:

ويَقُلْنَ شَيْبٌ قَد عَلَا كَ وَقَد كَبِرْتَ فَقُلْتُ إنَّهْ

فلا يقوى؛ لاحتمال أن تكون (إنَّ) الابتدائية، وقد حذفوا الخبر للعلم به، كأنّه قال: إنَّه كذلك)[3].

إلّا أنّ بعض النحويين يرفضون كون الهاء في (إنَّه) هاء الإضمار، معلّلين ذلك بأنّ (الهاء) لو كانت هاء الإضمار لثبتت في الوصل كما تثبت في الوقف، ولكنها لم تثبت، ولذا نقول في الوصل (إنَّ يافتى) بحذف الهاء، ولو كانت للإضمار لم تحذف[4].

لم يعتن ابن الحاجب بنسبة الآراء إلى أصحابها، ربما وهم في نسبة بعضها.

وذهب بعض النحويين إلى أنّ التنوين في جمع المؤنث السّالم هو تنوين التمكين، ونسب الجمهور هذا المذهب إلى الرّبعي[5]، ونسبه الرضي إلى الرّبعي والزمخشري وتابعهم في ذلك[6]. فالزمخشري لم يذكر تنوين المقابلة في أنواع التنوين[7]، وجعل الصرف في (عرفاتٍ) من قوله

([1]) كتاب سيبويه: 151/3.

([2]) ديوانه: 212.

([3]) شرح المقدمة الكافية:989/3.

([4]) شرح المفصّل: 57/5.

([5]) التبيين عن مذاهب النحويين: 215، والجنى الداني: 145، وتوضيح المقاصد: 277/1، وشرح الأشموني: 13/1.

([6]) شرح الرضي: 46/1.

([7]) المفصّل في صنعة الإعراب: 455.

تعالى: (چ چ چ چ)[1]، للتمكين[2]. وردّ ابن الحاجب ما ذهب إليه الرّبعي والزمخشري معترضاً عليهما بقوله: (وأمّا تَوَهُّم من توهّم أنّه تنوين التمكين).

رابعاً: مما يؤخذ على ابن مالك:

ومما يلحظ على ابن مالك ويقدح في مؤلفه أنه لم يذكر أن ابن الحاجب له قصب السبق حتى شاع بين المصنفين من بعده أنها من اختيارات ابن مالك دون غيره مع أن لابن الحاجب فضل السبق في هذا المضمار.

– وبهذا يفهم ترك السيوطي لذكر ابن الحاجب في هذه الاختيارات – وهو الذي اشتهرت كتبه وانتشرت – فانظر إلى قوله في الهمع في المسألة الأولى (الجمهور من المتأخرين منهم ابن مالك ... أن إعراب المثنى والجمع والحروف) [3].

– وقوله في المسألة الثانية (وفي عامل الرفع فيه – أي: في المضارع – أقوال، أحدها: نفس التجرد والتعدي من الناصب والجازم، فهو معنوي، وهو رأي الفراء، واختاره ابن مالك، وقال: إنه سالم من النقض، ونسبه لحذاق الكوفيين)[4].

وقد كنت أعتذر لابن مالك إن لم يكن يطلع على كلام ابن الحاجب، ولكنه قد درس على ابن الحاجب – كما ذكر الدمامين نقلاً عن التاج التبريزي – وقرأ الكافية وله عليها تقريرات.

– وقد كان يطعن في ابن الحاجب صراحة ويقلل من شأنه وشأن من أخذ منه[5] مع العلم أنه كان متابعاً له في بعض آرائه – كما ذكرنا – ومقتفياً أثره حتى في أسماء كتبه كما هو ظاهر من تسمية ابن مالك لمنظومته النحوية الصرفية بالكافية الشافية على غرار تسمية ابن الحاجب للكافية في النحو والشافية في الصرف، وتسميته أيضاً لشرح الكافية الشافية بالوافية والوافية هي اسم منظومة ابن الحاجب للكافية.

([1]) سورة البقرة: الآية 198.

([2]) الكشّاف: 410/1.

([3]) الجامي، الفوائد الضيائية، ص29، المفصل، للزمخشري، ج1، ص47.

([4]) المرجع السابق، 164/1.

([5]) السيوطي، بغية الوعاة، 134/1.

ولعل الذي دعاه إلى ذلك هو إرادة منافسة كتبه لكتب ابن الحاجب التي ذاعت في المشرق، وأقبل عليها الشراح لما رأوه من إقبال الطلاب.

والدارس أراد إزالة ذلك الغموض وإعطاء الحق لصاحبه حتى يظهر لكل ذي فضل فضله.

الخاتمة:

ومما استعراضه في هذا البحث وضح أن ابن الحاجب كان له فضل السبق في توضيح مسائل كثيرة كانت غامضة على المحدثين الذين حاولوا توضيحها دون أن يدروا أن ابن الحاجب قد سبقهم إليها – ذلك لأن كثيراً منهم قطع صلته بالقديم وفي هذا جناية على العلم وتأخير لمسيرة الحياة العلمية.

وليس معنى تمسكنا بالقديم أن نهمل كل ما قاله المحدثون ونرفضه، بل ينبغي علينا أن ندرسه ونأخذ به إذا راقنا مع الرجوع للأصل. ونمعن الفكر في مؤلفات ابن الحاجب وله مؤلفات كثيرة بعضها منشورة وبعضها ما زال في حاجة إلى البحث والتنقيب حتى يخرج إلى النور. ومن كتبه القيَّمة (الكافية) والذي تناول فيه ابن الحاجب كثيراً من أبواب النحو والصرف ويعد كتابه هذا ذخيرة لغوية شاملة.

ولابن الحاجب جهود كثيرة في تسهيل قواعد النحو والصرف.

نتائج الدراسة:

خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

1- أن ابن الحاجب ذو شخصية فذة خلقاً وثقافة نسبة للمراكز العلمية التي عاش فيها ويظهر تأثره بالمذهب البصري إلى حد كبير، ونتج عن الحياة التي عاشها سياسياً ودينياً ثورة علمية أثرت فيه.

2- إنَّ من ألمع علماء العصر الأيوبي هو ابن الحاجب وذلك يظهر جلياً في الطرق المنهجية السلسة التي اتبعها في مؤلفاته وآراءه التجديدية المخالفة لعلماء عصره والسابقين منهم.

3- تظهر خصائص منهج ابن الحاجب واضحة عبر التقعيد العام والمتفرع، كذلك عبر استشهاداته القرآنية والشعرية والنثرية وأغراض كل منها وما شذ من الظواهر اللهجية المخالفة للقاعدة النحوية.

4- تميز ابن الحاجب وتفرد بآراء اعتراض بها أئمة النحو، واعتمد في أغلبها على المعنى النحوي حيث جعله الأصل رد الآراء، كذلك لم يعتن بنسبة هذه الآراء إلى أصحابها.

5- أن ابن الحاجب كان موفقاً فيما سعى إلى تحقيقه حيث جاء كتابه صغير الحجم وشاملاً كل أبواب النحو؛ أما ابن مالك وإن كان قد جمع خلاصة تجاربه العلمية في كتاب واحد إلا أنه قد خانه الحظ حيث جاء مؤلفه كبير الحجم (أربع مجلدات) وهذا لا يناسب الدارسين.

6- ابن الحاجب لم يدخل المناقشات والاختلافات النحوية بين العلماء في كتابه.

7- ابن مالك أغفل ذكر آراء ابن الحاجب رغم تأثره به ومتابعته في تسمية مؤلفاته النحوية، لكن أسلوبه كان جاذباً وهو ما جعله أكثر شهرة.

التوصيات:

ومن أهم التوصيات:

-إن ابن الحاجب واحد من العلماء الذين برزوا في علوم عديدة فيجدر الاعتناء بإجراء مزيد من الدراسات عبر مصنفاته حتى ترى النور في المستقبل.

-الابتكار العلمي كما لا يمكن من غير أن تقتل القديم درساً.

– يوصي الدارس بإجراء دراسات تركيبية تطبيقية في كافية ابن الحاجب.

المراجع والمصادر:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: السنة النبوية.

ثالثاً: الكتب والمراجع:

1- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، (دار إحياء التراث الإسلامي، قطر) ج1.

2- إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، "دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1420هـ-2003م".

3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر. بيروت.

4- ابن الجزري"، غاية النهاية في طبقات القراء.

5- ابن الحاجب جمال الدين عثمان عمرو بن أبي بكر، الكافية في علم النحو، تحقيق د.صالح عبدالعظيم االشاعر، مكتبة الآداب، ميدان الأمير، القاهرة، يوليو 2010م رجب.

6- ابن الحاجب، أمالي ابن الحاجب، عثمان بن الحاجب أبو عمرو; المحقق: فخر صالح سليمان قدارة، غير مفهرس، دار عمّار، الأردن، عمّان، دار الجيل، بيروت، 1989م، ج1.

7- ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان بن عمر (ت 646هـ)، الإيضاح في شرح المفصل، دار سعد، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، ط1.

8- ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري (ت 646هـ)، شرح الوافية نظم الكافية، تحقيق: موسى بنّاي علوان العليلیار النفائس – بيروت، الطبعة: الخامسة.

9- ابن الحاجب، مختصر المنتهى الأصولي ، مطبعة كردستان العلمية.

10- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، 1963م.

11- ابن فارس. الصاحبي.

12- ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو الأنور، مكتبة دار التراث العربية للطباعة القاهرة، د.ت، ج2.

13- ابن منظور، لسان العرب، ت: عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، ج1.
14- ابن هشام تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، شرح قطر الندى وبل الصدى، مصر – القاهرة – مطبعة السعادة ط1 1952.
15- ابن يعيش، شرح المفصل. المجلد 3 ص 78
16- أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة (54): 307/1.
17- أبو الحسن الأخفش الأوسط، معاني القرآن، 366/1.
18- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي "ابن كثير"(المتوفى: 774هـ)، البداية والنهاية، دار الفكر.
19- أبو القاسم الزَّجَّاجي (المتوفى: 337هـ)، الإيضاح في علل النحو، المحقق: الدكتور مازن المبارك.
20- أبو زكريا يحيى الفراء، معاني القرآن، ج1.
21- أبو عمرو عثمان ابن الحاجب(ت646هـ)، شرح المقدّمة الكافية في علم الإعراب، تحقيق: جمال عبد العاطي مخيمر أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، الطبعة الأولى، 1997م.
22- أبوهلال العسكري. كتاب الصناعتين. ص 104
23- أبي الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل (دار الفكر العربي، دون تاريخ .
24- أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
25- أبي العباس المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، القاهرة، ط2 1399هـ – 1979م، ج4.
26- أبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال (دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1966م) ص517.
27- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب للإمام (دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 2000م) مادة شهد.

28- أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في علم العربية، (دار الجبل، بيروت، دون تاريخ تاريخ).
29- أبي بكر بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، الأصول في النحو، تحقيق عبدالحسين القتلي " مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3 1417هـ – 1996م" ج2.
30- أبي بكر بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، الأصول في النحو، تحقيق عبدالحسين القتلي " مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3 1417هـ – 1996م" 369/2؛
31- أبي عمرو عثمان بن الحاجب، شرح الوافية نظم الكافية، تحقيق: دكتور موسى بناي علوان العليبلي، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، 1400هـ-1980م.
32- أبي محمد عبدالله بن أحمد بن الخشاب، المرتجل، تحقيق علي حيدر، "دمشق 1392هـ-1972م".
33- أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء تحقيق د/مفيد قميحة، راجعه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، طبع دون تاريخ.
34- أبي هلال العسكري، يضرب للأحمق تمنيه الباطل فيصدق، مجمع الأمثال، . تحقيق محمد أبي الفضل وعبدالحميد فطاش 194/1.
35- أحمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، ص93 "دار النهضة مصر للطباعة والنشر."
36- أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مراجعة وتحقيق كامل كامل بكري, عبد الوهاب أبو النور مفتاح السعادة 138/1-140.
37- أحمد رضا كحالة، معجم متن اللغة، (دار مكتبة الحياة، بيروت) 1378هـ 1959م.
38- أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: 1426هـ)، المدارس النحوية، دار المعارف، ج1، الطبعة الثالثة، 1977م، القاهرة.
39- الاسترأبادي رضي الدين، الكافية في النحو: جمال الدين أبي عمر ابن الحاجب، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة 1405هـ 1985م 1.
40- إسماعيل بن حماد الجوهري، (الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ت: أحمد عبدالغفور عطار، ط3، 1402هـ – 1982م، ج3، ص575.

41- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م، 211/4.
42- الإمام كمال الدين عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري النحوي، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، "مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، الطبعة الثانية 1953هـ"، ج2.
43- الإمام كمال الدين عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري النحوي، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، "مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، الطبعة الثانية 1953هـ"، 319/2.
44- إميل بديع يعقوب محمد علي بيضون، المعجم المفصل في شرح شواهد النحو الشعرية . دار الكتب العلمية ط2 1420هـ- 1999م.
45- البغدادي. خزانة الأدب. ج1 ص 5
46- تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: محمود محمد الطناحي - عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي"، القاهرة، ١٣٨٩هـ/1965م.
47- تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو "عيسى البابي الحلبي، دون تاريخ" ج3.
48- التمام في تفسير أشعار الهذليين، ابن جني، 6/1.
49- جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر الصوفي، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق محمد بدرالدين النعماني (دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون تاريخ) ج1.
50- جمال الدين أبي الحسن بن علي بن مالك يوسف القفطي،ابناه الرواة على أبناء النحاة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، "دار الفكر العربي القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط1 1406هـ-1986م" ج3.
51- جمال الدين أبي عمر ابن الحاجب، ينظر الكافية في النحو: شرح الاستر أبادي رضي الدين (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة 1405هـ 1985م.
52- جمال الدين أبي محد بن عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري، شرح التصريح على التوضيح، خالد عبدالله الأزهري على الألفية ابن مالك في النحو.

53- حاشية يس بن زيد الدين العلوي الحمصي(دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلي وشركاء، دون تاريخ) 154/2.
54- حسن هادي عبدالنبي، آراء الكوفيين اللغوية في شرح السيرافي.
55- خالد عبدالرحمن الملك، موسوعة الفقه المالكي، "دار الحكمة، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى 1413هـ-1993م"، وما بعدها.
56- الخطط المقريزية 235/2 " دار صادر بيروت."
57- د.سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية 1992م.
58- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح البستاني، بيروت للطباعة، 1406هـ – 1986م.
59- ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم (دار المعارف القاهرة ط4 د ت.
60- ذيل الروضتين، تصحيح محمد زاهد الكوثري، الثقافة الإسلامية القاهرة، ط2 – 1974م.
61- سعيد عبدالفتاح عاشور، المدرسة النحوية في مصر والشام، دار النهضة العربية بمصر، الطبعة الثانية. سنة ١٩٧٩م، 274.
62- سيد صدر الدين الكنغراوي، الموفي في النحو الكوفي،: القسم السابع: 214.
63- السيوطي، حسن المحاضرة، في تاريخ مصر والقاهرة، ط1، 1967م- 1387هـ. دار إحياء الكتاب العربي.
64- شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول.
65- شمس الدين أبي الخير محد بن محمد بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق برجستراسر، القاهرة، مكتبة الخانجي 1932م.
66- شمس الدين المقدس ليدن، حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، 1909م.
67- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة بإشراف شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة 23.
68- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، 1377هـ-1958م.

69- الشيخ مشهود حسن حمود، وحسن يوسف أبو سمور، وعمر محمد العرموافي، موسوعة العالم الإسلامية، "وكالة التصميم للإعلان والطباعة، عمان – الأردن، ط1 1414هـ – 1994م".

70- صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأراؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 2000م.

71- عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ) حققه: محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد.

72- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، طبقات المفسرين العشرين، المحقق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى، 1396هـ.

73- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، 1998/12/30م.

74- عبدالحميد حسن، القواعد النحوية مادتها وطريقتها، (مكتبة الأنجلو المصرية، صبحي وشركاؤه، الطبعة الثانية).

75- عبدالرحمن ابن أبي الوفاء محمد بن عبدالله بن أبي سعيد، أسرار العربية، ، تحقيق د. فخر صالح قداره، 48/1، 49، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م.

76- عبدالعال سالم مكرم، المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن الهجري، الرسالة ط4 1410هـ-1990م.

77- عبدالقادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، دون تاريخ، ج1.

78- عبدالقادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، دون تاريخ، 3/1-4.

79- عبدالوهاب حمودة، القراءات واللهجات.

80- على الأشموني، شرح حاشية الصبان على ألفية بن مالك، محمد بن علي الصبان(دار إحياء الكتب العربية) فيصل عيسى البابي الحلبي، دون تاريخ 207/2.

81- على النجدي ناصف، سيبويه إمام النحاة، مكتبة نهضة مصر بالفحالة، دون تاريخ.

82- عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1423هـ-2002م.
83- عوض أحمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره، (الناشر، عمادة شئون المكتبات، جامعة الرياض، المملكة العربية والسعودية.
84- فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف 108/2.
85- الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
86- اللسان العربي، دورية متخصصة نصف سنوية تصدر عن مكتبة تنسيق التعريب المملكة المغربية، العدد الحادي والعشرون، في الأسماء المؤنثة لابن الحاجب مقال كتبه إحسان جعفر.
87- المبرد، المقتضي، تحقيق: محمد عبدالخالق عقيمة، القاهرة، ط1، 233/4.
88- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، البلغة في تاريخ أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1972م.
89- مجمع اللغة العربية، الخرطوم، معجم الإحسان، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم ط1، 1431هـ - 2010م، ص29.
90- مجموعة من العلماء، مجموع المتون الكبير، من مهمات المتون في مختلف العلوم والفنون، مشتمل على 63 متناً.
91- المحتسب في تبيين وجوه شواف القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، عبدالحليم النجار (القاهرة 1386هـ) 14/1 -15/1.
92- محمد إبراهيم عبادة. النحو التعليمي في التراث العربي. ص98-90.
93- محمد أحمد عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط11 1995م.
94- محمد بن أحمد عثمان الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، د.ط، د.ت، ج3.
95- محمد بن أحمد عثمان الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، د.ط، 1966، 255/3.
96- محمد سمير اللبدي. معجم المصطلحات النحوية والصرفية. ص 119.

97- محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات 10/1، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م.
98- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين)، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط1، 1971م، ص53.
99- محمد كرد علي، خطط الشام، 44/4 بيروت.
100- محمود مصطفى، الأدب العربي في مصر في عصر الدولة الأيوبية "567-648"، قدم له شوقي ضيف "المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر 1387هـ-1967م" .
101- نصر الدين محمد بن الحسن الاستراباذي المتوفي سنة 686هـ، كافية ابن الحاجب، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور اميل بديع يعقوب، المجلد الأول، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
102- ياقوت الحموي الردمي، إرشاد الأديب، تحقيق إحسان عباس (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان الطبعة الأولى 1993.
103- ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عمر عبدالعزيز الجنيد، دار
104- ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عمر عبدالعزيز الجنيد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، 558/2.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

1- مقداد علي مسلم العميدي، الاحتمال النحوي في خطب الإمام علي عليه السلام، دراسة في شروح (نهج البلاغة) حتى نهاية القرن السابع الهجري، (رسالة ماجستير)، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية.
2- شعلان عبد علي سلطان، دواعي احتمالية الدلالة النحوية في القرآن الكريم، (أطروحة دكتوراه) جامعة بابل، كلية التربية، 2009م.

خامساً: الدوريات:

1- مجلة المجمع العلمي العربي، مجلة 25 من مقال أبي الفتح ابن جني لأسعد أطلس.

2- د/ عبدالعال سالم مكرم، مجلة اللسان العربي، المجلد العاشر 164/1، مقال بعنوان ابن الحاجب المصري وأثره في الدراسات اللغوية.
3- مجلة الورد، المجلد الثامن العدد الأول.

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
(ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ)	6	78
(ﯠ ﯡ)	61	15
(ﭺ ﭻ ﭼ)	71	59،52
(ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ)	93	134
(ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ)	198	156
(ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ)	221	39
(ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ)	228	138
(ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ)	271	28
سورة النساء		
(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ)	1	29،43
(ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ)	148	135
(ﭟ ﭠ ﭡ)	171	49
سورة المائدة		
(ﭮ ﭯ ﭰ)	6	120
(ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ)	106	46
سورة الأنفال		
(ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ)	33	48
سورة التوبة		
(ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ)	6	57
(ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)	108	98، 99
سورة هود		
(ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ)	12	130

سورة يوسف		
(ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ)	21	16
(ئه ئه ئو ئو)	29	55
(ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)	55	15
(ﮅ ﮆ)	80	47
(ئا ئه ئه ئو ئو)	85	129
(ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ)	99	16
سورة الرعد		
(ﭙ ﭚ ﭛ)	43	131
سورة النمل		
(ﯧ ﯨ)	25	47
سورة العنكبوت		
(ﮬ ے ۓ)	44	78
سورة يس		
(ۋ ۅ ۉ ې)	12	106
سورة ص		
(ﭺ ﭻ)	30	30
سورة الزخرف		
(ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ)	51	15
سورة محمد		
(ﮋ ﮌ ﮍ ک ک ک ﮑ)	4	57
سورة الذاريات		
(ﯾ ﯿ)	48	74 ،49
سورة القمر		
(□ □ □ □ □)	49	48
سورة الجمعة		
(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ)	9	99
سورة الحاقة		

(ج ج)	13	48
سورة الإنسان		
(ﭐ ﭑ)	4	58
(ﺀ ﺋ ﻩ ﻧ)	16-15	88
سورة العلق		
(ﭑ *ﭐ ﺩ ﺩ)	16-15	48

فهرس الأحاديث

الحديث	التخريج	الصفحة
(بهيمة جمعاء)	مسلم	89
(مثلكم ومثل اليهود والنصارى...)	البخاري	100
(إذا فتحتم مصر فاستوصوا...)	الحاكم	16

فهرس الأشعار والأرجاز

صدر البيت	الشاعر	الصفحة
نفسي الفداء لسائل وافاني ...	ابن الحاجب	6
إن تغيبوا عن العين فأنتم ...	ابن الحاجب	6
أي غد مع يد دَدٍ ذي حروف...	ابن الحاجب	20

ربما عالج القوافي رجال ...	ابن الحاجب	20
إن غبتم صورة عن ناظري فما ...	ابن الحاجب	21
إن تغيبوا عن العيون فأنتم ...	ابن الحاجب	21
قد كان ظني بأن الشيب يرشدني...	ابن الحاجب	21
هي فذّ وتوأم ورقيب ...	ابن الحاجب	21
ألا أيُّها المختالُ في مَطْرِفِ العُمْرِ	ابن المنير	22-23
فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا	بلا نسبة	29
... أنا بن التارك البكري بشر	لمرار الاسدي	52
إذا غير الهجر المحبين لم يكد...	ذي الرمة	52
مررت على وادي السباع ولا أدري...	لسحيح بن وثيل	53
كفاني ولم أطلب قليل...	امرؤ القيس	53
إذا ما أردت النحو هاك محصلاً...	بلا نسبة	66
مفصل جار الله في الحسن غاية	بلا نسبة	66
لقد وَلَدَتْ فقيرة جِروَ كلب ...	جرير	90
ما أبصرت عيني بمثل الكافية...	بلا نسبة	93
صاغ الإمام الفاضل ابن الحاجب ...	بلا نسبة	93
لمن الديار بقنة الحجر...	زهير	99
تُورثَّن من أزمان يومِ حليمةٍ ...	النابغة	99
فارفع إذا لم ينتصب أو ينجزم ...	ابن الحاجب	101
أشكو من الهجر في سرٍّ وفي علن...	عنترة	105
حمامة في غصون ...	قيس بن الأسلت	108
وكن لجمع مشبه مفاعلا ...	ابن مالك	118
قال ابن مالك محمد وقد ...	ابن مالك	127
قول مفيد: طالباً أو خبراً	ابن مالك	127
المبتدأ مرفوع معنى ذو خبر...	ابن مالك	128
كان بها المبتدأ أرف ناصبا ...	ابن مالك	128-129
تنفك تسمع ما حييت ...	ابن مالك	129
و"ما" تكف العمل الموصوف...	ابن مالك	130
ألا ليتما هذا الحمام لنا ...	النابغة	131

ما تم مسند له خلو لزم ...	ابن مالك	131
بمثله أو فرعه ينتصب ...	ابن مالك	132
فقدني وإياهم فإن ألقِ بعضهم...	أسيد أبي إياس	133
لعل الله فضلكم علينا ...	بلا نسبة	134
شربن بما البحر ثم ترفض ...	ذؤيب الهذلي	134
كفعله اسم فاعل في العمل ...	ابن مالك	135
وللمنادى الناء أو كالناء "يا" ...	ابن مالك	136، 142
تجرد من جازم وناصب ...	ابن مالك	137
علامة التأنيث تاء أو ألف ...	ابن مالك	138
"هادأت مطوى" كلام جمعاً ...	ابن مالك	140
وهذه أرجوزة مستوفية ...	ابن مالك	141
قولٌ مفيد: طلباً أو خبراً ...	ابن مالك	144
بنون رفع "تذهبونا"...	ابن مالك	144
ومنعوا انصراف وصف عدلا...	ابن مالك	145
ثنتان من تسع تزيل الصرف ...	ابن الحاجب	145
ما شاع في جنس في كـ "عبد" نكر ...	ابن مالك	146
ذو اللام والمضمر ثم العلم ...	ابن الحاجب	146
هاك حروف الجر وهي (من) (إلى) ..	ابن مالك	146
ما يفض بالأفعال معنى فأدر...	ابن الحاجب	147
وبعد إن هذه أرجوزة ...	ابن الحاجب	151
الحمد لله على ما انعما ...	ابن الحاجب	151
اللفظ موضوع لمعنى مفرد ...	ابن الحاجب	152
قول مفيد طلباً أو خبراً ...	ابن مالك	152
والجمع إن كسرته والمفرد ...	ابن الحاجب	152
من الثلاث معرب منها ...	ابن مالك	152
ويَقُلْنَ شَيْبٌ قَد عَلَا ...	عبيدالله بن قيس	155

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
ابن الحاجب	1
ابن مالك	4
الزمخشري	4
ابن يعيش	4
السخاوي	4
السبكي	9
ابن قنفذ	21
الخوانساري	21
حمزة	29
امرؤ القيس	50
الأعشى	50
حسان بن ثابت	50
لبيد	50
جرير	50
الفرزدق	50
بشار	50
أبو نواس	50
البغدادي	51
ذو الرّمة	52
ابن جنّي	55
الخليل	62
ابن بري	64
السيوطي	67
أبو عمر بن العلاء	71
يونس بن حبيب	71
الكسائي	71
الفراء	71
الأخفش	72

الجرمي	72
المازني	72
المبرد	72
ابن كيسان	72
الزجاج	72
ابن خروف	89
الشاطبي	89
الكافيجي	94
ابن السرّاج	103
الفارسي	103

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البسملة	أ
استهلال	ب
كلمات مأثورة وأبيات شعر	ج
إهداء	د

شكر وتقدير	هـ
مستخلص الدراسة	و
Abstract	ح
المقدمة	ي
مشكلة البحث	ك
أهمية البحث	ك
أهداف البحث	ك
منهج البحث	ك
حدود البحث	ك
الفصل الأول: ابن الحاجب حياته وعصره	
المبحث الأول: ابن الحاجب	1
المبحث الثاني: ثقافته وعناصره وبيئاته العلمية	5
المبحث الثالث: عصر ابن الحاجب	10
المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه وآثاره ومذهبه في النحو وآراؤه التجديدية	17
الفصل الثاني: كتاب الكافية وما اشتمل عليه	
المبحث الأول: نسبة الكتاب إلى مؤلفه وتاريخ تأليفه	32
المبحث الثاني: الخصائص العامة لمنهج ابن الحاجب	38
المبحث الثالث: مصادر الكتاب المباشرة وغير المباشرة	62
المبحث الرابع: مذهبه واصطلاحاته	73
الفصل الثالث: جهود ابن الحاجب في النحو	
المبحث الأول: جهوده في النحو	86
المبحث الثاني: آراؤه واتجاهاته النحوية	96
المبحث الثالث: التأثر والأصالة والتأثير	105
المبحث الرابع: قيمة الكافية العلمية والمآخذ التي عليها وأثره في كتب المتأخرين	110
الفصل الرابع: موازنة ما بين كتاب الكافية لابن الحاجب وكافية ابن مالك	
المبحث الأول: المحتوى	127
المبحث الثاني: السمات البارزة في كتاب ابن مالك "الكافية الشافية"	141
المبحث الثالث: أهم الموضوعات المشابهة بين الكتابين	144

المبحث الرابع: ما بين كافية ابن الحاجب وكافية ابن مالك	148
الخاتمة	158
نتائج الدراسة	159
التوصيات	160
المراجع والمصادر	161